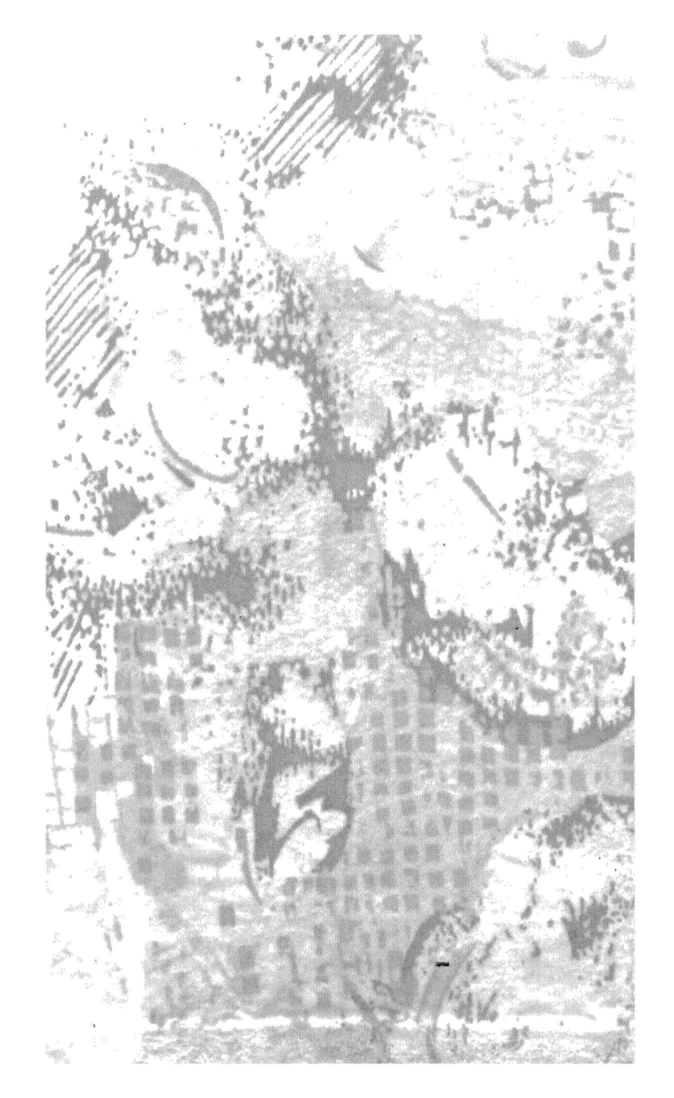

Bibliotheca Alexandrina
0014301









الدكتور عبد العزيز محمد الفيصل

١٣٩٨هـ — ١٩٧٨ م



القاهرة

القسم الأول

الدراسة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الأدب العربى القديم منهل لا ينضب ، ومنبع لا يجف ، فهو مصدر الثقافة العربية الأصيلة ، والمحافظة على ذلك الأدب والبحث عنه ونشر ما بقى مغمورا فى ثنايا الكتب أو قابعا فى صفحات المخطوطات المنسية إنما هو مسئولية فى أعناق الناطقين بالعربية ، ذلك أن الأدب الجاهلى والإسلامى والأموى هو الركيزة التى تعتمد عليها ثقافة العرب على مر العصور .

وإيمانا منى بهذا المبدأ العظيم اخترت موضوعى هذا ، شعراء بنى قشير فى الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأموى ، اخترت هذا الموضوع لما له من الأهمية فى نشر تراثنا العربى ، فإلقاء الضوء على قبيلة قشير وجمع شعر هذه القبيلة إنما هو خدمة للغة القرآن ، فهذا الشعر قيل فى العصر الجاهلى والإسلامى والأموى ، وما زال أكثره متواريا عن الأنظار ، فهو يوجد فى مخطوطات نادرة أو كتب طبعت قديما ولم تطبع مرة ثانية ، وهناك قسم من هذا الشعر موجود فى كتب الأدب المشهورة .

ولقد تناولت هذا الموضوع من زاويتين :ـ

١ ـ دراسة نسب قبيلة قشير بأصوله وفروعه ، ثم التعرف على بلاد هذه القبيلة ومواطن الخصب فى هذه البلاد ، ومن ثم التعرف على الوضع الاقتصادى

للقبيلة ، وكذلك الأوضاع الاجتماعية من حروب ومنازعات ومنافرات ومفاخرات ، وقد درست أيضاً الحالة الثقافية عند هذه القبيلة ، وذلك بالبحث عن مصادر هذه الثقافة ، ثم دراسة مظاهر هذه الثقافة . وبعد دراسة الحالة الاجتماعية والثقافية درست شعر بنى قشير فى الجاهلية ثم شعر بنى قشير فى الإسلام ، وقد بينت أغراضه وخصائصه المشتركة ، سواء كانت خصائص معنوية أو أسلوبية . وقد درست بعد ذلك شعراء بنى قشير ، ورتبت هؤلاء حسب كثرة أشعارهم ، فبدأت بيزيد بن الطثرية ثم الصمة بن عبد الله القشيرى ، وبعد أن انتهيت من دراسة الشعراء درست شاعرات بنى قشير .

٢ ـ جمع الشعر وتحقيقه وشرح غامضه :

لقد أجهدت نفسى فى البحث عن مظان ذلك الشعر ؛ لأن العثور على مصادر ذلك الشعر ليس بالأمر اليسير . وبعد البحث الشاق والمتواصل استطعت أن أتعرف على مراجع ومصادر ذلك الشعر ، وبعد أن اجتمع لدى ما استطعت الوصول إليه بدأت فى ترتيبه وتحقيقه ، وشرح ألفاظه ، وتوضيح الغامض منه وذلك سيتضح فى الخطوات التالية : ـ

(١) إثبات القصيدة أو المقطوعة حسب قافيتها ؛ فقد رتبت القصائد والمقطوعات حسب حروف المعجم .

(٢) جعلت شرح الألفاظ أو ما يحتاج إلى إيضاح من الشعر يلى الأبيات مباشرة ، وقد تتبعت الشعر وبينت غامضه وأوضحت ما يلتبس منه ، وشرحت ألفاظه بحيث إن القارئ للبيت يستطيع فهمه بسهولة .

(٣) لقد اهتَمَمْتُ بتوثيق الشعر وتحقيقه اهتماما عظيما ؛ فقد ذكرت المصادر التى نسب فيها الشعر إلى الشاعر ، ثم ذكرت المصادر التى ذكر فيها الشعر منسوبا إلى شاعر آخر ، ثم ذكرت المصادر التى ذكر فيها الشعر بدون نسبة .

(٤) أوضحت الاختلاف فى الروايات ، فأثبت رواية كل مصدر من المصادر التى ذكرتها فى التحقيق مع ذكر الرواية التى اعتمدت عليها فى إثبات القصيدة أو المقطوعة .

* * *

البَابُ الأول

قبيلةُ قُشَيْر

الفصل الأول

نسب قشير

تنتمى قبيلة قشير إلى قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية ابن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر ابن نزار[1]. وقشير تصغير أقشر وهو الشديد الشقرة، أو تصغير قشر[2]. وقشير بضم القاف وفتح الشين المعجمة وسكون الياء المنقوطة باثنتين من تحتها وفى آخرها الراء[3]. ولقشير ثلاثة إخوة هم: عقيل وجعدة والحريش[4]. وهذه القبائل الأربع تكون قبيلة واحدة هى قبيلة كعب بن ربيعة، وإذا أردنا أن ندرس قبيلة قشير منفردة عن أخواتها فإننا لا نستطيع ذلك؛ فمساكنهم مختلطة وحروبهم واحدة. ومن بنى عقيل النحيف العقيلى الذى يقول فى بنى قشير:

إذا رضيت على بنو قشير لعمرو الله أعجبنى رضاها[5]

ومنهم مجنون ليلى الشاعر المشهور، وليلى الأخيلية التى يقول فيها توبة ابن الحمير:

---

(1) الأغانى ١/٦، ١/٥ وجمهرة أنساب العرب ٢٧١.

(2) الاشتقاق ٢٩٩.

(3) الأنساب للسمعانى ورقة ٤٥٣ واللباب ٢/٢٦٤.

(4) شرح أدب الكاتب ٣٥٣ وعجالة المبتدىء ١٠٥.

(5) شرح أدب الكاتب ٣٥٣.

ولو أن ليلى الأخيلية سلمت   على ودونى تربة وصفائح
لسلمت تسليم البشاشة أو زقا   إليها صدى من جانب القبر صائح
وأغبط من ليلى بما لا أناله   ألا كل ما قرت به العين صالح[١]

وعندما قتل توبة هذا رثته ليلى الأخيلية بمراث كثيرة منها :

أيا عين بكى توبة بن حمير   بسح كفيض الجدول المتفجر
لتبك عليه من خفاجة نسوة   بماء شئون العبرة المتحدر
سمعن بهيجا أرهقت فذكرنه   ولا يبعث الأحزان مثل التذكر
كأن فتى الفتيان توبة لم يسر   بنجد ولم يطلع مع المتغور
ولم يرد الماء السدام إذا بدا   سنا الصبح فى بادى الحواشى منور
ولم يغلب الخصم الضجاج ويملأ الـ   ـجفان سديفا يوم نكباء صرصر
ولم يعل بالجرد الجياد يقودها   بسرة بين الأشمات فأيصر[٢]

وقد وفدت ليلى الأخيلية على معاوية ، وسألها عن محبوبها توبة ، وقال : أكما يقول الناس عن توبة ؟ فقالت : ليس ما يقول الناس حقا ، فالناس شجرة بغى ، يحسدون أهل النعم ، أينما كانوا ، ثم طلب منها معاوية أن تنشده بعض ما قالت فى توبة فأنشدته :

بعيد الثرى لا يبلغ القوم قعره   ألد ملد يغلب الحق باطله

وقد سألها معاوية عما يقال فى عهره ، فقالت :

معاذ إلهى كان والله سيدا   جوادا على العلات جما نوافله
أغر خفاجيا يرى البخل سبة   تحلب كفاه الندى وأنامله

---

(١) الأغانى ١١/٢٤٤ .
(٢) الأغانى ١١/٢٣٢ .

وقد حاول معاوية أن تعترف ليلى بأخطاء توبة ، ولـكنها أبت ، فقال لها معاوية : من أى الرجال هو ؟ فقالت :

أتته المنايا حين تم تمامه ... وأقصر عنه كل قرن يطاوله

وكان كليث الغاب يحمى عرينه ... وترضى به أشباله وحلائله

غضوب حليم حين يطلب حلمه ... وسم زعاف لا تصاب مقاتله[1]

وقد أعجب معاوية بليلى بعد هذا الحوار . وأمر لها بجائزة عظيمة .

وقد وفدت ليلى الأخيلية على عبد الملك بن مروان فقال لها : ما رأى توبة فيك حين هـويك ؟ قالت : ما رآه الناس فيك حين ولوك ، فضحك عبد الملك حتى بدت له سن سوداء كان يخفيها[2] ، كما وفدت على الحجاج ومدحته بقولها :

أحجاج إن الله أعطاك غاية ... يقصر عنها من أراد مداها

أحجاج لا يفلل سلاحك إنما الـ ... منايا بكف الله حيث تراها

إذا هبط الحجاج أرضا مريضة ... تتبع أقصى دائها فشفاها[3]

وقد سألها الحجاج عن مطلبها فقالت : تحملنى إلى قتيبة بن مسلم فى خراسان،فأمر الحجاج بحملها إليه.وقد توفيت فى الرى عند قفولها من خراسان بعد أن وفدت على قتيبة بن مسلم[4] .

الفرع الثانى من فروع كعب هو جعدة،ومن بنى جعدة عبد الله بن الحشرج الذى يقول فيه زياد الأعجم :

---

(١) الأغانى ١١/٢٣٨ .

(٢) الأغانى ١١/٢٤٠ .

(٣) المصدر السابق ٢٤٨ .

(٤) المصدر السابق ٢٤٤ .

إن السماحة والشجاعة والندى في قبة ضربت على ابن الحشرج[١]

ومنهم النابغة الجعدى الذى يقول :

ولا خير فى حلم إذا لم يكن له بوادر تحمى صفوه أن يكدرا

ولا خير فى جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا[٢]

ونأتى بعد ذلك إلى قبيلة قشير بن كعب لنتعرف على فروع هـذه القبيلة فقشير بن كعب له خمسة أبناء هم : سلمة الخير ومعاوية وقرة ، فهؤلاء الثلاثة أمهم القسرية[٣] من بجيلة، وسلمة الشر والأعور واسمه عبدالله[٤]، وهذان أمهما لبينى بنت الوحيد بن كلاب . وسلمة الخير فيها الشرف والعدد ، فولد سلمة الخير : عبد الله وقرط وعامر ومالك وجوز ومعاوية ، وأم هؤلاء من بنى سليم وهى بادرة بنت حارثة بن عيسى بن رفاعة ، وقد أطلق على هؤلاء البوادر نسبة إلى أمهم[٥]، والرقاد وسميرة وزفر وقيس، وأم هؤلاء أم دهر . وقد ولد عبد الله ابن سلمة : قراس وفراس ومرارة وسوادة وبحير وهويم، وولد مالك بن سلمة : سعير وحزن وعام ومعاوية والحر وصقر وضمرة ومغرا . وولد معاوية : عبيدة وخزيمة ومريح وسامة وحيدة والحجاج وعمر . وأما بطون سلمة الشر فهم : حبيب وقيس وأوس . وبطون الأعور : مشنج وبهس وعاصم وحصين[٦] .

---

(١) المصدر السابق ١٢/٢٣ . (٢) المصدر السابق ٥/٨ .

(٣) فى إصلاح المنطق ٤٠٤ (القسرية) وفى التعليقات والنوادر ورقة ٨٠ (القشيرية) .

(٤) إصلاح المنطق ٤٠٤ . (٥) أسماء المغتالين ٢٤٧ .

(٦) التعليقات والنوادر ورقة ٣٠ ، ٣١، ٨٠ وانظر المزهر ٢/١٨٧ ، وجنى الجنتين ٦٢ ، وسبائك الذهب ٤٥ .

وإذا أردنا أن نسير مع هذه الفروع إلى وقتنا الحاضر فإننا لا نستطيع ذلك ؛ إذ إن قبيلة قشير أصابها ما أصاب غيرها من القبائل الأخرى، فقد هاجر كثير من أفراد هذه القبيلة إلى خراسان والعراق والشام وشمال أفريقيا والأندلس فمن اشتهر من أفراد هذه القبيلة في خراسان عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك ابن طلحة بن محمد القشيرى الفقيه الشافعى، يقول عنه ابن خلكان: إنه من العرب الذين قدموا خراسان[١]، وقد توفى سنة خمس وستين وأربعمائة . وقد كان لبنى قشير سطوة على ساحل الفرات فى القرن الخامس الهجرى؛ فقد استولى الأمير جعبر ابن سابق القشيرى الملقب سابق الدين على قلعة دوسر، فسميت باسمه وأصبحت تعرف بقلعة جعبر ، وقلعة جعبر على الفرات بين بالس والرقة قرب صفين . وجعبر هذا رجل أعمى ، ومع ذلك فإنه أصبح يخيف السبيل ، وقد سار إليها السلطان جلال الدين ملك شاه بن أرسلان ، وأخذها من جعبر ونفى عنها بنى قشير[٢]. وفى شمال أفريقيا نجد أن كلثوم بن عياض القشيرى قد ولى هذه البلاد لهشام بن عبد الملك، ثم تولى بعده ابن أخيه بلج بن بشر القشيرى[٣]. وفى الأندلس يسكن بنو قشير فى جيان ومنهم بالبيرة عدد[٤] . أما إذا أردنا أن نتعرف على بنى قشير فى مساكنهم الأصلية فى الجزيرة العربية فإننا لا نجد منهم أحداً فبلادهم يسكنها غيرهم ، وقد تكون أفخاذ من قشير قد انضوت ودخلت ضمن قبائل الدواسر وقبائل قحطان ؛ لأن هاتين القبيلتين تسكنان الآن فى

---

(١) وفيات الأعيان ٣/٢٠٥ .

(٢) وفيات الأعيان ١ / ٣١٤، ومعجم البلدان ٢ / ١٤٢ .

(٣) الاستقصاء ١ / ٩٩ والبيان المغرب ١ / ٥٤ .

(٤) جمهرة أنساب العرب ٢٩٠ .

مساكن بنى قشير وبنى عقيل ، ومن الشىء المعروف أن القبيلة الضعيفة تلجأ إلى القبيلة القوية ، وقد تصبح تلك القبيلة أو الفخذ الذى انضوى تحت القبيلة القوية معروفة أو معروفا باسم تلك القبيلة القوية ، ومعنى ذلك أن قبيلة قشير فى الجزيرة العربية لا يمكن أن تكون قد انتقلت كلها بجميع فروعها من مساكنها الأولى إلى أماكن أخرى ، ولكن الشىء المتوقع حدوثه هو تسمى فروع هذه القبيلة بالقبائل القوية التى استولت على بلاد بنى قشير ، ومع مرور الزمن أصبحت أفخاذ قشير تعرف باسم القبائل الطارئة على تلك البلاد .

ومن هنا يتبين لنا أننا لا نستطيع السير مع فروع قبيلة قشير إلى وقتنا الحاضر .

وقبيلة قشير لها فضائل متعددة ؛ فقد ساهمت فى الفتوحات الإسلامية مساهمة فعالة ، وبرز من هذه القبيلة قواد ، اعتمدت عليهم الدولة الإسلامية فى حروبها ضد أعدائها ، فعندما قام أبو يوسف الأزدى رأس الصفرية بحركته فى المغرب سنة ١٢٣ انتدب له هشام بن عبد الملك كلثوم بن عياض القشيرى وكان كلثوم هذا قد ولى دمشق لهشام بن عبد الملك[(١)] . وقد تولى زياد ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن هبيرة بن زفر بن عبد الله بن الأعور بن قشير خراسان لعمر بن العزيز[(٢)] .

ومن الأشياء التى تعتز بها هذه القبيلة أن ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم من نعم قشير ، واسم هذه الناقة القصواء ، وقد هاجر النبى صلى الله عليه

---

(١) العبر فى خبر من غبر ١/١٥٦ والنجوم الزاهرة ١ / ١٨٩ ، وشذرات الذهب ١ / ١٦١ .

(٢) جمهرة أنساب العرب ٢٩٠ .

وسلم على هذه الناقة ، وقد كان أبو بكر رضى الله عنه قد اشترى هذه الناقة من بنى قشير بأربعمائة درهم،فأخذها النبى صلى الله عليه وسلم بهذا الثمن ، وقيل إن أبا بكر وهبها للرسول صلى الله عليه وسلم ، وقد بقيت هذه الناقة عند الرسول ﷺ حتى ماتت . ويقال : إنها بقيت بعده وماتت فى خلافة أبى بكر وتسمى هذه الناقة العضباء والجدعاء(١) . ومما تعتز به هذه القبيلة انتساب مسلم ابن الحجاج القشيرى إليها ، فمسلم بن الحجاج صاحب الصحيح ، والذى يأتى مؤلفه فى الحديث فى الدرجة الثانية بعد صحيح البخارى ينتسب إلى هذه القبيلة ولا شك أن هذا شرف عظيم ومنقبة تمتاز بها دون غيرها : فقد خدم مسلم الأمة الإسلامية خدمة جلى بجمع أحاديث الرسول ﷺ والتثبت منها حتى أصبح صحيحه الكتاب الثانى فى الحديث .

وقبيلة قشير هذه ، أصابها ما أصاب القبائل الأخرى ، بعد انقسام المسلمين ، وظهور الفتنة بينهم بمقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فقد مالت هذه القبيلة إلى عثمان ، ولذلك فإنها لا ترضى بما تسمعه من الناقمين على سياسة عثمان ، بل ترد على هؤلاء أقوالهم ، ومن هؤلاء الذين لا يرضون عن سياسة عثمان وينحازون فى صف على بن أبى طالب رضى الله عنه أبو الأسود الدؤلى ، فقد كان أبو الأسود صهراً لقشير ، وبحكم هذه المصاهرة فإن أبا الأسود يختلط بأفراد هذه القبيلة ، فيتناولون الوضع فى المجتمعات الإسلامية والتطورات التى طرأت على الخلافة الإسلامية ، فيتحمس بنو قشير لعثمان بينما يتحمس أبو الأسود لعلى ، وكلما قال أبو الأسود قولا ردوا عليه قوله ، فقال أبو الأسود قصيدة يذم فيها قشيرا ويشيد بآل البيت :

(١) أنساب الأشراف ١ / ٥١١ .

يقول الأرذلون بنو قشير طوال الدهر ما تنسى عليا
أحب محمداً حبًّا شديداً وعباسا وحمزة والوصيا
بنو عم النبي وأقربوه أحب الناس كلهم إليا
فإن يك حبهم رشدا أصبه ولست بمخطىء إن كان غيا
هم أهل النصيحة غير شك وأهل مودتى مادمت حيا
هوى أعطيته لما استدارت رحى الإسلام لم يعدل سويا
أحبهم لحب الله حتى أجىء إذا بعثت على هويا
رأيت الله خالق كل شيء هداهم واجتبى منهم نبيا
ولم يخصص بها أحدا سواهم هنيئا ما اصطفاه لهم مريا[1]

وعندما توفى على بن أبى طالب رضى الله عنه خطب الناس خطبة بكى فيها على بن أبى طالب ، وأخذ البيعة لابنه الحسن ، وقد أرسل إليه معاوية يطلب منه أن يأخذ له البيعة بالبصرة فرد عليه بهذه القصيدة :

ألا أبلغ معاوية بن حرب فلا قرت عيون الشامتينا
أفى شهر الصيام فجعتمونا بخير الناس طرا أجمعينا
قتلتم خير من ركب المطايا وخيسها ومن ركب السفينا
ومن لبس النعال ومن حذاها ومن قرأ المثانى والمثينا
إذا استقبلت وجه أبى حسين رأيت البدر راق الناظرينا
لقد علمت قريش حيث حلت بأنك خيرها حسبا ودينا[2]

وقد قال أبو الأسود فى زوجته القشيرية :

---

(١) سمط اللآلى ٦٤٣ وديوان أبى الأسود ٧٢ .

(٢) الأغانى ١٢ / ٣٢٩ .

أبى القلب إلا أم عوف وحبها عجوزا ومن يحبب عجوزا يفند
كسحق يمان قد تقادم عهده ورقعته ما شئت فى العين واليد[١]

وعندما وقعت الفتنة بالبصرة فى أيام ابن الزبير، مر أبو الأسود على مجلس بنى قشير فقال: يا بنى قشير على ماذا اجتمع رأيكم فى هذه الفتنة ؟ قالوا : ولم تسألنا ؟ قال : لأخالفه ، فإن الله لا يجمعكم على هدى ![٢].

* * *

(١) الأغانى ١٢ / ٣٢٦ .

(٢) نور القبس ١٠ وسرح العيون ٢٧٧ .

الفصل الثاني

بــــلاد قشير

البلاد التى عاشت فيها قبيلة قشير واسعة ومترامية الأطراف ، ولـكى نقف على جميع أجزاء هذه البلاد لابد لنا من استقراء أشعار قشير لنتعرف على الأماكن التى وردت على ألسنة شعراء القبيلة ، وبعد التعرف على هذه الأماكن من خلال شعر القبيلة ننتقل بعــــد ذلك إلى تحديد هذه البلاد وتوضيح المناطق الحضرية من المناطق البدوية ، فلنبدأ الآن بذكر الأماكن التى وردت فى شعر قشير :

الأثل : ورد فى قول يزيد بن الطثرية :

إذا ما الريح نحو الأثل هبت ⁂ وجدت الريح طيبة جنوبا[1]

وذات الأثل : فى بلاد تيم الله بن ثعلبة[2] .

الأخرب الحمر : ورد فى قول سام بن رماح الأسدى من لبينى :

تمنيت عمــــرا لا يسير لنجعة ⁂ يردد بين النعف والأخرب الحمر[3]

الأخرب الحمر : هضاب حذاء بتران : جبل قرب الريب[4]

---

(١) الزهرة ١ / ٢٢١ .

(٢) معجم البلدان (الأثل) ١ / ٩١ .

(٣) التعليقات والنوادر ورقة ٥٥ .

(٤) المصدر السابق .

الأخربان : ورد فى قول الصمة بن عبد الله القشيرى :

ويوما بقاع الأخربين جرى لنـا بنحس ظباء الأخربين وذيبها[١]

والأخربان موضع فى ديار بنى عامر بن صعصعة[٢] .

الأطياء : ورد فى قول حبيب بن يزيد :

تروحت من أهل الأطياء ممسيا وفى القلب من أهل الأطياء هاجس[٣]

والأطياء : بثار مطويات بالريب[٤] .

الأعراف : ورد فى قول الصمة بن عبد الله القشيرى :

وما أم أحوى الجدتين خلالها أراك من الأعراف ، أجنى وأينعا[٥]

الأعراف ما ارتفع من الرمل،وفى بلاد العرب عدة أعراف ، منها أعراف لبنى وتقع غرب عماية[٦] .

أفلاج : ورد فى قول نوال بن الثغاء الليبنى :

قصائد من أفلاج يَطْلُبْنَ قرقرى كسير القطا فى غـبرة وطهاء[٧]

وفلج مدينة بأرض اليمامة لبنى جعدة وقشير وكعب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة ، والفلج هو العين الجارية ، وجمع الفلج أفلاج،والأفلاج بلاد واسعة

(١) التعليقات والنوادر ورقة ١١٢ .

(٢) معجم البلدان ١ / ١٢٠ .

(٣) التعليقات والنوادر ورقة ٨٥ .

(٤) المصدر السابق .

(٥) مجموعة أدب ورقة ١٤ .

(٦) معجم البلدان ١ / ٢٢١ وصفة جزيرة العرب ٢٩٦ .

(٧) التعليقات والنوادر ورقة ٧١ .

بها عيون جارية. وفلج الأفلاج ما بين العارض ومطلع الشمس، تصب فيه أودية العارض وتنتهى إليه سيولها، وهى أربعة فراسخ طولا وعرضا مستديرة، وحول فلج الأفلاج: الخطائم مكان كثير الزرع والأطواء ليس فيه نخل. والزنوق: موضع آخر فيه الزروع وأطواء كثيرة، وهو فلج من الأفلاج، وحرم فلج وأكمة فلج والشطبتان فلج من الأفلاج[1]. هذه حال الأفلاج كما وصفها ياقوت الحموى. أما الأفلاج اليوم فهى إحدى مقاطعات نجد الجنوبية، ترتبط بالرياض بطريق معبد يبلغ طوله خمسين وثلاثمائة كِيْلٍ، وقاعدة الأفلاج مدينة ليلى. وفى الأفلاج العديد من القرى التى تهتم بالزراعة لأن المياه مُتَوَفِّرَة؛ ففى المنطقة الكثير من العيون ذات المياه الوافرة.

أكمة: وردت فى قول نوال بن الثغاء:

بأكمة يوم لا تنور نجومه عظيم أشاب الرأس من كل موضع[2]

وفى قول مصعب بن الطفيل القشيرى:

أما تنسيك عالية الليالى وإن بعدت ولا ما تستفيد
إذا ما أهـل أكمة ذدت عنهم قلوصى ذادهم ما لا أذود
قواف كالجهام مشردات تطالع أهـــل أكمة من بعيد[3]

وفى قول مصعب أيضا:

كأنى لجمدى إذا كان أهـــله بأكمة من دون الرفاق خليل
فإن الْتِفَاتِى نحـــو أكمة كلما غدا الشرق فى أعلامها لطويل[4]

---

(١) معجم البلدان ٤ / ٢٧١.
(٢) التعليقات والنوادر ورقة ٨٢.
(٣) معجم البلدان ١ / ٢٤٠.
(٤) معجم البلدان ١ / ٢٤١

وأكمة هذه قرية باليمامة بها منبر وسوق لجعدة ، وقشير تنزل أعلاها[١] وهى فلج من الأفلاج كما مر معنا .

بتران : ورد فى قول مريزيق أبى مدرك :

لأونس من بتران ركنا كأنه من البخت حرجوج عليها جلالها[٢]

وبتران جبل أسود بالعمق عمق الريب[٣] .

برقاء الدخول : وردت فى قول حبيب بن يزيد :

يقـــول على والمطى كأنه بنا يوم برقاء الدخول جهام[٤]

وبرقاء الدخول : بئر بالعارض نجدية[٥] .

برقة اللوى : وردت فى قول مصعب بن طفيل القشيرى :

بناصفة العمقين أو برقة اللوى على النأى والهجران شب شبوبها[٦]

وبرقة اللوى من نواحى اليمامة[٧] .

البشر : ورد فى قول الصمة بن عبد الله القشيرى :

فلما رأينا قـــلة البشر أعرضت لنا وجبال الحزن غيبها البعد

---

(١) المصدر السابق .

(٢) التعليقات والنوادر ورقة ٦٢ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) التعليقات والنوادر ورقة ٣٩ .

(٥) التعليقات والنوادر ورقة ٣٩ .

(٦) معجم البلدان ١ / ٣٩٨ .

(٧) معجم البلدان ١ / ٣٩٠ .

وأعرض ركن من سواج كأنه ‏ ‏ ‏ لعينيك فى آل الضحى فرس ورد[١]

وفى قوله :

ولما رأيت البشر قد حال بيننا ‏ ‏ ‏ وجالت بنات الشوق فى الصدر نزعا[٢]

البشر : قال عنه ياقوت : جبل يمتد من عرض إلى الفرات من أرض الشام من جهة البادية . وقال أيضاً : البشر جبل فى أطراف نجد من جهة الشام[٣] ، ولكن يبدو أن المقصود هنا (النير) ، ومع تصحيف الكلمة تحولت إلى البشر. ومما يؤيد ذلك قرن النير بسواج، وسواج جبل أسود من أعلام حمى ضرية ، وهو من جبال غنى[٤].

بصرى : وردت فى قول الصمة بن عبد الله القشيرى :

نظرت وطرف العين يتبع الهوى ‏ ‏ ‏ بشرقى بصرى نظرة المتطاول

لأبصر نارا أوقدت بعد هجعة ‏ ‏ ‏ لريا بذات الرمث من بطن حايل[٥]

وفى قول يزيد بن الطثرية :

أيا رفقة من أهل بصرى تحملت ‏ ‏ ‏ تؤم الحمى لقيت من رفقـــــه رشداً

وبصرى مدينة بالشام ، وهى قاعدة حوران[٦] .

---

(١) المؤتلف والمختلف ٢١٤ .

(٢) الأغانى ٦ / ٥ .

(٣) معجم البلدان ١ / ٤٢٧ .

(٤) معجم البلدان ٣ / ٢٧١ .

(٥) معجم البلدان ٢ / ٢٠٨ .

(٦) معجم البلدان ١ / ٤٤١ .

تبراك : ورد فى قول الصمة :

ويوما على تبراك أيقنت بالذى تحاذره نفسى فشب شبوبها[١]

وفى قوله :

طوالع الخيل من تبراك مصعدة كما تتابع قيدام من السفن[٢]

وتبراك ماء لبنى نمير فى أدنى المروت لا صق بالوركة[٣] . أما تبراك فى وقتنا الحاضر فقد تحول إلى شبه قرية ، حيث أقيمت فيه المبانى وحفرت فيه بئر عميقة ، وأقيمت فيه محطة وقود . أما الآبار القديمة فما زالت مورداً للبادية حتى الآن . وبتبراك الآن ست آبار كلها قديمة وبها ماء ، وماؤها يبعد عن وجه الأرض عشرين مترا ، وهى آبار مدورة ، وقطر البئر متران ، ويمر بتبراك الآن طريق معبد يربط القويعية قاعدة العرض بالرياض .

التسرير : ورد فى قول الأحزر بن زيد القشيرى :

ولا الروض بالتسرير والسر مقبلا إذا مج فى قربانهن الأباطح[٤]

والتسرير واد عظيم أعلاه فى بلاد بنى كلاب، ويمر ببلاد بنى نمير وينتهى فى بلاد تميم ،وأسفله يسمى السر وروضة التسرير لبنى قشير[٥] .

تمشار : ورد فى قول يزيد بن الطثرية :

ألا لا أرى عصر المنيفة راجعـــا ولا كلياليناا بتمشار مطلبا[٦]

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ١١٢ .

(٢) معجم البلدان ٣ / ٣٤٨ .

(٣) معجم البلدان ٢ / ١٢ .

(٤) المشترك وضعا ٢١٦ .

(٥) معجم البلدان ٢ / ٣١ والمشترك وضعا ٢١٦ .

(٦) مجالس ثعلب ٢ / ٥٤٢ .

وتعشار ماء لبنى ضبة[١] .

ثبير : ورد فى قول ميمون بن عامر :

يعاتبنى فى الود لا ود بيننا طوال الليالى ما أقام ثبير[٢]

وثبير جبل مشرف على منى[٣] .

جبل الأوشال : ورد فى قول الصمة :

ألا من لعين لا ترى قلل الحمى ولا جبل الأوشال إلا استهلت[٤]

الأوشال هى المياه التى تنزل من الجبال مفردها وشل ، والوشل ماء لبنى سلول بن عامر بن صعصعة[٥] .

الجرعاء : وردت فى قول الفارعة بنت معاوية بن قشير :

فما وجد الحيان عمرو ومالك وعقدة بالجرعاء من متقدم[٦]

الجرعاء : الرملة السهلة المستوية ، وجرعاء مالك : بالدهناء قرب حزوى[٧] .

الجرين : ورد فى قول ميمون بن عامر :

فما تمكن بالجرين وانسكبت جون الغمام عليه يردف الخلقا[٨]

---

(١) معجم البلدان ٢ / ٣٤ .

(٢) التعليقات والنوادر ورقة ٥٠ .

(٣) معجم البلدان ٢ / ٧٣ .

(٤) التعليقات والنوادر ورقة ٢٦

(٥) معجم البلدان ٥ / ٣٧٧ .

(٦) التعليقات والنوادر ورقة ٨٤ .

(٧) اللسان (جرع) ٨ / ٤٦ ومعجم البلدان ٢ / ١٢٧ .

(٨) التعليقات والنوادر ورقة ٦٥ .

والجرين واد بالريب[١] .

جفاف : ورد فى قول الصمة :

إلى رأس طود من جفاف كأنه قرا فرس تنصيبها واحزلالها[٢]

وجفاف ماء لبنى جعفر بن كلاب[٣] .

حائل : وردت فى قول اللبيني المنيخس أحد بنى المشنج :

وأن تؤنسى بطن الدبيل وحايل ويبدو لنا من ركن صاحة حارك[٤]

وفى قول عبد الله بن الطفيل :

وعين رماها الله بالشوق كلما رأت حيث يلقى مصرم الحبل حايله[٥]

وفى قول الصمة :

نظرت وطرف العين يتبع الهوى بشرقى بصرى نظـرة المتطاول

لأبصر نارا أوقدت بعد هجعة لريا بذات الرمث من بطن حائل[٦]

وفى قوله :

يا صاحبى أطـال الله رشدكما عوجا على صدور الأبغل السنن

ثم ارفعا الطرف هل تبدو لنا ظعن بحائل يا عناء النفس من ظعن[٧]

---

(١) المصدر السابق .

(٢) التعليقات والنوادر ورقة ١٤٣ .

(٣) معجم البلدان ٢ / ٤٦ .

(٤) التعليقات والنوادر ورقة ٧٨ .

(٥) التعليقات والنوادر ورقة ٢٧ .

(٦) معجم البلدان ٢ / ٢٠٨ .

(٧) معجم البلدان ٣ / ٣٤٨ .

وحائل من أرض اليمامة لبنى قشير [١] .

حجر : ورد فى قول الأخزر بن زيد القشيرى :

عند ابن منظور قلوص نجيبة أبت ماءحجر فهى شوساء طامح [٢]

وفى قول ابن العفى اللبينى :

فإن العين يوم فراض حجر بذنب قـــد علمت به تراك [٣]

وفى قول حبيب بن يزيد :

تعرض نسوة بقصور حجر مليحات التخلب والدلال [٤]

وفى قول يزيد بن الطثرية :

ألا لا أبالى إن نجا لى ابن بوزل ثوائى وتقييدى بحجر لياليـــا [٥]

وحجر هى مدينة اليمامة وأم قراها [٦] .

الحزم : ورد فى قول أحد بنى لبينى :

أو العمق أو أكنافه من عريقة أو الحزم أو ترعى جناحا فصمعرا [٧]

والحزم هنا هو حزم شعبعب، وشعبعب ماء لبنى قشير باليمامة [٨] .

---

(١) معجم البلدان ٢ / ٢١٠ .

(٢) المؤتلف والمختلف ٦٦ .

(٣) التعليقات والنوادر ورقة ٦١ .

(٤) التعليقات والنوادر ورقة ٤٤ .

(٥) الأغانى ٨ / ١٧٥ .

(٦) معجم البلدان ٢ / ٢٢١ .

(٧) التعليقات والنوادر ورقة ٧٣ .

(٨) معجم البلدان ٢ / ٢٥٣ ، ٣ / ٣٤٨ .

الحزن : ورد فى قول الصمة :

فلمـــا رأينا قـلة البشر أعرضت لنا وجبال الحزن غيبها البعد[١]

والحزن من الأرض مافيه خشونة ، والحزن هنا غير مضاف وقد يقصد الشاعر حزن غاضرة[٢] .

حصن الباهلى : ورد فى قول الصمة :

ويوما بحصن الباهلى ظللته أكفكف عبرات تفيض غروبها[٣]

وحصن الباهلى هو حصن بنى عصام ، وعصام هو صاحب النعمان بن المنذر[٤] ، وهذا الحصن فى بلاد باهلة المعروفة الآن بالعرض .

حفارة : وردت فى قول يزيد بن الطثرية :

يقول خليلى باللوى من حفارة وقد قفّ تارات من الخوف جانبه[٥]

وحفارة ماء دون العقيق[٦] .

الحمى : ورد فى قول مريزيق أبى مدرك :

ألا رب جمديين من ساكنى الحمى يمرون مجتازين سمت طريق[٧]

وفى قول يزيد بن الطثرية :

تقيّظ أكناف الحمى ويظلها بنعمان من وادى الأراك مقيل[٨]

---

(١) معجم البلدان ٦ / ٩٤ (ط السعادة) .

(٢) معجم البلدان ٢ / ٢٥٤ .

(٣) التعليقات والنوادر ورقة ١١٢ .

(٤) صفة جزيرة العرب ٢٩٣ .

(٥) التعليقات والنوادر ورقة ٨٧ .

(٦) المصدر السابق .

(٧) التعليقات والنوادر ورقة ٨٣ .

(٨) شرح الحماسة للتبريزى ٣ / ١٦١ .

وفي قول مريزيق أبي مدرك :

جعدية بمغاني الغيل محضرها وبالحمى من أعالي النير مبداها[1]

وفي قول الصمة بن عبد الله القشيري :

سقى الله أطلالا بأكثبة الحمى وإن كن قد أبدين للناس دائيا[2]

وفي قوله :

ألا مَن لعين لاترى قلل الحمى ولاجبل الأوشال إلا استهلت[3]

وفي قوله :

قفا فانظرا نحو الحمى اليوم نظرة فإن غداة اليوم من عهده العهد[4]

وفي قوله :

هل تجزيني العامرية موقفي على نسوة بين الحمى وغضى الجمر[5]

وفي قوله :

ألا تسألان الله أن يسقيَ الحمى بلي فسقى الله الحمى والمطايا[6]

وفي قوله :

تعز بصبر لا وجدك لاترى بشام الحمى أخرى الليالي الغوابر

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٨٣ .

(٢) الحماسة البصرية ٢ / ١٣٣ .

(٣) التعليقات والنوادر ورقة ٢٦ .

(٤) معجم البلدان ٦ / ٩٤ (ط السعادة) .

(٥) الأغاني ٦ / ٣ .

(٦) الأغاني ٦ / ٣ .

كأن فؤادى من تذكُّره الحمى ... وأهل الحمى يهفو به ريش طائر[١]

وفى قوله :

قفا ودِّعا نجــدا ومن حل بالحمى ... وقلّ لنجد عنــدنا أن تودعا

وقوله :

وأذكر أيام الحمى ثم أنثنى ... على كبدى من خشية أن تصدعا

فليست عشيات الحمى برواجع ... عليك ولـكن خل عينيك تدمعا[٢]

وفى قوله :

وإن كنت قد علقت من ساكن الحمى ... مكذبة وعدى صدوقا وعيدها[٣]

والحمى فى هذه الأبيات ورد بغير إضافة ، وإذا ورد الحمى بغير إضافة فإنما يقصد به حمى ضرية ، وهو حمى كليب وفيه قبره[٤]، والأقرب أن يكون المقصود بالحمى فى هذه الأبيات حمى النير بدليل قول مريزيق أبى مدرك (وبالحمى من أهالى النير) وحمى النير هو المحاذى لبلاد قشير من الناحية الغربية .

حمة : وردت فى قول الأقرع بن معاذ القشيرى :

حى المنازل بين حمــــة فاللوى ... إن كنت مشتغلا بهن عميدا[٥]

الحمة : الحجارة السوداء ، وفى بلاد العرب حمات كثيرة ، منها ست فى بلاد كلاب ، وهذه الحمة التى ذكرها الشاعر قد تكون فى بلاد كلاب[٦] .

---

(١) الأغانى ٦ / ٤ .

(٢) مجموعة أدب ورقة ١٤ .

(٣) الأشباه والنظائر ٢ / ١٤٠ .

(٤) معجم البلدان ٢ / ٣٠٨ .

(٥) المنازل والديار ٢٢ .

(٦) معجم البلدان ٢ / ٣٠٦ .

الخرج : ورد فى قول المختار بن وهب :

وخيمت بالخرج فى عسكارها[١]

والخرج واد فيه قرى من أرض اليمامة لبنى قيس بن ثعلبة بن عكابة من بكر بن وائل[٢] ، والخرج فى وقتنا الحاضر مقاطعة واسعة تقع جنوب مدينة الرياض وتبعد عنها بما يقرب من ثمانين كيلا ، وتشتهر الخرج بعيونها ومزارعها الواسعة ، وقاعدة الخرج مدينة السيح .

خزازى : ورد فى قول الصمة :

ســـلا عبد الاعلى حيث أوفى عشية

خزازى ومد الطرف هل أنس النجدا[٣]

وخزازى : جبل بين منعج وعاقل بإزاء حمى ضرية[٤] وبإمكان المشاهد أن يرى هذا الجبل وهو فى بلدة دخنة . أما إذا صعدت رأس هذا الجبل فإنك ستشرف على نجد وسترى مساحات واسعة من أرض نجد ، غير أن رأس هذا الجبل الآن يتكون من صخرة يبلغ ارتفاعها عشر أذرع تقريبا ، ومن المتعذر الصعود فوق هذه الصخرة ، وقد تكون هذه الصخرة فى القديم سهلة الصعود عندما أوقدت النار فوق هذا الجبل. وبسبب إيقاد هذه النار انتصر عرب الشمال على عرب الجنوب . وحتى الصعود إلى رأس هذا الجبل ليس بالأمر السهل فيحتاج الصاعد إلى قمة الجبل إلى ساعة كاملة .

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٣٤ .

(٢) معجم البلدان ٢ / ٣٥٧ .

(٣) التعليقات والنوادر ورقة ٤٨ .

(٤) معجم البلدان ٢ / ٣٦٥ .

خل الملح : ورد فى قول يزيد بن الطثرية :

بأسفل خل الملح إذ دين ذى الهوى مؤدى وإذ خيار الوصال أوائله[١]

الخل الطريق فى الرمل ، وخل الملح قد يكون الطريق الذى ينفذ إلى حفر الملح القريبة من بلدة القصب فى غربى اليمامة[٢] .

دابق : ورد فى قول الصمة :

حلفت بدار الصيد ما كفة الغضى ولا دابق من واسط بقريب[٣]

دابق : قرية قرب حلب[٤] .

الدبيل : ورد فى قول اللبينى المنيخس أحد بنى المشنج :

وأن تؤنسى بطن الدبيل وحايل وببدولنا من ركن صاحة حارك[٥]

وفى قول القرطى من بنى مالك قشير :

ومرا بأمواه الدبيل واعلـــا بأن قرانا بعدها مستقا كا[٦]

والدبيِّل بين العارض والريب[٧] .

دجلة : وردت فى قول يزيد بن الطثرية :

خلا الفيض ممن حـــله فالخمائل فدجلة ذى الأرطى فقرن الهوامل[٨]

---

(١) الأغانى ٨ / ١٦٢ .

(٢) معجم البلدان ٢ / ٣٨٤ .

(٣) التعليقات والنوادر ورقة ٢٦ .

(٤) معجم البلدان ٢ / ٤١٦ .

(٥) التعليقات والنوادر ورقة ٧٨ .

(٦) التعليقات والنوادر ورقة ١٠٦ .

(٧) التعليقات والنوادر ورقة ٧٨ .

(٨) معجم البلدان ٢ / ٤٤٢ .

ودجلة موضع في ديار العرب بالبادية[١]. ومما يظهر من سياق الأبيات أن دجلة هذه في عالية نجد قريبة من عاقل والسليل ، وهذه أماكن معروفة وقريبة من مدينة الرس .

الدعثمات: وردت في قول القرطي من بني مالك قشير :

ولا توردانى الدعثمات فإنها هماج ولا تروى الهماج صداكما[٢]

والدعثمات قريبة من قنى ، وقنى من قرى اليمامة بناحية الريب[٣] ، ومن سياق الأبيات يظهر أن الدعثمات موارد ماء بين قنى والدبيل .

الدفان : ورد في قول محمد بن حكيم :

سقى القبر قبرا بالدفان محله من الرعد ريان الذباب وكوف[٤]

والدفان واد يصب في سواد باهلة[٥] .

دلاميس : ورد في قول الأبرق الحرى :

ألفى خداجا فلا إتمام واحتسبي

حوضى دلاميس واغدى أيها الناب[٦]

ودلاميس ماء باليمامة في ناحية البياض[٧] .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) التعليقات والنوادر ورقة ١٠٦ .

(٣) معجم البلدان ٤ / ٤١٠ .

(٤) التعليقات والنوادر ورقة ٦٧ .

(٥) المصدر السابق .

(٦) التعليقات والنوادر ورقة ٦٨ .

(٧) معجم البلدان ٢ / ٤٥٩ .

الدياث : ورد فى قول عبيد الله الطريد :

أبلغ ربيعة حيث أمسى قـــبره   أنى ثأرت عظامه من قعنب
أنى دببت له بنعف عريقة   بعد الدياث بذى حسام مقضب[١]

والدياث فى بلاد باهلة؛ لأن بلاد باهلة يطلق عليها عريقة[٢]، والشاعر قرن عريقة بالدياث .

ذات الرمث : وردت فى قول الصمة :

نظرت وطرف العين يتبع الهوى   بشرقى بصرى نظرة المتطاول
لأبصر ناراً أوقدت بعد هجعة   لريا بذات الرمث من بطن حائل[٣]

وذات الرمث فى بطن حائل كما هو واضح فى البيت . وحائل فى غربى اليمامة لبنى قشير[٤] .

ذروة : وردت فى قول الصمة :

نظرت وأصحابى بذروة نظرة   فلو لم تفض عيناى أبصرتا نجدا[٥]

وذروة مكان فى ديار غطفان وذات ذرو من أودية اليمامة[٦] .

ذو سلم : ورد فى قول الصمة :

فليت جمال الحى يوم ترحلوا   بذى سلم أمست مزاحيف ظلعا[٧]

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٥٩ .
(٢) لسان العرب (عرق) ١٠ / ٢٥٠ .
(٣) معجم البلدان ٢ / ٢٠٨ .
(٤) معجم البلدان ٢ / ٢١٠ .
(٥) معجم البلدان ٣ / ٦ .
(٦) معجم البلدان ٣ / ٥ .
(٧) الأشباه والنظائر ٣ / ٢٦ .

وذو سلم واد ينحدر على الذنائب، والذنائب فى أرض بنى البكاء[1] .

ذو المرخ : ورد فى قول القشيرى :

تعزى بصبر لن ترى من خويلد حمولا دعتها نية وهضوب
ولن تسمعى بالجو جو مخمر وذى المرخ قبل الموت صوت مهيب[2]

وذو مرخ واد يمر فى قرية الخارجة باليمامة[3] .

رامة : وردت فى قول يزيد بن الطثرية :

عهدى بها زمن الجميع برامة شنباء طيبة اللثام برودا[4]

ورامة منزل فى طريق البصرة إلى مكة[5] ، ورامة هذه جبلان صغيران متجاوران يقعان جنوبى بلدة البدايع ، وبإمكان المشاهد أن يراهما وهو فى هـذه البلدة .

الرقاشان : وردا فى قول الصمة :

أمن أجل دار بالرقاشين أعصفت عليها رياح الصيف بدءا ورجّعا[6]

والرقاشان جبلان بأعلى الشريف فى ملتقى دار كعب وكلاب[7]

الريب : ورد فى قول بطال بن معاوية أحد بنى مالك بن سلمة بن قشير :

---

(١) معجم البلدان ٣ / ٢٤٠ .

(٢) التعليقات والنوادر ورقة ١٠٧ .

(٣) معجم البلدان ٥ / ١٠٣ .

(٤) حماسة ابن الشجرى ١٥٩ .

(٥) معجم البلدان ٣/١٨ .

(٦) مجموعة أدب ورقة ١٤ .

(٧) معجم البلدان ٣/٥٦ .

أيا أجزع الريب الذى لست ذاكرا ظلالك إلا اعتاد عينى مايح[١]

وفى قول القرطى من بنى مالك قشير :

خليلى ممن يسكن الريب قد بدا هواى فلا أدرى علام هواكما[٢]

وفى قول حبيب بن بزيد :

أرى الريب أمسى من حبيل وبيهس وأحمد مغبر الجوانب خاليا[٣]

والريب ناحية باليمامة فيها قرى ومزارع ابنى قشير[٤]، وبنو قشير الذين يسكنون الريب هم بنو معاوية بن قشير: عبيدة، وخزيمة، ومريح، وسامة، وحيدة، والحجاج، وعمر[٥]. أما الآن فإننا لانجد فى هذا الوادى أحداً من بنى قشير وإنما تقطن وادى الريب قبائل قحطان التى قدمت من الجنوب ، وقد أنشأت القرى والقصور والمزارع، وأصبح وادى الريب الآن معمورا بالسكان، وهو يبعد عن بلدة القويعية قاعدة المنطقة بما يقرب من ستين كيلا ويقع فى الناحية الجنوبية من هذه البلدة .

زرود : وردت فى قول أحد بنى لبينى:

فراحت رواحا من زرود فنازعت عباية جلباب من الليل أخضرا[٦]

وزرود رمال بين الثعلبية والخزيمية[٧] .

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٧٢ .

(٢) التعليقات والنوادر ورقة ١٠٦

(٣) التعليقات والنوادر ورقة ٧٣ .

(٤) معجم البلدان ٣ / ١١١ .

(٥) التعليقات والنوادر ورقة ٣١ .

(٦) التعليقات والنوادر ورقة ٧٣ .

(٧) معجم البلدان ٣ / ١٣٩ .

السرو : وردت فى قول مسلم بن عسكر اللبينى :

عقيلية بالسرو أدنى محلها وفى النفس منها حاجة لا تنالها[١]

والسرو : سرو ربيعة بنت عقيل أسفل بيشة بلد مراة عذاة[٢].

سُعْد : وردت فى قول الصمة :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بسعد ولما تخل من أهلها سعد[٣]

وسعد قرية بقرقرى غربى اليمامة[٤].

سَعْد : ورد فى قول يزيد بن الطثرية :

وهل مثل أيامى بنعف سويقة رواجع أيام كما كن بالسعد[٥]

والسعد : موضع قريب من المدينة[٦].

سلامان : ورد فى قول يزيد بن الطثرية :

وأنى اهتدت أسماء والنعف دونها لركب بأعلى ذى سلامان نازل[٧]

وسلامان ماء لبنى شيبان[٨]

السليل : ورد فى قول يزيد بن الطثرية :

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ١٣١ .

(٢) التعليقات والنوادر ورقة ١٣١ .

(٣) معجم البلدان ٣ / ٢٢٠

(٤) المصدر السابق .

(٥) ذيل الأمالى ١٠٣ .

(٦) معجم البلدان ٣ / ٢٢١ .

(٧) معجم ما استعجم ٣/ ٧٤٥ .

(٨) المصدر السابق .

وقد كان محتلا وفى العيش غرة ... لأسماء مفضى ذى سليل وعاقل[١]

وفى قول الصمة :

ومنزلتى ظمياء من بطن عاقل ... وذات السليل كيف حالكما بعدى[٢]

وفى قوله :

رمتنى بالسليل غداة بانوا ... على حذر وما رمت اغترارا[٣]

والسليل : واد فى بلاد بنى أسد[٤]، ويعرف الآن بالسليل بالتصغير، وينحدر من جبل أبان ويفيض بوادى الرمة ويبعد عن مدينة الرس بما يقرب من خمسين كيلا من الناحية الغربية .

السمار : ورد فى قول نوال بن الثغاء القشيرى :

فلما بدا رأس السمار تخونوا ... وأرسل فيهم ربنا بالتشاغب[٥]

والسمار موضع بين ترج وتبالة[٦] .

سواج : ورد فى قوله الصمة :

وأعرض ركن من سواج كأنه ... لعينيك فى أل الضحى فرس ورد[٧]

وسواج : جبل أسود من أجبلة حمى ضرية[٨] :

---

(١) معجم البلدان ٢ / ٤٤٢ .

(٢) الأشباء والنظائر ٢ / ١١١

(٣) التعليقات والنوادر ورقة ١٤٥ .

(٤) معجم البلدان ٣ / ٢٤٣ .

(٥) التعليقات والنوادر ورقة ٦١ .

(٦) صفة جزيرة العرب ٤٣٠ .

(٧) المؤتلف والمختلف ٢١٤ .

(٨) معجم البلدان ٣ / ٢٧١ .

السواد : ورد فى قول معروف بن قدامة القرى القشيرى :

إذا حلت منيعة بطن بول وأهلك بالرعان من السواد[١]

والسواد سواد باهلة[٢] .

سويقة : وردت فى قول يزيد بن الطثرية :

وهل مثل أيامى بنعف سويقة رواجع أيام كما كن بالسعد[٣]

وسويقة ماء للضباب فى حمى ضرية[٤] ، وسويقة أيضا موضع قريب من المدينة[٥] .

الشرى : ورد فى قول المختار بن وهب :

كأن فى ريقه المقدم هضب الشرى فى جنح ليل مظلم[٦]

وفى قول ميمون بن عامر :

وقدمتنى حتى إذا ما جعلتنى لأسد الشرى وليت يا ابن يزيد[٧]

وفى قول الصمة :

فما وجد علوى الهوى حن واجتوى بلوذ الشرى والغور ماء ومرتعا[٨]

والشرى جبل بنجد فى ديارطيئ وجبل بتهامة موصوف بكثرة السباع[٩] .

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٣٤ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) ذيل الأمالى ١٠٣ .

(٤) بلاد العرب ٣٩١ .

(٥) معجم البلدان ٣ / ٢٨٦ .

(٦) التعليقات والنوادر ورقة ٣٢ .

(٧) التعليقات والنوادر ورقة ٥٠ .

(٨) أمالى اليزيدى ١٤٨ .

(٩) معجم البلدان ٣ / ٣٣٠ .

شريف : ورد فى قول محمد بن حكيم :

وبالأجبل اللاتى تقابلن أقبر ... وبالأقبر اللاتى تلين شريف[1]

والشريف : دار بنى نمير، ويقع الشريف شرق وادى التسرير[2] .

شعبعب : ورد فى قول الصمة :

ألا يا جراد الغور هل أنت مبلـغ ... سلاما ولا تنحل غمار شعبعبا[3]

وفى قوله :

ياليت شعرى والأقدار غالبة ... والعين تذرف أحيانا من الحزن

هل أجملن يدى للخد مرفقة ... على شعبعب بين الحوض والعطن[4]

وشعبعب ماء لبنى قشير فى اليمامة[5] .

صاحة : ورد فى قول اللبينى المنيخس أحد بنى المشنج :

وأن تؤنسى بطن الدبيل وحائل ... ويبدو لنا من ركن صاحة حارك[6]

وصاحة جبل بالركاء والدخول ، وقيل هضاب حمر لباهلة[7] .

الصمد : ورد فى قوله الصمة :

ألا أيها الصمد الذى كنت مرة ... بحلك أسقيت الفوادى من صمد[8]

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٦٧ .

(٢) معجم البلدان ٣ / ٣٤١ .

(٣) التعليقات والنوادر ورقة ٨٤ .

(٤) تاج العروس ١ / ٣٢١ .

(٥) معجم البلدان ٣ / ٣٤٨ .

(٦) التعليقات والنوادر ورقة ٧٨ .

(٧) معجم البلدان ٣ / ٣٨٧ .

(٨) الأشباه والنظائر ٢ / ١١١

والصمد ماء للضباب[١] .

الضبيب : ورد في قول يزيد بن الطثرية :

يقول بصحراء الضبيب ابن بوزل ... وللعين من فرط الصبابة نازح[٢]

والضبيب من مياه بني نمير ، وقيل هو لبني أسيدة ، من قشير[٣] .

الضمار : ورد في قول الصمة :

أقول لصاحبي والعين تهوى ... بنا بين المنيفة فالضمار

تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار[٤]

والضمار : موضع بين نجد واليمامة[٥] .

عارمة : وردت في قول الصمة :

أقول لعياش صحبنا وجابر ... وقد حال دوني هضب عارمة الفرد[٦]

وعارمة من منازل بني قشير ، وقيل جبل لبني عامر بنجد[٧] .

عاقل : ورد في قول الصمة :

ومنزلتي ظمياء من بطن عاقل ... وذات السليل كيف حالكما بعدي[٨]

---

(١) معجم البلدان ٣ / ٤٢٣ .

(٢) معجم البلدان ٣ / ٤٥٢ .

(٣) معجم البلدان ٣ / ٤٥٢ .

(٤) شرح الحماسة للمرزوقي ٣ / ١٢٤٠ .

(٥) معجم البلدان ٣ / ٤٦٢ .

(٦) معجم البلدان ٤ / ٦٦ .

(٧) المصدر السابق .

(٨) الأشباه والنظائر ٢ / ١١١ .

وفى قول القعقاع بن ربيعة القشيرى :

عين ابن دارة خير منكما نظرا　　　إذ الحدوج بأعلى عاقل زمر[١]

وفى قول يزيد بن الطثرية :

خلا الفيض ممن حله فالخمائل　　　فدجلة ذى الأرطى فقرن الهوامل

وقد كان محتلا وفى العيش غرة　　　لأسماء مفضى ذى سليل وعاقل[٢]

وعاقل : واد بنجد من حزيز أضاخ، أعلاه لغنىّ وأسفله لبنى أسد وبنى ضبة وبنى أبان بن دارم[٣] ، ويعرف الآن بالعاقلي، ويبعد عن مدينة الرس بما يقرب من أربعة عشر كيلا من ناحية الجنوب الشرقى .

العبر : ورد فى قول يزيد بن الطثرية :

ومن دونها من قلة العبر مخرم　　　يشبهه الرائى حصانا موطنا[٤]

والعبر جبل ، والعبر ما بين يبرين إلى الفلج[٥] .

العثعثان : ورد فى قول الصمة :

فما طابت الريح الجنوب بدابق　　　ولكنها بالعثعثين تطيب[٦]

العثعث : رأس النقا الأحمر[٧] ، والعثاعث غربى الدهناء[٨] .

---

(١) الوحشيات ٢٠٦ .

(٢) معجم البلدان ٣ / ٤٤٢ .

(٣) معجم البلدان ٤ / ٦٨ .

(٤) معجم البلدان ٤ / ٧٨ .

(٥) المصدر السابق .

(٦) التعليقات والنوادر ورقة ٢٦ .

(٧) المصدر السابق .

(٨) صفة جزيرة العرب ٢٨٢ .

عرجفاء : وردت فى قول يزيد بن الطثرية :

خليلى بين المنحنى من مخمـــر   وبين اللوى من عرجفاء المقابل[١]

وعرجفاء : ماء لبنى قشير[٢] .

عريقة : وردت فى قول عبيد الله الطريف :

أبلغ ربيعة حيث أمسى قبره   أنى ثأرت عظــامه من قعنب

أنى دبيت له بنعف عريقــة   بعد الدياث بذى حسام مقضب[٣]

وفى قول أحد بنى لبينى :

أو العمق أو أكنافه من عريقة   أو الحزم أو ترعى جناحا فضمرا[٤]

وفى قول حباب بن بكير القرى :

صدع الظعائن قلبك المشغوفا   بلوى عريقة إذ أردن خفوفا

ولقد أقمن فما قضيت لبانة   بلوى عريقة مربعا ومصيفا[٥]

وعريقة جبل بين الريب وسواد باهلة[٦] .

العظاة : وردت فى قول الصمة :

إذا ذكرت ماء العظــاة وطيبه   وبرد الحصا من أرض نجد أرنت[٧]

---

(١) الأغانى ٨ / ١٦٦ .

(٢) معجم البلدان ٤ / ١٠٥ .

(٣) التعليقات والنوادر ورقة ٥٩ .

(٤) التعليقات والنوادر ورقة ٧٣ .

(٥) التعليقات والنوادر ورقة ٦٧ .

(٦) صفة جزيرة العرب ٢٩٤ .

(٧) التعليقات والنوادر ورقة٢٨

والعظاءة ماء لبنى كعب بن أبى بكر[١] .

العقيق : ورد فى قول زينب بنت العاثرية :

أرى الأثل من وادى العقيق مجاورى   مقيما وقد غالت يزيد غوائله[٢]

والعقيق عقيق بنى عقيل فى اليمامة[٣] .

العمق : ورد فى قول نوال بن الثغاء القشيرى :

ينادى طفيلا والقريعات أجمعوا   وعندهم بالعمق منا التجارب[٤]

وفى قول أحد بنى ابينى :

أو العمق أو أكنافه من عريقة   أو الحزم أو ترعى جناحا فصمعرا[٥]

العمق عمق الريب[٦] .

الغرابات : ورد فى قول المختار بن وهب :

يا دار سلمى بالكثيب الأهيم   بين الغرابات وبين المصرم[٧]

والغرابات أقيرن بأطراف الحلة[٨] . والحلة اسم قف من الشريف بناحية أضاخ بين ضرية واليمامة[٩] .

---

(١) معجم البلدان ٤ / ١٣٠ .

(٢) الأمالى ٢ / ٨٣ .

(٣) معجم البلدان ٤ / ١٣٩ .

(٤) التعليقات والنوادر ورقة ٦١ .

(٥) التعليقات والنوادر ورقة ٧٣ .

(٦) التعليقات والنوادر ورقة ٦٢ .

(٧) التعليقات والنوادر ورقة ٣٢ .

(٨) المصدر السابق .

(٩) معجم البلدان ٢ / ٢٩٥ .

الغضى : ورد فى قول يزيد بن الطثرية :

لو أنك شاهدت الصبا يا ابن بوزل بجزع الغضى إذ راجعتنى غياطله[١]

والغضى أرض فى ديار بنى كلاب ، والغضى واد بنجد[٢] .

غمار شعبعب : ورد فى قول الصمة :

ألا يا جراد الغور هل أنت مبلغ سلاما ولا تفحل غمار شعبعبا[٣]

والغمار فى اللغة الماء الكثير، والغمار واد بنجد[٤]، وبإضافته إلى شعبعب فى بيت الصمة يتبين أن الغمار قريب من شعبعب وشعبعب مر معنا .

الغور : ورد فى قول يزيد بن الطثرية :

هواى بهـذا الغور غور تهامة
وليس بهذا الجلس من مستوى نجد[٥]

وفى قول الصمة :

فما وجد علوى الهوى حن واجتوى بلوذ الشرى والغور ماء ومرتعا[٦]

والغور يطلق على تهامة[٧] .

---

(١) الأغانى ٨ / ١٦٢ .

(٢) معجم البلدان ٤ / ٢٠٥ .

(٣) التعليقات والنوادر ورقة ٨٤ .

(٤) اللسان (غمر) ٥ / ٢٩ ، معجم البلدان ٤ / ٢٠٩ .

(٥) ذيل الأمالى ١٠٣ .

(٦) أمالى اليزيدى ١٤٨ .

(٧) معجم البلدان ٤ / ٢١٦ .

الغيل : ورد فى قول مريزيق أبى مدرك :

جعدية بمغانى الغيل محضرها وبالحمى من أعالى النير مبداها[١]

والغيل : وادلبنى جعدة بين جبلين ملآن نخيلا وبأعلاه نفر من بنى قشير ، ويقع هذا الوادى فى جوف العارض[٢] . وإذا كان هذا الوادى ملآن نخيلا عندما كتب عنه ياقوت الحموى فإنه ملآن نخيلا الآن لم يتغير وضعه ولم يتغير اسمه؛ فبلدة الغيل تحمل هذا الاسم الآن، وهى تبعد عن مدينة ليلى عاصمة الأفلاج بما يقارب الثلاثين كيلا ، وهذا الوادى مشتهر بنخيله منذ القدم ؛ ففى شعر مجنون بنى عامر ما يدل على أن هذا الوادى ملآن بالنخيل فى زمنه يقول :

أأن هتفت يوما بواد حمامة بكيت ولم يعذرك بالجهل عاذر
دعت ساق حر بعدما علت الضحى فهاج لك الأحزان أن ناح طائر
تغنى الضحى والصبح فى مرجحنة كثاف الأعالى تحتها الماء حائر
كأن لم يكن بالغيل أو بطن أيكة أو الجزع من تول الأشاءة حاضر[٣]

وبالقرب من قرية الغيل يوجد جبل قيس ، ولا شك أن هذا الجبل هو جبل التوباد الذى كان قيس يرتاده كثيرا ، ويقول المجنون فى هذا الجبل :

وأجهشت للتوباد حين رأيته وكبر للرحمن حين رآنى
وأذريت دمع العين لما عرفته ونادى بأعلى صوته فدعانى
فقلت له قد كان حولك جيرة وعهدى بذاك الصرم منذ زمان
فقال مضوا واستودعونى بلادهم ومن ذا الذى يبقى على الحدثان[٤]

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٨٣ .
(٢) معجم البلدان ٤ / ٢٢٢ .
(٣) الأغانى ٢ / ٥١ .
(٤) الأغانى ٢ / ٥٣ .

وقد كان المجنون وليلى يرعيان غنم أهلهما فى سفوح هذا الجبل[١] ، وهذا هو سبب تعلق المجنون بجبل التوباد حتى أطلق اسمه على هذا الجبل ، أما ليلى فقد أطلق اسمها على عاصمة الأفلاج التى تعرف الآن بليلى، ويفصل بين ليلى وقيس ثلاثون كيلا .

فراض حجر : وردت فى قول ابن العفى اللبينى :

فإن العين يوم فراض حجر   بذنب قد علمت به تراك[٢]

والفراض جمع فرضة يعلونها من العارض إذا دخلوا اليمامة . والفرضة والثلمة شىء واحد، وهى الثنية فى الجبل[٣] . وحجر مدينة اليمامة وأم قراها[٤] .

فراض الوشم : وردت فى قول يزيد بن الطثرية :

ويوم فراض الوشم أذريت عبرة   كما ضيع السلك الجمان المثقبا[٥]

والفراض جمع فرضة وهى الثلمة أو الثنية فى الجبل[٦] ، والوشم موضع باليمامة[٧] يقع فى غربيها .

فلج : ورد فى قول عبد الرحمن بن قشير :

(١) الأغانى ٢ / ٥٢ .

(٢) التعليقات والنوادر ورقة ١٦ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) معجم البلدان ٢ / ٢٢١ .

(٥) مجالس ثعلب ٢ / ٥٤٢ .

(٦) التعليقات والنوادر ورقة ٦١ .

(٧) معجم البلدان ٥ / ٣٧٨ .

أقمنا بفلج واللهابة للعدا بضرب كإحراق اليراع المسند[١]

والفلج واد يفلق الحزن ، وهو من منازل عدى بن جندب بن العنبر بن عمرو بن تميم ، ويوجد بالفلج حفر أبى موسى[٢] ، ويعرف الآن بالحفر بغير إضافة أو بحفر الباطن ، والحفر بلدة عامرة ، تلتقى فيها طرق كثيرة .

الفيض : ورد فى قول يزيد بن الطثرية :

خلا الفيض ممن حله فالخمائل فدجلة ذى الأرطى فقرن الهوامل[٣]

والفيض ماء لجهينة[٤] .

قرقرى : وردت فى قول نوال بن الشفاء :

قصائد من أفلاج يطلبن قرقرى كسير القطا فى غبرة وطهاء[٥]

وفى قول مريزيق أبى مدرك :

وأشرفت فى غيطاء من رمل قرقرى

بغيض إلينا سهلها وجبالها[٦]

وفى قول الصمة :

إلى الله أشكو نية يوم قرقرى مفرقة الأهواء شتى شعوبها[٧]

وقرقرى أرض باليمامة بين الوشم والعارض فيها قرى وزروع ونخيل

(١) بلاد العرب ٢٤٩ .

(٢) صفة جزيرة العرب ٢٨٦ ومعجم البلدان ٤ / ٢٧٢ .

(٣) معجم البلدان ٣ / ٤٤٢ .

(٤) معجم ما استعجم ٣ / ١٠٣٦ .

(٥) التعليقات والنوادر ورقة ٧١ .

(٦) التعليقات والنوادر ورقة ٦٢ .

(٧) التعليقات والنوادر ورقة ١١٢ .

كثيرة . ومن قراها الهزيمة وقرما والجواء والأطواء وتوضح [١] . ولاتزال قرقرى فى وقتنا الحاضر على وضعها القديم، ففى قرقرى الآن قصور ومزارع وقرى ، قاعدة قرقرى بلدة ضرما .

قرن نخلة : ورد فى قول الصمة :

ويوما بقرن قرن نخـــلة راجعت   بنفسك زفرات بنجد طبيبها [٢]

وقرن نخلة هو قرن المنازل ميقات أهل نجد [٣] .

قرى : وردت فى قول بعض بنى قشير :

قـد صبحت والشمس يجرى آلها   حوضا بقرى بارد أسجالها [٤]

وقرى هذه بعمق الريب [٥] .

قنى : ورد فى قول القرطى من بنى مالك قشير :

وروحا بنا نجمل قنيا وأهله   شمالا ومرا منه حيث يراكما [٦]

وفى قول الصمة :

تحمل أهلى من قنين وغادروا   به أهل ليلى حين جيد وأمرعا [٧]

---

(١) معجم البلدان ٤ / ٣٢٦ .

(٢) التعليقات والنوادر ورقة ١١٢ .

(٣) معجم البلدان ٤ / ٣٣٢ ، ٥ / ٢٧٧ .

(٤) التعليقات والنوادر ورقة ٤٦ .

(٥) المصدر السابق .

(٦) التعليقات والنوادر ورقة ١٠٦

(٧) الأغانى ٦ / ٨ .

وقنين فى بيت الصمة محرف عن قنى ، وقنى من قرى اليمامة بناحية الريب[١] .

القهر : ورد فى قول يزيد بن الطثرية :

أنعت عيرا من عيور القهر أقمر من شر حمير قمر[٢]

والقهر موضع فى بلاد جعدة[٣] .

الكدام : ورد فى قول بنت بحير بن عبد الله :

فما كعب بكعب أن أقامت ولم تثأر بثارشها القتيل

وذحلهم يناديهم مقيما لدى الكدام طلاب الذحول[٤]

والكدام موضع قبل المروت[٥] .

لينة : وردت فى قول مربزيق بن صالح :

أيا أضلع المـــاء اللواتى بلينة سقيتن من صوب الغمام اللوامح[٦]

ولينة ماء لبنى غاضرة فى نجد[٧] .

اللوى : ورد فى قول الأفرع بن معاذ القشيرى :

حى المنازل بين حمة فاللوى أن كنت مشتغلا بهن عميدا[٨]

---

(١) معجم البلدان ٤ / ٤١٠ .

(٢) الأغانى ٨ / ١٧٣ .

(٣) اللسان (قهر) ٥ / ١٢٠ .

(٤) معجم ما استعجم ٤ / ١١١٨

(٥) معجم ما استعجم ٤ / ١١١٨ .

(٦) التعليقات والنوادر ورقة ١٥٢ .

(٧) معجم البلدان ٥ / ٢٩ .

(٨) المنازل والديار ٢٢ .

واللوى منقطع الرمل ، واللوى واد فى ديار بنى سليم[١] .

اللهابة : وردت فى قول عبد الرحمن بن قشير :

أقمنا بفلج واللهابة للعدا بضرب كإحراق اليراع المسند[٢]

واللهابة خبر بالشواجن فى ديار ضبة فيه ركايا عذبة تخترقه طريق بطن فلج[٣] .

مخمر : ورد فى قول القشيرى :

ولن تسمعى بالجـــو جو مخمر

وذى المرخ قبل الموت صوت مهيب[٤]

وفى قول أحد بنى لبينى :

فما إبل تنوينها بقريبة ترود بمسحى أو ترود مخمرا[٥]

وفى قول يزيد بن الطثرية :

خليلى بين المنحنى من مخمر وبين اللوى من عرفجاء المقابل[٦]

ومخمر واد لبنى قشير[٧] .

مسحى : ورد فى قول أحد بنى لبينى المتقدم (ترود بمسحى أو ترود مخبرا)

---

(١) معجم البلدان ٥ / ٢٣ .

(٢) بلاد العرب ٢٤٩ .

(٣) معجم البلدان ٥ / ٢٧ .

(٤) التعليقات والنوادر ورقة ١٠٧ .

(٥) التعليقات والنوادر ورقة ٧٣ .

(٦) الأغانى ٨ / ١٦٦ .

(٧) معجم البلدان ٥/٧٣ .

ومسحى وشل حذاء الريب [1] .

المطالى : وردت فى قول الصمة :

ألا تسألان الله أن يسقى الحمى   الى فسقى الله الحمى والمطاليا [2]

والمطالى أرض واسعة من بلاد أبى بكر بن كلاب [3] .

مطلوب : ورد فى قول الصمة :

ويوما بمطلوب وجدت حرارة   طويلا بألواذ الفؤاد نشوبها [4]

ومطلوب من مياه بنى بكر بن كلاب [5] .

الملحاء : وردت فى قول المريحى :

تربع بالملحـــاء أول صيفه

إلى جزع خوعى حين جيدت خمايله [6]

والملحاء قرية فى الخرج بأرض اليمامة [7] .

المنيفة : وردت فى قول يزيد بن الطثرية :

ألا لا أرى عصر المنيفة راجعا   ولا كلياليها بتمشار مطلبا [8]

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٧٣ .

(٢) الأغانى ٦ / ٣ .

(٣) مراصد الاطلاع ٣ / ١٢٨٤ .

(٤) التعليقات والنوادر ورقة ١١٢ .

(٥) معجم البلدان ٥ / ١٠٥ .

(٦) التعليقات والنوادر ورقة ١٣٠ .

(٧) معجم البلدان ٥ / ١٩٠ .

(٨) مجالس ثعلب ٢ / ٥٤٢ .

وفى قول الصمة :

أقول لصاحبي والعيس تهوى بنا بين المنيفة فالضمار
تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار [١]

والمنيفه ماء لتميم على فلج [٢] ، وفلج تقدم تحديده .

ناصفة العمقين : وردت فى قول مصعب بن طفيل القشيرى :

بناصفة العمقين أو برقة اللوى على النأى والهجران شب شبوبها [٣]

وناصفة العمقين واد فى بلاد بنى قشير [٤] .

نخلة : وردت فى قول ميمون بن عامر :

والله ماعلمت نفسى لها طبما والطالعات ثنايا نخلة رقا [٥]

ونخلة واد بينه وبين مكة مسيرة ليلتين [٦] .

النسار : ورد فى قول الفارعة بنت معاوية القشيرية :

منا فوارس قاتلوا عن سبيهم يوم النسار وليس منا أشطر [٧]

وفى قولها :

شفى الله نفسىَ من معشر أضاعوا قدامة يوم النسار [٨]

(١) شرح الحماسة للمرزوقى ٣ / ١٢٤٠ .

(٢) معجم البلدان ٥ / ٢١٧ .

(٣) معجم البلدان ١ / ٣٩٨ ، ٥ / ٢٥٢ .

(٤) معجم البلدان ٥ / ٢٥٢ .

(٥) التعليقات والنوادر ورقة ٦٥ .

(٦) معجم البلدان ٥ / ٢٧٧ .

(٧) النقائض ١ / ٢٤٢ .

(٨) بلاغات النساء ١٧٩ .

والنسار ماء لبنى عامر بن صعصعة ، وقيل جبل فى ناحية حمى ضرية [١] .

النعف : ورد فى قول يزيد بن الطثرية :

وأنى اهتدت أسماء والنعف دونها   لركب بأعلى ذى سلامان نازل [٢]

النعف ورد هكذا بدون إضافة ، وقد يكون نعف مياسر ، وهو ما بين الدوداء والمدينة [٣] .

نعمان : ورد فى قول يزيد بن الطثرية :

تقيظ أكناف الحمى ويظلها   بنعمان من وادى الأراك مقيل [٤]

ونعمان واد ينبت الأراك بين مكة والطائف [٥] .

النير : ورد فى قول الصمة :

ولا النير إلا أسبلت وكأنها   على ربد باتت عليه وظلت [٦]

وفى قول مريزبق أبى مدرك :

جعدية بمغانى الغيل محضرها   وبالحمى من أعالى النير مبداها [٧]

والنير جبل بأعلى نجد شرقيه لغنى بن أعصر وغربيه لغاضرة بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن [٨] .

(١) معجم البلدان ٥ / ٢٨٣ .
(٢) معجم ما استعجم ٣ / ٧٤٥ .
(٣) معجم البلدان ٥ / ٢٩٣ .
(٤) شرح الحماسة للتبريزى ٣ / ١٦١ .
(٥) معجم البلدان ٥ / ٢٩٣ .
(٦) التعليقات والنوادر ورقة ٢٦ .
(٧) التعليقات والنوادر ورقة ٨٣ .
(٨) معجم البلدان ٥ / ٣٣٠ .

واسط : ورد فى قول الصمة :

حلفت بدار الصيد ما كفة الغضى ولا دابق مـن واسط بقريـب [١]

وواسط من منازل بنى قشير [٢] .

ودان : ورد فى قول يزيد بن الطثرية :

وهل أخواى اليوم إن قلت عرجا على الأثل من ودان والمشرب البرد [٣]

وفى قول الصمة :

خليلى هل يستخبر الأثل والغضى ونبت الربا من بطن ودان والسدر [٤]

وودان قرية بين مكة والمدينة ، وودان أيضاً جبل بين فيد والجبلين [٥]

الودكاء : وردت فى قول الصمة :

خليلى إن قابلتما الهضب أو بدا لكم سند الودكاء أن تبكيا جهدا [٦]

والودكاء جمعها ودك هضاب ملس شمال يذبل [٧] .

الهضب : وردت فى قول يزيد بن الطثرية :

متى يرسل المشفى إن الناس محلوا عيوناً لأكناف المدينة فالهضب [٨]

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٢٦ .

(٢) معجم البلدان ٥ / ٣٥٢ .

(٣) ذيل الأمالى ١٠٣ .

(٤) الأشباه والنظائر ٢ / ٢٥٤ .

(٥) معجم البلدان ٥ / ٣٦٥ .

(٦) التعليقات والنوادر ورقة ٤٨ .

(٧) المصدر السابق .

(٨) الزهرة ١ / ٣١٨ .

وورد أيضا فى قول الصمة السابق (خليلى إن قابلتما الهضب)
والهضب هنا ورد بغير إضافة وقد يكون هضب التليب الواقع جنوب النير [١].

الهوامل : ورد فى قول يزيد بن الطثرية :

خلا الفيض ممن حله فالخمائل فدجلة ذى الأرطى فقرن الهوامل

والهوامل واد فى سدير باليمامة .

* * *

هذه هى الأماكن التى وردت فى شعر قشير ، ومن خلال استعراضنا لهذه الأماكن نجد أنها توجد فى بلاد بنى قشير أو فى البلاد المجاورة لبلاد بنى قشير ، ولا يشذ عن ذلك إلا أماكن قليلة . ونحن عندما نحاول تحديد بلاد بنى قشير فإنما نستعين بهذه الأماكن لنتعرف على المساحات التى كانت تسكنها هذه القبيلة ، وإذا كانت هذه الأماكن قد وردت فى معجم البلدان إلا القليل منها فإن معظمها قد ورد أيضا فى بلاد العرب للغدة الأصفهانى وفى صفة جزيرة العرب ، ولاشك أن هذه المصادر الثلاثة تعطينا التحديد الواضح لبلاد بنى قشير ، واذا كنا قد عرفنا فيما تقدم أن قبيلة قشير جزء من قبيلة كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة فإن قبيلة كعب تضم أربعة فروع هى : عقيل وجعدة وقشير والحريش ، ومساكن كل قبيلة من هذه القبائل الأربع لاتنفصل عن الأخرى ، فإذا كانت عقيل تختص بمناطق معينة ، فإن قشيرا تمتلك بعض المناطق فى بلاد عقيل . وإذا كانت جعدة تسكن مناطق معينة فى الأفلاج ، فإن قشيرا تساكن جعدة وتختلط بها ، وحتى إذا خرجنا عن نطاق قبيلة كعب فإننا نجد أن بعض القبائل الأخرى تختلط ببنى قشير ، فمثلا بنوحسان من تميم تختلط مساكنهم مع مساكن بنى قشير فى المروت . ولو أردنا أن نحدد بلاد كعب بن ربيعة بما فيها

---

(١) صفة جزيرة العرب ٢٩١ .

قبيلة قشير فإننا نجد أن هذه القبيلة تشغل مساحة من الأرض واسعة جدا تبتدئ في الجنوب ببيشة ورنية ، وهما واديان كبيران ، أما بيشة فيصب من اليمن وأما رنية فيصب من السراة سراة تهامة[1]، ووادى بيشة من أكبر الأودية فى بلاد العرب ، وتسكن عقيل فى الوادى المعروف قديما بعقيق عقيل ، وحديثا بوادى الدواسر. فإذا اتجهنا شمالا فإننا سنجد مساكن جعدة وقشير تكثر فى الأفلاج، وقد وصف لغدة الأصفهانى هذه المساكن فقال[2] : الفلج قرية عظيمة ، وبها نخيل ومزارع وأنهار، وهو من قرى اليمامة بينه وبين حجر مسيرة عشر مراحل، وبه عين يقال لها الذبا يخرج منها سبعة عشر نهرا، وهى شبه خسفة فى الأرض ، وهى فى غضراء ، فأسفل الفلج لجعدة ولهم فيه سيح يقال له الزهدى ، وقد بنوا فيه حصنا هو فى أسفل الفلج وهو مفض إلى البياض ، والبياض صحراء لقشير وجعدة ، مسيرة عشرين يوما ، وهو فلاة بين الفلج و يبرين ليس به ماء حتى ترد يبرين ومنازل جعدة فيما بين الزهدى وسوق الفلج بمكان يقال له المحطى ، وهو محطى الفلج به نخيل ودور وحيطان ، وسوق الفلج ببطحاء واد يسمى وادى أكمة واسم الوادى كرز . والسوق مدينة عظيمة ومنازل بنى قشير فى ناحية السوق على شط الوادى فيها نخيل ودور، ويسمى منزلهم الزرنوق ولبنى قشير أيضا قرية على فرسخ من الزرنوق يقال لها قرن، فيها نخيل ودور ومزارع ، وفى ناحية قرن سيح إسحاق الذى اقتتلت فيه جعدة وقشير ؛ لأنه كان لقشير لإسحاق بن فلان فاشترته جعدة فمنعتها قشير فوقعت بينهم فيه حرب ، وكانت جعدة اشترته بثلاثمائة ألف درهم . وهو نهر مخرجه من قناة ، وهو بطيحة واسعة وعليه من النخل مالا يدرى ما مبلغه . والقاع أيضا قرية لبنى قشير حذاء قرن ، وحذاء

---

(١) بلاد العرب للغدة الأصفهانى ص ٦ .

(٢) بلاد العرب ٢٢١ .

قرن قرية أخرى يقال لها صداء لبنى الحريش ، وللحريش واد يدفع على صداء يسمى المدار لا يشركهم فيه أحد ، وحذاؤه الشطبتان وهما واديان فيهما نخيل وهما للحريش وقشير ، ثم نرجع إلى الفلج ، وهذا الوادى الذى يسمى كرزا بينه وبين الفلج مسيرة ليلة نحو من عشرة فراسخ ، وأكمة قرية بها منبر وسوق وهى لجعدة إلا قليلا من أعلاها لبنى قشير ، وكرز ساقيتها وأكمه بين جبال . والفلج بصحراء مفضية تصب عليه الأودية . ولجعدة واد يقال له الغيل بين جبلين ملآن نخيلا ، وبأعلاه نفر من بنى قشير لهم أموال كثيرة ، وبه أيضا منبر ، وبين الغيل والفلج سبعة فراسخ أو ثمانية . فهذه قرى الفلج ومدنه .

هذا النص يعرض علينا مساكن جعدة وقشير فى الأفلاج . فنجدها مختلطة ، وإذا تابعنا السير نحو الشمال فإننا سنجد مساكن هذه القبيلة تتخلل أودية طويق ، مثل المدار وأكمة وركك ونساح والأحيسى،ففى هذه الأوديةمياه لقشير[1] ولقشير مساكن فى الدبيل ، والدبيل رمله مقابلة للعارض ، ومن مياه قشير فى هذه الرملة : الجاذبة ثم الخضرة ثم الصحبية والصبيغاء والقشيرة والرابغة والجناديات والسلمية[2] . ومن مياه قشير أيضا آوان وهو بين الدبيل والعارض. ومن مياههم : المرير والرجلاء والشادقة[3] . وإذا كان وادى بيشة هو الحدود الجنوبية لمساكن هذهالقبيلة ، فإن ثنية الأحيسى هى الحدود الشمالية د لبلا قشير ومن خالطهم . أما إذا ملنا إلى الشمال الغربى والغرب ، فإننا سنجد

---

(١) بلاد العرب ٢٣٢ .

(٢) المصدر السابق ٢٣٣ .

(٣) المصدر السابق ٢٣٤ .

من مسا كن هذه القبيلة عمايتين ، وبذبل ، واليـنكير وقساس وبجادة[1] ، وهذه جبال ومن مسا كنهم الحاجر وهو لبنى سلمة بن قشير ، ولبنى قشير النقر وواسط والشبيكة وهى معدودة من معادن اليمامة ولهم الأبترة ، وشعبعب وهى بحائل ماءة من وراء النقر بيوم[2] .

ويعتبر المروت الحدود الشمالية لبلاد قشير ، حيث تختلط قشير ببنى حمان من تميم . أما إذا اتجهنا إلى الشمال الغربى فإننا نجد بلاد قشير تختلط ببلاد باهلة . وقد وصف الهمدانى المنطقة الغربية من بلاد قشير فقال :[3] رجعنا إلى بقية البيضة فهى تحف الريب، وهو واد رغاب ضخم فيه بطون من قشير،مريح بالـكديد ، وهو أسفل وادى الريب ، وفى وسطه بنو حيدة،وفى أعلاه العبيدات وطرف من بنى قرة،وفى أعلاه واد يقال له غات. والعذيب نخل وقريه وبينه وبين سواد باهلة ماء يقال له الغابة نخل . ويحف الريب من عن يساره جبل يقال له جبل عريقة وصفا أم صبار. ووراء ذلك فى ناحية البيضة ماء يقال له الشطور ثم بطن العمق فيه حساء ابن بعجاء والمبهلة ، وهى مياه أملاح قذرة وقرن ظبى وزرة ، هضبتان إحداها سوداء والأخرى حمراء. وعن يسار ذلك القعد وهو جبل أسود فيه مياه عذاب ضماخ وعنزة وقرى مقابلة له من المضب والأجربة وسديرة قساس والضماخ، هذه المياه الأربعة عذاب وبقيتها أملاح ، فالمبهلة منها سميت بذلك لأن من شربها أبهل فى سراويله أو إزاره فينقذه . ثم من فوق ذلك مما يحف الريب إلى بلاد باهلة: الضواحى،وهى فسحاء من الأرض ليس فيها قران، ثم القرع وهو

(١) بلاد العرب ٢٣٧ .

(٢) المصدر السابق ٢٤١ .

(٣) صفة جزيرة العرب ٢٩٤ .

يصب فى بطن السرداح مقابل للقهاد ، وبين شط السرداح وبين القهاد سهب يقال له الملاطيط واحده الملطاط سهب يتم بينه وبين مثله قرانة الجبال . وفى فرعه الثنية ثنية السواد سواد باهلة ، وعن يمينه من دون الثنية ماء يقال له الغيراء . وقرية عظيمة يقال لها الموسجة وهى معدن ، وكذلك شمام معدن فضة ومعدن نحاس وكان به ألوف من المجوس يعملون المعدن ، وكان به بيتا نار يعبدان ، والثنية ثنية حصن ابن عصام معدن ذهب[1] ، وإذا أردنا أن نحدد بلاد قشير من الناحية الشرقية فإننا نحدها صحراء واسعة تسمى البياض ، والبيض صحراء لقشير وجعدة مسيرة عشرين يوما ، وهو فلاة بين الفالج وبيرين ليس به ماء حتى ترد يبرين[2] .

وهذه البلاد التى حددناها بلاد واسعة ، فهى من الشمال إلى الجنوب تقدر بثمانمائة كيل ، ومن الشرق إلى الغرب بستمائة كيل ونحن عندما حددنا هذه البلاد لاحظنا قشيرا مع غيرها من قبائل كعب ؛ إذ من الصعب أن نحدد بلاد قشير وحدها . وإذا كانت قشير تتركز فى الأفلاج أكثر من غيرها من بلاد كعب فإننا لا نستطيع أن نطلق على هذه البلاد بلاد قشير وحدها ؛ لأن جعدة تساكن قشيرا فى هذه البلاد . وإذا كان لغدة الأصفهانى قد وصف لنا الأفلاج بما فيها من مساكن جعدة وقشير فإن الهمدانى فى صفة جزيرة العرب وصف لنا حصون قشير فى الأفلاج فقال : وأما قشير فهى المدارع وبه الحصون والنخل والزرع والسيح يجرى تحت النخل والآبار أيضا . فأول حصون بنى قشير بالمدارع حصن العقيدة من بنى فراش وأهله جفنة الناج كرماء وجوه ذوو العدد ، وحصن السمريين وهم بنو أبى سمرة من جعدة ، وحصن الفراشيين من بنى فراش ، وحصن

(١) صفة جزيرة العرب ٢٩٤ .

(٢) بلاد العرب ٢٢٣ .

بنى عياض وعياض من الحريش بصداء من المذارع وحصن بنى نبيت من بنى قرة بصداء من المذارع ، وحصن العادية بالصافية لبنى سوادة من قشير وهم طوالع الأحساب. وحصن آل شبل بالصافية أيضا من بنى هريم، وحصن بنى النجوى من بنى هريم وحصن أم الحجاف المريمى، وحصن الحجاف بن المنبر هريمى، وحصن آل ضرار من بنى هريم ، وحصون بنى ثور وحصن بنى صهيب بأكمة، وحصن بنى قرط من قشير . وبالمذارع وغيرها قصب دون الحصون لطاف تسمى الثنية ، منها قصبة يقاتل عليها ، ومنها قصبة الشآمى ، وقصبة آل ركيز ، وحصن بنى عبد الله من آل حيان ، وقصبة عيتل ، وهذا كله بالمذارع »[١] . ومن خلال ماتقدم معنا من استعراض لبلاد بنى قشير يتبين لنا أن هذه البلاد تنقسم إلى قسمين :

١ ـ بلاد الاستقرار : وهى البلاد التى تتوفر فيها المياه الثابتة حيث تنشط الزراعة ويوجد العمران ، وبلاد الأفلاج من أهم الأماكن التى استقرت فيها فروع كثيرة من هذه القبيلة، وقد عددنا حصون قشير فى الأفلاج ، وذكرنا القرى التى تسكنها هذه القبيلة . أما المنطقة الأخرى التى يكثر فيها بنو قشير فهى بلاد الريب فلبنى قشير قرى كثيرة فى هذا الوادى . وقد ذكر ياقوت الحموى أن الريب ناحية باليمامة فيها قرى ومزارع لبنى قشير[٢] . وهذا القرطى من بنى مالك قشير يقول :

ومرا بأمواه الدبيل واعلما بأن قرانا بعدها مستقاكما[٣]

---

(١) صفة جزيرة العرب ٣٠٥ .

(٢) معجم البلدان ٣ / ١١١ .

(٣) التعليقات والنوادر ورقة ١٠٦

وهناك قرى متناثرة في بلاد بني قشير الواسعة ، فشعبعب قرية لبني طفيل ابن قرة [١] في غربي اليمامة [٢] . وكذلك سعد قرية لبني قشير بقرقرى غربي اليمامة .

٢ ـ بلاد التنقل : وأما البـــلاد التي تقطنها بادية قشير فهي واسعة منها البياض في الشرق ، ومنها حائل والمروت في الشمال ، كما أن البادية تتنقل حول المياه والأماكن المعمورة من قرى ومدن ، فبادية بني قشير تتنقل في هذه البلاد الواسعة وتختلط ببادية جعدة وعقيل والحريش وباهلة وتميم وكلاب .

وقد ذكر شعراء بني قشير المياه التي يردونها والجبال التي يهتدون بها أو يقطعونها ، والبادية لا تستقر في مكان ثابت وإنما تبحث دائما عن الـكلأ والماء ، ولذلك نجد أن شعراء البادية يذكرون في شعرهم كثيرا من المواضع وذلك لـكثرة تنقلهم . وقد ذكرنا الأماكن التي وردت في أشعار هؤلاء الشعراء فلا داعي لإعادتها مرة ثانية .

هذه هي بلاد بني قشير حاضرتهم وباديتهم تتوسط قلب جزيرة العرب وتشتمل على المياه الجارية والمراعي الوافرة والجبال العالية ، فاستقر من هذه القبيلة البعض حول المياه ، وبقي البعض يتجولون في هذه الصحارى الواسعة حتى جاء الإسلام فهاجر من هاجر من أفخاذ هذه القبيلة إلى البلاد الإسلامية المجاورة وبقي من بقي في هذه البلاد ، ولـكن نسأل الآن في هذه البلاد عن بني قشير فلا نجد من يجيب . نسأل عنهم في الأفلاج فلا نجد جوابا ، ونسأل عنهم في الريب فيجيبنا سكان البلاد الحاليون بأننا لا نعرف بني قشير غير أن هذا الوادي يسمى وادي بني قشير

(١) صفة جزيرة العرب ٢٩٣ .

(٢) المصدر السابق ٣٠٠ .

ويقصدون بالوادى وادى الريب الذى تنطنه الآن قبائل قحطان . إذ هذه البلاد التى كان يسكنها بنو قشير لاتزال معمورة ، ولكن الذين يعمرون هذه البلاد الآن إما من قبيلة قحطان أو من قبيلة الدواسر ، وهاتان القبيلتان طارئتان على هذه البلاد ؛ لأن هاتين القبيلتين قدمتا من الجنوب وسيطرتا على بلاد بنى قشير ، ولا يبعد أن تكون قبائل قشير قد اندمجت فى هذه القبائل وأصبحت تعرف باسمها . هذا هو الذى نرجحه ، أما أن تنزح قبائل قشير عن أماكنها فهذا شىء مستبعد .

* * *

الفصل الثالث

الحالة الاجتماعية لقبيلة قشير

إذا كانت المجتمعات الحديثة تحكمها القوانين فإن المجتمعات العربية القديمة تحكمها العادات والتقاليد ، وهذه العادات والتقاليد لأى قبيلة من القبائل العربية هى التى تمنع أفراد تلك القبائل من الإقدام على الأعمال الشائنة مع قدرتهم على القيام بتلك الأعمال ، والسبة والعار عندما تلحق إنسانا ما فإن مجتمع القبيلة يرفضه ، وحتى إذا لجأ ذلك الفرد إلى القبائل الأخرى فإنه سوف لا يجد التقدير والاحترام ، فالعادات السائدة فى القبيلة لابد من احترامها ، وإن كان احترام تلك العادات يكلف الفرد فى كثير من الأحيان أشياء لا يستطيع القيام بها ، فمن العادات السائدة عند العرب عامة وعند قبيلة قشير خاصة :

١ ـ الكرم ، فالإنسان العربى يجود بما عنده لضيفه وإن كان لا يملك غير ذلك الذى قدمه للضيف ، ولكن لابد من الخضوع لهذه العادة لأن الخروج عليها مسبة ، فهذا نوال بن الثفاء يهجو زهير بن ظالم لعدم إكرامه الضيف :

فليس بقوام إلى الضيف بالقرى ولكنه عبد عليه عفاء[1]

وهذا جعفر بن الربيع من عبيدة قشير يهجو المنتفق لعدم إكرامه لضيوفه :

انهوا بنى شافع عن ضرب ضيفهم إن القرى فيهمُ إحدى الرزيات
وكلبهم عنقش يعدو بمنصله يطرّد الضيف عنهم بالعشيات[2]

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٧٠ .

(٢) التعليقات والنوادر ورقة ٧٢ .

والتمدح بالكرم هو قمة الفخر عند بنى قشير؛ فهذا يزيد بن الطثرية يفتخر بسرعة إطعامه الضيوف :

وفتيان شويت لهم شواء سريع الشى كنت به نجيحا

فطرت بمنصلى فى يعملات دوامى الأيد يخبطن السريحا

فقلت لصاحبى لا تحبسانا بنزع أصوله واجتز شحيحا[1]

وقد تمادى بعض بنى قشير فى الكرم حتى أنهب الناس ماله ، ومن الذين أنهب الناس أمواله المجنون القشيرى الذى يقول :

إنى ملق ورق من شاء بقّى ورقه

ويقول :

لست بمجنون ولكنى سمح

أجود بالمال إذا قل القمح

وقد وجد شعراء بنى قشير فى إنهاب المجنون القشيرى ماله مفخرة جديدة يضيفونها إلى مفاخر قبيلتهم ، فقال سوار بن أوفى القشيرى فى ذلك :

ومنا نهيك أنهب الناس ماله مئين ألوفا لا جواد يرومها

فطارت على أيدى الحجيج وأحفظت

قريشا وظنت أن ذاك يليمها[2]

* * *

٢ ـ ومن العادات الحسنة عند هذه القبيلة مساعدة المحتاج ونصرة الجار فهذا الأعنق بن الباهلية الحبيى أحد بنى لبينى يقول لامرأة حنظلية التجأت إليه :

(١) المقاصد النحوية ٤ / ٥٩١ .

(٢) المؤتلف والمختلف ٢٩٠ .

لك الله أن لا تستذلى بأرضنا   وألا ترى منا مقام دناء[١]

وهذا نوال بن الثغاء يهجو بنى ظالم لعدم تعاونهم فيقول :

وجدتهم نصفين هزلى ونصفهم   سمان فما يبغون حسن ثناء[٢]

* * *

٣ ـ ومن عادات بنى قشير الإقدام فى الحرب . أما الهروب فى المعركة فهو مسبة أىّ مسبة ، ولذلك نجد يزيد بن الطثرية عندما هرب من أعدائه أحس بالعار والخزى مع أنه كان واحداً وهم جماعة يقول :

ألا هل أتى َ ليلى على نأى دارها   بأن لم أقاتل يوم صخر مذودا

وأنى َ أسلمت الركاب فعقرت   وقد كنت مقداما بسيفى َ مفردا

أثرت فلم أسطع قتالا ولا ترى   أخا شيعة يوما كآخر أوحدا

فهل تصرمن الغانيات مودتى   إذا قيل قد هاب المنون فمردا[٣]

وبعض بنى قشير يميل إلى القوة ويكره الضعف بغض النظر عن الحق والعدل ، ونجد ذلك فى بعض أشعارهم ، من ذلك قول الأعنق بن الباهاية :

إذا أنت لم تخشف مع القوم خشنة   من الجهل لم يأمن أخ أنت صاحبه

ورامتك ذلان الرجال ولم تهب   لشىء إذا ماهيب لليث جانبه[٤]

وإذا كادت هذه الفئة موجودة فى بنى قشير فإن هناك فئات أخرى تدعو إلى الحق والفضيلة . ومن هؤلاء بشر بن سليمان بن قشير الذى يقول :

ولم أر مثل الخير يتركه امرؤ   ولا الشر يأتيه امرؤ وهو طائع

ولا كاتقاء الله خـــير بقية   وأحسن صوتا حين يسمع سامع

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٧٤

(٢) التعليقات والنوادر ورقة ٧٠ .

(٣) الأغانى ٨ / ١٧١ .

(٤) التعليقات والنوادر ورقة ٧٥ .

ولا كالمنى لاترجع الدهر طائلا   لو ان الفتى عنهن بالحق قانع
ولا كذهاب المرء فى شأن غيره   ليشغله عن شأنه وهو ضائع[1]

على أن هناك صفات ثابتة إذا توفرت فى الرجل فهو الرجل المثالى فى القبيلة ، هذه الصفات تجدها فى قول يزيد بن الطثرية :

وأبيض مثل السيف خادم رفقة   أشم ترى سرباله قد تقددا
إذا انشق عنه السابرى رأيته   هضيم الحشا صلت الجبين عمرّدا
كريم على غِراته لو شتمته   لحياك رسلا لاتراه مــــزندا
مفيد ومتلاف وطلاع أنجـــد   إذا النكس أعيا صمه فترددا[2]

* * *

٤ ـ ومن عادة فتيان بنى قشير التزين باللمة وإرسال الشعر، أما حلق الرأس فهو إحدى العقوبات القاسية ، ونجد ذلك فى قول يزيد بن الطثرية :

أقول لثور وهـو يحلق لمتى   بعقفاء مردود عليها نصابها
ترفق بها يا ثور ليس ثوابهـا   بهذا ولـكن عند ربى ثوابها
ألا ربمـــا ياثور فرق بينها   أنامل رخصات حديث خضابها
فيهلك مدرى العاج فى مدلهمة   إذا لم تفرج مات غما صؤابها
فجاء بها ثـور ترف كأنها   سلاسل برق لينها وانسكابها
ورحت برأس كالصخيرة أشرفت
عليها عقاب ثم طارت عقابها[3]

* * *

٥ ـ ومن عادة نساء بنى قشير لبس البراقع، فهذا مزيد بن الحارث أحد بنى مالك بن سلمة بن قشير يقول فى محبوبته :

(١) مجموعة المعانى ص٣ .   (٢) التعليقات والنوادر ورقة ٣٧ .
(٣) الـكامل ٢ / ٥٢٤

ترى البيض يألفن البراقع غيرها ... ولكنها بالحسن منها أدلت[١]

وليس لبس البرقع فى نساء بني قشير وحدهن وإنما تلبسه نساء كعب عامة يقول توبة بن الحمير :

وكنت إذا ما جئت ليلى تبرقعت ... فقد رابنى منها الغداة سفورها[٢]

وعلاقة بنى قشير بجيرانهم تحكمها العادات السائدة عند القبائل العربية فهى تارة علاقة فخر واعتزاز ، وتارة علاقة نزاع وخصومة ، وأحيانا أخرى علاقة إخاء وتفاهم وتعاون ، فأما علاقة الفخر والاعتزاز فتمثلها المفاخرات[٣] التى يفتخر فيها كل قبيل بمجده ويحاول الإقلال من أمجاد غيره . ومن تلك المفاخرات ماحدث بين هبيرة بن عامر بن سلمة وخداش بن زهير البكائى ؛ فقد تنافرا على مائة من الإبل ، وادعى كل واحد منهما أنه أعز من صاحبه ، وقد حكم بينهما رجل من بني ذى الجدين بأن أعزهما أقربهما من عبد الله بن جعدة نسبا ، فقال خداش بن زهير : أنا أقرب إليه ، أم عبد الله بن جعدة عمتى ـ وهى أميمة بنت عمرو بن عامر ـ فلم يزالا يختصمان فى القرابة لعبد الله بن جعدة حتى غلب هبيرة القشيرى[٤] . ومن مظاهر النزاع بين قشير وجيرانهم من

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٣٧ .

(٢) لسان العرب ٨ / ٩ .

(٣) المنافرات والمفاخرات يجمعهما الاعتداد بالأنساب والأحساب وما يؤدى إلى المحامد العلية والمكارم الرفيعة وكل ما يعلى شأن الفرد والقبيلة . والمنافرة لابد فيها من التحكيم مثل منافرة أمية وهاشم ، وعامر بن الطفيل وعلقمة ابن علاثة ، أما المفاخرة فلا تحتاج إلى تحكيم ، ويشترط فى حكم المنافرة أن يرضاه المتنافران .

(٤) الأغانى ٥ / ٢٣ .

جعدة ما حدث بين هاتين القبيلتين فى سوق عكاظ ، فقد كان عبد الله ابن جعدة رجلا مطاعا فى قومه وله أتاوة يأخذها فى سوق عكاظ ، فبينما هو جالس على أتاوته إذ جاءه سمير بن سلمة القشيرى فأنزله عنها وجلس مكانه ، فجاء رياح بن عمرو بن ربيعة بن عقيل وقال للقشيرى : مالك ولشيخنا تنزله عن أتاوته؟فقال القشيرى: كذبت ماهى له ولكن هذه رجلى إن استطعت فاضربها فقال : ما أنا بضارب رجلك ، فرد عليه القشيرى : إذاً أبرز رجلك لترى هل أقطعها أم لا ، فقال رياح : ولا أنا بمبرز رجلى ، ثم أهوى رياح على سمير ابن سلمة وجذبه ووضع عبد الله بن جعدة مكانه [1] . ومن العلاقات الطيبة بينهم وبين جيرانهم أن قبيلة جرم زحفت على قبيلة قشير ، فاعترضت لها قشير ونصبت لها الحرب،فقالت جرم: إنما جئنا مستجيرين لا محاربين،فقالت قشير: ومن أى شىء ؟ فقالت جرم : من السنة التى أصابت بلادنا ، وأتت على الرطب واليابس ، وكانت بلاد قشير قد أصابها الخصب ، فسمحت قشير لجرم بالرعى فى بلادها [2] ، ولكن هل تسمح عادات القبيلتين بهذا الاختلاط فى المراعى ، جرم لها عاداتها الخاصة وقشير لها عاداتها الخاصة ، لقد أخذ بعض الفتيان من قبيلة جرم يروح ويغدو على بيوت قشير ، وكان ضمن أولئك الفتيان فتى يقال له مياداً الجرمى ، وكان جميلا فأخذ يتعرض للنساء ، ويطلب منهن الغزل عند غياب الرجال ، وكان الغزل عند جرم جائزاً وعند قشير عيبا وعاراً ، فأخذت نساء قشير فى التخفى عن مياد الجرمى ، إلا أن مياداً ألح فى الطلب ، ففكرت عجوز قشيرية فى عرض هذا الموضوع على الرجال ، فعندما اجتمعوا أتت هذه العجوز وقالت : يا قشير أرعيتم جرما أرضكم أم نساءكم ؟ فقالوا :

---

(١) الأغانى ٥ / ٢٣ .

(٢) الأغانى ٨ / ١٥٧ .

معاذ الله وكيف نرعيهم نساءنا ! فقالت : إن فتى من جرم لايزال يعودنا كل يوم ، حتى نجحر في بيوتنا ، فغضب القوم وتشاوروا فيما بينهم ، فقال بعضهم : نأخذ القوم على غرة ، وقال البعض الآخر إن قوما أرعيتموهم أرضكم وسقيتموهم ماءكم لا يجوز أن تهاجموهم ، ولكن اعرضوا عليهم الأمر ، فاتفقت قشير على هذا الرأى وعرضوا الأمر على جرم ، فتهتهت جرم من جفاء قشير وقالت : هل تشكون فى نسائكم ؟ فقالت قشير : والله ما نعرف عن نسائنا إلا كل خير ، فقالت جرم : إذا نبعث رجلا من رجالنا إلى نسائكم إذا غدت الرجال ، وتبعثون رجلا من رجالكم إلى نسائنا إذا غدت الرجال ، ونرى أى الرجلين يحظى بالمنزلة والاستقبال من نساء الحيين ، وقد وافقت جرم وقشير على هذه الخطة ، وأرسلت جرم ميادا الجرمى وأرسلت قشير يزيد بن الطثرية ، فأخذ يزيد بن الطثرية رسول قشير يتنقل بين البيوت ، وكلما جاء بيتا من بيوت جرم ، استقبلته النساء بالترحاب ، وقدمت له الطعام وحاولت كل واحدة أن تكون القريبة منه فيعدها ويمنيها ويعطيها المواثيق ، ويأخذ منها خاتماً أو غيره كى يدل على قوة الرابطة . ثم ينتقل إلى بيت آخر من بيوت الحى فيجد عند هذا البيت الجديد كل تقبل ، وما زال يزيد بن الطثرية ينتقل من بيت إلى بيت حتى جمع مجموعة من البراقع والخواتم ، وخرج من بيوت جرم وقد شبع وتعطر ورجل شعره . أما مياد الجرمى فأخذ يطرق بيوت قشير فتستقبله النساء بالحجارة والعمد فيرمينه من بيت إلى بيت ، وما زال يطرد حتى توسط النهار فلم يجد من يستقبله وقد كثرت جراحه وعطش فلم يجد بدا من اللجوء إلى سلمة يستظل بها وقت القيلولة ، ولما حان العصر اتجه إلى ماء ليشرب فوجد أمة ترعى غنما فأخذ برقعها وجاء به إلى القوم فقال هذا برقع واحدة من نسائكم يا قشير ، فلحقته

الأمة وأخذت برقعها ، فخجل مياد ولم يجد ما يقوله للقوم . وقد تقاطرت جرم وقشير فى ذلك اليوم ، حتى اجتمعوا على بكرة أبيهم ، وقد جن عليهم الليل ، واختلط الظلام ولم يأت يزيد بن الطثرية . وعندما هم القوم بالتفرق إذا بيزيد يقبل ومعه مجموعة كبيرة من البراقع والخواتم فرماها فى وسط القوم فاسودت وجوه جرم ، وكان القوم قد اتفقوا على أن يأخذ كل رجل ما يعرفه ولكن جرما أحجمت فقالت لها قشير : أنتم تعرفون ما كان بيننا أمس من العهود والمواثيق ، فمن أراد أن ينصرف إلى حرام فله ذلك ، فمد القوم أيديهم وأخذ كل رجل ما يعرفه . وقد قال يزيد بن الطثرية فى ذلك :

فإن شئت يا مياد زرنا وزرتم ولم ننفس الدنيا على من يصيبها

أيذهب ميـاد بألباب نسوتى ونسـوة مياد صحيح قلوبها[1]

فهذه القصة تعرض لنا بعض النواحى الاجتماعية التى تتميز بها هذه القبيلة من التسامح والوفاء بالعهد والمحافظة على المحارم وعفة النساء . وإذا كنا قد عرضنا جانبا من الحياة الاجتماعية لقبيلة قشير فلابد من استكمال الجوانب الأخرى وهى :

١ — حروب قشير فى الجاهلية :

قبيلة قشير هى إحدى القبائل العربية ، تعيش فى هذا المجتمع العربى الذى يولى القوة جل اهتمامه،فأخبار الحرب لها الأولية دائما فى حديث المجالس،وتمجيد القوة شىء معترف به من الجميع ، وليت الحرب لا تقع إلا بين القبائل المتباعدة نسبا ، ولكنها تقع أحيانا بين أفراد القبيلة نفسها،فقد يعتدى الرجل على ابن عمه

(١) الأغانى ٨ / ١٦٠ .

كما فعل قعنب أحد بنى حبيب حين قتل ربيعة بن المشنج ، وربيعة بن المشنج هذا لابد أن يؤخذ بثأره ،وأقرب الناس إليه هو أخوه عبيد الله الطريد الذى أخذ يطارد قعنبا ، ولكن قعنبا هذا أخذ يقلل من شأن عبيد الله ويستهزئ به كما نجد فى شعره حيث يقول :

تمنى عبيد الله قتلى وليته منى لعبيد الله مان لقائيا
فحاح بمعزى الوايلية واحتلب مكان تمنِّيك الرجال الدواهيا

وبالرغم من قول قعنب هذا واعتزازه بنفسه فقد تمكن عبيد الله الطريد من قتل قعنب ، والأخذ بثأر أخيه ، ونجد ذلك فى قوله :

أبلغ ربيعة حيث أمسى قبره أنى ثأرت عظامه من قعنب
أنى دبيت له بنعف عريقة بعد الدياث بذى حسام مقضب[1]

وقعنب وعبيد الله من بنى لبينى من قشير . وقد تحدث الحرب بين قشير وقبيلة أخرى فتنضم بعض فروع قشير إلى تلك القبيلة ، كما فعل أهل الريب من قشير حين انضموا إلى بنى سليم فى حربهم ضد بنى قشير من أهل الأفلاج ، ونجد ذلك فى قول نوال بن الثغاء حيث يقول :

لقد أجمعت دهر علينا ومالك فلم يبق إلا كل طفل وخاضب
وحتى مريح أجمعوا وتحاشدوا فلم يبق إلا فى البيوت الكواعب
ونادى جناح فى أذلة قومه كجمع الثريا من صغار الكواكب
ينادى طفيلا والقريعات أجمعوا وعندهم بالعمق منا التجارب
فلما بدا رأس السمار تخونوا وأرسل فيهم ربنا بالتشاغب
حذار نصال فى قداح يسوقها سماح القوى من محكمات العواقب[2]

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٥٩ .

(٢) التعليقات والنوادر ورقة ٦١ .

وبالرغم من أن بنى قشير أبناء عم لبنى جعدة ، وعلاوة على القرب فى النسب فمساكنهم متجاورة ، ومع ذلك نجد الحرب تنشب بينهم أحيانا . يقول نوال بن الثغاء :

بأكة يوم لاتغور نجومه	عظيم أشاب الرأس من كل موضع
نعاتبكم ياجعد فى ذات بيننا	وليس عتاب فيك ياجعد ينفع
بطعن كأفواه المزاد على الكلى	يرد نجيعا من دم يتطلع
ورمى يصيب القوم فى حدقاتهم	على كل شريان بها الضيم يدفع[1]

وهذا القتال الذى ينشب بين أفراد القبيلة ، أو بين قبيلة قشير وإحدى قبائل كعب لايعتبر من الحروب الكبيرة التى شهدتها قبيلة قشير . وإذا أردنا أن نذكر الحروب الكبيرة التى شهدتها قبيلة قشير فهى كما يلى : —

١ — يوم وادى نساح :

فقد أغار علقمة الجعفى ومعه زهير الجعفى ببنى مذحج على عقيل بن كعب، وقد أخذ منهم إبلا كثيرة، وسبيا ورجع سالما ، فاتبعه بنو كعب جميعا ولكنه أفلت منهم ، أما بنو عقيل فقد جدوا فى طلبه وكان رئيسهم عقال بن خويلد بن عامر ابن عقيل، وعندما رأى عقال أن قومه قد ملوا الطلب أخذ يبول على أبعار الإبل لينشط قومه بقرب الأعداء ، وهكذا جد عقال فى الطلب حتى أدرك القوم فى النخيل فى يوم قائظ . وكان رأس زهير الجعفى فى حجر جارية سباها، وهو متوسد قطيفة حمراء فلم تشعر مذحج إلا والخيل تداهمها فكان أول من لحق زهيرا ابنُ النهاضة ، فقد ضرب وجه زهير حتى كسر أنفه ثم لحقه عقال

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٨٢ .

ابن خويلد فبمج بطنه وسال منه اللبن ، ولذلك قال أبو حرب أخو عقال : والله لا أصطبح لبنا حتى آمن من الصباح [١] .

٢ ـ يوم شراحيل :

وشراحيل هذا هو شراحيل بن الأصهب الجعفى ، وهو رجل عظيم من رجالات اليمن ، فقد كان يخرج للغزو فى جمع عظيم من اليمن فيمر ببلاد بنى عامر ، فلايتعرضون له ولا يتعرض لهم ،وذلك حسب صلح جار بينهم.وفى غزوة من غزواته مرببلاد بنى جعدة فنحروا له ، وأكرموه ، إلا أن بعض قومه أخذوا إبلا لبنى جعدة ، ونحروها ، فغضبت جعدة وجاءت إلى شراحيل وأخبرته بما عمل جنده ، وأنهم قد أساءوا إليهم ، فقال شراحيل : إن هؤلاء قوم مغيرون ، وسيرحلون عنكم ، وأرجو أن تصفحوا عن أعمالهم . ولكن جعدة لم ترض بما قاله شراحيل . واعتبرت هذا إهانة لها ونيلا من كرامتها ، ومقابلة الإحسان بالسوء . وقد عزمت جعدة على الإيقاع بشراحيل ، وقومه ، فقال الرقاد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة لأخيه ورد : دعنى أذهب إلى قشير فأستنجد بهم ، أما أنت فاصنع طعاما لشراحيل ، واقتله ، فصنع ورد طعاما ودعا شراحيل وبعض خاصته ، فكلما دخل البيت منهم واحد قتل حتى انتصف النهار ، فجاء القوم يسألون عن زعيمهم فقال لهم ورد: إن صاحبكم شرب فثمل ، وإنه لاحق بكم العصر ، فانصرف القوم ، وكان ورد : قد اتفق مع أخيه الرقاد بأن يدخن إذا احتاج إلى قشير ، فدخن ورد فأقبل الرقاد ، وقشير ، فاقتتلوا مع جموع اليمن حتى هرب آخرهم ، وعند مامر هؤلاء الفارون ببلاد عقيل قالوا سنأخذ مالك بن المنتفق ، فقال لهم مالك : وما ذنبى أنا ؟ إن أردتم أتيتكم بالورد بن عمرو،فذهب مالك إلى الورد بن عمرو،وعندما وصل إلى بلاد جعدة

(١) الأغانى ٥ / ١٨ .

وقشير عرض عليهم الأمر ، فانضمت جعدة وقشير إلى بنى عقيل فى حربهم ضد جموع اليمن ، وساروا مع مالك حتى حاربوا من تبقى من قوم شراحيل وفرقوهم وفى ذلك يقول بحير بن عبد الله بن سلمة :

أحى يتبعون العير نحـــرا   أحب إليك أم حيا هـــلال
لعلك قاتل وردا ولما   تساق الخيل بالأسل النهال
ألا يا مال ويح سواك أقصر   أما ينهاك حلمك عن ضلال [1]

٣ ـ يوم رحرحان :

كان سبب الحرب فى ذلك اليوم أن خالد بن جعفر بن كلاب التقى بالحارث ابن ظالم بن غيظ بن مرة بن سعد بن ذبيان عند الأسود بن المنذر أخى النعمان ، وبينما هما فى المجلس قال خالد بن جعفر للحارث بن ظالم : ياحارث أما تشكرنى حيث قتلت رئيس قومك زهير بن جذيمة العبسى ، وأصبحت بعد ذلك رئيس قومك ! فقال الحارث بن ظالم لخالد بن جعفر : سأكافئك على ذلك . وكان الأسود يستمع إلى الحديث الذى جرى بين الحارث وخالد ولم يقل شيئا ، وبعد خروج الحارث من المجلس قال الأسود لخالد بن جعفر : ما حملك على أن تتحرش بالحارث فى مجلسى فقال خالد : الحارث ماهو إلا واحد من عبيدى . وانصرف خالد بعد ذلك متجها إلى خيمته التى أعدها الأسود لنزوله ، وكان وقت النوم قد حان ، فنام خالد فى خيمته ولم يكن مع خالد فى هذه الخيمة إلا رفيقه عروة الرحال ابن عتبة بن جعفر ، أما الحارث بن ظالم فلم يهدأ له بال بعد ذلك الكلام الذى سمعه من خالد بن جعفر ، وكان مع الحارث رفيق له من بنى محارب يقال له خراش ، فقال الحـــارث لخراش اركب ناقتى هذه واتجه إلى

(١) الأغانى ٥ / ٢٠ .

مكان كذا فإن طلع الصبح ولم آتك فاتجه إلى أى البلاد شئت ، أما الحارث فقد اتجه إلى خيمة خالد بن جعفر فوجد خالدا نائما بداخلها فضربه بالسيف وهرب فصاح عروة الرحال: واجوار الملك، وسمع الأسود صوت عروة وعلم أن خالدا قد قتل . وكان عند الأسود امرأة من بنى عامر يقال لها المتجردة فشقت جيبها وفى ذلك يقول عبد الله بن جعدة :

شقت عليك العامرية جيبها ... أسفا وما تبكى عليك ضلالا

يا حار لو نبهته لوجدته ... لاطائشا رعشا ولامعزالا

واغرورقت عيناى لما أخبرت ... بالجعفرى وأسبلت إسبالا

فلنقتلن بخالد سرواتكم ... ولنجعلن للظالمين نكالا

فإذا رأيتم عارضا متهللا ... منا فإنا لا نحاول مالا

أما الحارث فقد اتجه إلى ناقته حيث ينتظره رفيقه خراش وركب الناقة واتجه إلى قومه ، وعندما وصلهم لاموه على فعلته، فكره أن يكون لهم منّة عليه فتركهم واتجه إلى زرارة بن عدس زعيم بنى تميم والتجأ إليه ، وعندما علمت بنو عامر بالتجاء الحارث إلى بنى تميم جمعت جموعها واتجهت إلى بلاد بنى تميم، وعندما قربت بنو عامر من بلاد بنى تميم وجدوا امرأة من بنى تميم تحتطب فأخذها بنو عامر وحبسوها عندهم خوفا من أن تخبر القوم ، ولكن هذه المرأة استطاعت أن تفلت من بنى عامر عندما ناموا فى تلك الليلة ووصلت إلى قومها واتجهت إلى زرارة بن عدس، فسألها عن القوم فأخبرته بكل ما رأت ووصفت القوم وصفا دقيقا وزرارة يستمع إلى ماتقول ، فعرف أن أولئك القوم المهاجمين هم بنو عامر بن صعصعة . ومن خلال وصفها الدقيق لكل مارأت استطاع زرارة أن يعرف القوم كلهم فرسانهم وشجعانهم وأصحاب الرأى فيهم. وعرف

زرارة أن هذا الجيش القادم يضم قبائل عامر . فاستعد زرارة وقومه للحرب ، ووصلت بنو عامر ، والتقى الفريقان فى رحرحان، ودارت المعركة وكانت حربا قاسية ، تقهقر فيها بنو تميم ، وجرح معبد بن زرارة ثم هرب ، وأراد أن يحتمى بهضبة صغيرة قريبة من أرض المعركة فأبصره رجل من غنى يقال له عصمة ابن وهب وعند ذلك أخبر عصمة بن وهب عامر بن مالك فأسرع عامر بن مالك وأخوه طفيل بن مالك إلى معبد بن زرارة وأسراه . وعندما أسر معبد ابن زرارة انهزمت بنو تميم، وتركت معبدا أسيرا عند بنى عامر ، وعندما دخل شهر رجب وهو من الأشهر الحرم وفد لقيط بن زرارة على عامر بن مالك وطلب منه أن يطلق أخاه فطلب عامر من لقيط أن يدفع مائتين من الإبل ، ولكن لقيطا أبى أن يدفع ذلك ، وعرض على عامر بن مالك مائة من الإبل ولكن عامرا لم يرض أن يطلق معبدا مقابل مائة من الإبل فرجع لقيط وترك أخاه فى الأسر ، فبقى معبد بن زرارة فى أسره حتى مات . وقد قال شريح بن الأحوص فى لقيط عندما ترك أخاه فى الأسر :

لقيط وأنت امرؤ ماجد ولكن حلمك لا يهتدى
ولما أمنت وساغ الشرا ب واحتل بيتك فى ثهمد
رفعت برجليك فوق الفرا ش تهدى القصائد فى معبد
وأسلمته عند جد القتال وتبخل بالمال أن تفتدى [1]

٤ — يوم جبلة :

ويوم جبلة من أسير الأيام ذكرا ، ويعتبر من أعظم أيام العرب جميعا ، ذلك أن مجموعة كبيرة من القبائل شهدت هذا اليوم ، والذى هاج الحرب فى

(١) الأغانى ١١ / ١٢٤ ، والنقائض ١ / ٢٢٦ ، ٢ / ١٠٦٠، ونهاية الأرب ١٥ / ٣٤٩ .

هذا اليوم هو أن بنى عبس بن بغيض خرجوا هاربين من بنى ذبيان بن بغيض فلم يجدوا ملجأ غير بنى عامر ، فقد نزلوا على ربيعة بن شكل بن كعب بن الحريش . فقال ربيعة: يا بنى عبس شأنكم جليل وأمركم عظيم فدعونى أستطلع رأى قومى ، وقد سار ربيعة إلى بنى كلاب فالتقى بعوف بن الأحوص وعرض عليه الأمر ، فقال عوف لربيعة إن أطعتنى قتلنا القوم، فوالله لا تفلح غطفان بعدها أبدا ، ولكن ربيعة لم يأخذ برأى عوف ومضى فى سبيله حتى التقى بالأحوص ابن جعفر ، وعرض عليه أمر بنى عبس والتجائهم إليه . فقال الأحوص لربيعة أظللتهم ظلاك وأطعمتهم طعامك ؟ قال نعم . قال : قد والله أجرت القوم . وعندما وافق الأحوص على هذا الأمر رجع ربيعة إلى بنى عبس وأخبرهم بموافقة بنى عامر فنزل بنو عبس فى بنى عامر ، وعندما علمت بنو ذبيان بالتجاء بنى عبس إلى بنى عامر عقدت العزم على حرب بنى عامر ، وخرجت بنو أسد مع بنى ذبيان ، وكان على رأس بنى ذبيان وبنى أسد حصن بن حذيفة بن بدر ، وأقبل مع هؤلاء شرحبيل بن أخضر بن الجون بن آكل المرار الكندى فى جمع من كندة ، وانضمت إلى هذه الجموع بنو حنظلة بن مالك والرباب وكان رئيسهم لقيط بن زرارة ، وسار مع بنى تميم حسان بن عمرو بن الجون فى جمع عظيم من كندة وغيرهم . هذه الجموع العظيمة اتجهت إلى بنى عامر ، فلما علم بنو عامر بسير القوم إليهم فكروا فى أمرهم وأتوا إلى الأحوص بن جعفر وقالوا له: ما الرأى ؟ لقد سارت القبائل إلينا ونحن الآن أحوج ما نكون إلى الرأى، فقال لهم الأحوص : إنكم تعرفون تقدمى فى السن وضعف رأيى ، ولكن اعرضوا على آراءكم فإنى إذا سمعت عرفت ، فأخذ القوم يعرضون آراءهم عليه ولكنه لم يسمع رأيا سديدا ، وفى الأخير أمر القوم بالرحيل وقال: سيروا فإن أدرككم أحد كررتم عليه، وبينما هم سائرون اعترض عمرو بن عبدالله بن جعدة بعض

هذه الجموع ، فأخبر الأحوص بذلك ، فقال الأحوص : قدمونى أستطلع الأمر فقدموه حتى وصل إلى عمرو بن عبدالله بن جعدة،فقال الأحوص : ماهذا الذى تصنع ؟ فقال له عمرو:وماهذا الرأى الذى ارتأيته،أتريد أن تفضحنا وتخرجنامن بلادنا ، ونحن أعز العرب وأكثرهم عددا ! فقال الأحوص:وكيف أفعل وقد جاءنا مالا طاقة لنا به؟فقال عمرو: الرأى أن ترجع إلى شعب جبلة وبجعل الأموال والنساء والذرارى والضعفة فى رأسه ونكون فى وسطه،فإذا طلبنا القوم فإنهم سيقيمون فى أسفل الوادى على غير ماء ولا مقام لهم حينئذ ، فإن اقتحموا الشعب كنا أقدر منهم على القتال. فقال الأحوص : هذا والله الرأى ! فأين هذا الرأى عندما عرضت الآراء؟ فقال عمرو :إنما جاءنى هذا الرأى الآن ، وعندما سمع الأحوص رأى عمرو أمر الناس بالرجوع إلى شعب جبلة . وقد أشاد النابغة الجعدى برأى عمرو بن عبدالله بن جعدة فقال :

ونحن حبسنا الحى عبسا وعامرا ... لحسان وابن الجون إذ قيل أقبلا
وقد صعدت وادى بحار نساؤهم ... كإصعاد نسر لا يرومون منزلا
عطفنالهم عطف الضروس فصادفوا ... من الهضبة الحمراء عزا ومعقلا

وجبلة هذه هضبة حمراء بين الشريف والشرف ، فالشريف ماء لبنى نمير والشرف ماء لبنى كلاب.وهذه الهضبة لها شعب ضيق المدخل متسع من الداخل. وعندما وصلت عامر إلى الشعب نحت الإبل عن الماء،ووضعت الأموال والذرارى والنساء فى أعلى الشعب ، وبقى المحاربون فى وسط الشعب ، وعندما علمت عامر بقرب وصول المهاجمين أمر الأحوص بعقل الإبل التى ظمئت قبل ذلك ، فعقل كل بعير بعقالين ، وأخذت القبائل المهاجمة تصل إلى شعب جبلة ، وعسكرت فى أسفل الشعب،ثم بدأوا يتشاورون فى كيفية الهجوم،فقال لقيط:أرى أن تصعدوا إليهم ، وقال غيره: دعوهم فو الله لن تمضى ليلة إلا وقد خرجوا إليكم . ولكن

لقيطا عزم على تنفيذ رأيه، فأمر الناس بالهجوم واقتحم الشعب بنى عامر، وكان بنو عامر يرقبون الموقف، فقالوا للأحوص: إن القوم قد اقتحموا الشعب قال: دعوهم، وأخذت بنو تميم وغيرها من القبائل فى الصعود فى حافتى الشعب، فقال بنو عامر للأحوص قد أتوك فما أنت فاعل؟ قال: دعوهم حتى يصلوا إلى منتصف الجبل، وعندما وصل المهاجمون إلى منتصف الجبل أمر الأحوص بحل عقل الإبل وأن يتبع كل رجل بعيره ويأخذ معه حجرا أو حجرين، فعندما حلت عقل الإبل انحدرت مع الشعب طالبة الماء والرعاء، وأخذت تحطم كل شيء فى طريقها، وتبعها الرجال فأخذوا يرمون المهاجمين بالحجارة والنبل، وكان لقيط قد سخر من بنى عامر عندما رأى إبلهم قد صنع بها ما صنع، فقال رجل من بنى أسد:

زعمت أن العير لاتقاتــل بلى إذا تقعقع الرحائل

واختلف الهندى والذوابل وقالت الأبطال من ينازل

بلى وفيها حسب ونائل

ومضت الإبل فى طريقها فانحط الناس منهزمين من جانبى الشعب حتى السهل. وعندما بلغوا السهل لم يكن لهم همة فى القتال فانهزموا لا يلوون على شيء، فتبعهم بنو عامر يقتلون ويسلبون، وحاولت تميم أن تصد بنى عامر ولكن شريح بن الأحوص تصدى لتميم، وفى هذه الحالة تقدم لقيط إلى شريح فعاجله شريح بضربة أسقطته عن فرسه، وهكذا قضى لقيط نحبه، أما حاجب ابن زرارة، فقد ولى منهزما وتبعه الزهدمان زهدم وقيس ابنا حزن بن وهب ابن عويمر بن رواحة العبسيان، فجعلا يطردان حاجبا ويقولان له: استأسر وقد قدرا عليه فقال لهما: من أنتما؟ فقالا: الزهدمان فقال: لا أستأسر اليوم لموليين، وبينما

على هذه الحالة إذ لحقهم ذو الرقيبة القشيرى ، فقال ذو الرقيبة لحاجب: استأسر فقال: ومن أنت؟فقال أنا مالك ذو الرقيبة فقال : أما الآن فنعم . وقد حاول الزهدمان أسر حاجب بن زرارة ولكن ذا الرقيبة غلبهما فأسر حاجبا ، ورجع الزهدمان إلى قيس بن زهير بن جذيمة يعرضان عليه الأمر ، وعندما سمع قيس منهما ذهب إلى بنى عامر وقال: إن صاحبكم أخذ أسيرنا فقالوا له: ومن صاحبنا؟ فقال: مالك ذو الرقيبة القشيرى أخذ حاجبا من الزهدمين، فجاءهم مالك وقال: لم آخذه منهما ولكن حاجبا استأسرلى وهذا هو فى بيتى اسألوه عن ذلك ، فجاء القوم وسألوا حاجبا فقال: أما من ردنى عن قصدى ورأى منى عورة وتركها فالزهدمان، وأما الذى استأسرت له فمالك. ثم قال حاجب حكمونى فى نفسى ، فقال القوم قد حكمناك ، فقال أما مالك فله ألف ناقة ، وأما الزهدمان فلهما مائة ناقة .

وقد اختلف فى تاريخ يوم جبلة ، فقيل وقع قبل الإسلام بتسع وخمسين سنة ، أى قبل مولد النبى ﷺ بتسع عشرة سنة [١] . وقيل بل قبل الإسلام بسبع وخمسين سنة ، أى قبل مولد النبى ﷺ بسبع عشرة سنة[٢] . وقيل قبل الإسلام بنيف وأربعين سنة [٣] . وقيل قبل الإسلام بأربعين سنة[٤] .

٥ ـ يوم المروت :

والذى هاج الحرب فى ذلك اليوم هو أن بحير بن عبد الله بن عامر بن سلمة ابن قشير التقى بقعنب بن الحارث بن عمرو بن همام بن يربوع فى سوق عكاظ والناس مجتمعون ، فقال بحير لقعنب : مافعلت البيضاء فرسك ؟قال قعنب : هى

(١) الأغانى ١١ / ١٦٠ .
(٢) النقائض ٢ / ٦٧٦ .
(٣) التنبيه والإشراف ١٧٥ .
(٤) نهاية الأرب ١٥ / ٣٥١

عندى ؟ فقال بحير وكيف شكرك لها؟فقال قعنب:وعلى أى شىء أشكرها؟فقال بحير : وكيف لا تشكرها وقد نجتك منى ، فقال قعنب : ومتى كان ذلك ؟ فقال بحير حينما قلت :

لو أمكنتنى من بشامة مهرتى   اللاق كما لاقت فوارس قعنب
تمطت به البيضاء بعد اختلاسه   على دهش وخلتنىَ لم أكذب

وقد أنكر قعنب ذلك ثم أقسم أن لا يرى بحيرا بعد هذا اللقاء إلا قتله أو مات دونه ، وانصرف الناس من سوق عكاظ وعاد قعنب إلى بلاده كما عاد بحير إلى بلاده ،ومرت الأعوام الواحد تلو الآخر،ولكن هل يكف العرب عن الغزو والغارة،لقد أغار بحير بن عبد الله على بنى العنبر من تميم وهم حلول فى رملة قريبة من النباج ، فنهب وسلب وقتل ثم عاد إلى بلاده دون أن يمسه أذى ، ولكن هل يترك بنو تميم بحيرا ؟لا لن يكون ذلك لقد جدّوا فى طلبه ، وكان أول من لحق ببحير وقومه بنو عمرو بن تميم ، ثم وصل بعد ذلك بنو مالك ابن حنظلة ، ثم لحق بنو يربوع بهم بعد ذلك،واحتدم القتال بين بنى تميم وبنى قشير فى المروت ، ثم إن كدام بن نخيلة المازنى تمكن من طعن بحير حتى سقط عن فرسه ، فأسرع كدام إلى بحير ليأسره وفى هذه الأثناء أبصره قعنب فأسرع إليه شاهراً سيفه فحاول كدام منعه فقال : ماز رأسك والسيف فأطار قعنب رأس بحير . وبعد قتل بحير انهزمت بنو قشير فى ذلك اليوم . وقد قال أوس ابن بحير فى ذلك اليوم :

لعمرك ما أصاب بنو رياح   بما احتملوا وغيرهم السقيم
بقتلهم امرأ قد أزلته   بنو عمرو وأوهطه الكلوم
فإن كانت رياحا فاقتلوها   وآل نخيلة الثأر المنيم[1]

---

(١) النقائض ١/٧٠ وشروح سقط الزند ٤/١٨٤٠ ونهاية الأرب ١٥/٣٧٧.

٦ — يوم النسار :

وكان سبب القتال في ذلك اليوم أن بلاد بنى عامر أجدبت ، وأخصبت بلاد بنى سعد والرباب ؛ فطلبت بنو عامر من بنى سعد والرباب أن يرعوهم بعض أرضهم فوافق بنو سعد والرباب على ذلك ، وأقبلت بعد ذلك عامر ومن معها من هوازن إلى بلاد بنى سعد والرباب ، وعندما كثر الناس فى هذه الأرض قال بعضهم لبعض : والله ما اجتمع مثل هذا العدد فى أرض إلا وكانت بينهم أحداث ، ولكن ليضمن رجل من هوازن ما يحدث من قومه ، وليضمن رجل من سعد والرباب ما يحدث من قومه ، فكان الضامن لما يحدث من هوازن قرة بن هبيرة بن عامر بن صعصعة . وكان الضامن لما يحدث من سعد والرباب الأهتم ، وهو سنان بن يحيى بن خالد بن منقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب ابن سعد بن زيد مناة ، وبعد أيام قليلة من هذا الاتفاق أغار رجل من ضبة يدعى الحنتف بن الحارث بن طريف بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن سعد بن ضبة أغار على خيل لذى الرقيبة القشيرى ، وأودعها عند خالد بن عمرو بن عبيد ابن نصر بن سبيع بن مالك بن سعد بن ثعلبة بن دودان الأسدى ، وكان قد أودعها قبل ذلك عند عوف بن عطية بن الخرع التميمى ، وعندما فقد مالك ابن سلمة بن قشير خيله جاء إلى قرة بن هبيرة وأخبره بالأمر ، فقال له قرة لابد من الذهاب إلى الأهتم فذهبا معا إلى الأهتم وأخبراه بفقد الخيل ، فقال الأهتم وهل تدرون من أخذها فقالا لا ، قال اذهبوا واسألوا وسنسأل عنها أيضا فإن تبين أنها عند أحد من سعد والرباب فأنا لها ضامن ، وبعد السؤال عن الخيل ذكر رجل أنها رئيت عند عوف بن عطية ، فأقبل قرة بن هبيرة إلى عوف وسأله عن الخيل فأنكر أن يكون قد رآها أو علم بها ، فجاء قرة إلى الأهتم

وأخبره بالأمر ، وكان الأهتم قد سأل عن الخيل فذكر أنها رئيت عند عوف فأخذ الأهتم إبل عوف فحبسها ليرضى قرة وذا الرقيبة ، وقد قل عوف ابن عطية فى ذلك :

يا قر يا بن هبيرة بن قشير   يا سيد السلمات إنك تظلم
يا قر إن تشمر فإنى شاعر   أو إن تكارمنى فغيرك أكرم
هل أغرمن لعامر من عامر   ولم ألاقهـــم ولم أتكلم
أو أغرمن لذى الرقيبة خيله   إن كان دلهم علىّ الأهتم

وبعد مدة أخرج الحنتف الخيل ، وبينما هو يوردها على غدير رآه رجل من بنى قشير ، وقال له : هذه خيل ذى الرقيبة فأنكر الحنتف ذلك ولكن القشيرى حاول صد الخيل فاعترضه الحنتف ، فضرب القشيرى الحنتف على ساعده فضربه الحنتف فقتله ، وهكذا قتل القشيرى . وعندما علمت عامر بذلك جاءت إلى بنى سعد وقالت : نحن فى جواركم ويفعل بنا ماترون ، فذهبت بنو سعد إلى بنى ضبة وقالت : لابد من تسليم الحنتف إلى بنى عامر ، فأبت ذلك بنو ضبة ،فوقع النزاع بين بنى سعد وبنى ضبة، وانضمت بنوسعد إلى بنى عامر ،أما بنوضبة فقد طلبوا النجدة من بنى أسد ، فأقبل بنو أسد وحلفاؤهم بنو ذبيان من غطفان وطيء وقد التقى الطرفان فى النسار ، وكان رئيس الأحاليف حصن بن حذيفة بن بدر ورئيس بنى عامر شريح بن مالك القشيرى،وبعد أن التحم الفريقان بقليل بدأت كفة الأحاليف ترجح واستحر القتل فى بنى عامر ، فقتل قد بن مالك الوالبى شريح بن مالك القشيرى، وفى ذلك يقول بشر بن أبى خازم :

وهم تركوا رئيس بنى قشير   شريحا للضباع وللنسور

وعندما قتل شريح انهزم الناس وتدافعوا هربا من القتل ، فحاول قدامة ابن عبد الله بن سلمة بن قشير ـ وهو الذائد ـ أن يحمى أدبار المنهزمين فتصدى له ربيعة بن أبى الضبى فرماه بسهم فقتله ، وعندما رأت بنو كلاب تلك الهزائم المتلاحقة تلحق ببنى عامر طلبت من الأحاليف أن يشاطروهم أموالهم وسلاحهم على أن ينجوا بعد ذلك،فوافق الأحاليف على ذلك ، فقالت الفارعة بنت معاوية من بنى قشير تعير كلابا بذلك :

منا فوارس قاتلوا عن سبيهم ... يوم النسار وليس منا أشطر
ولبئس مانصر العشيرة ذولحى ... وحفيف نافجه بليل مسهر
ضبعا هراش تعفران استيهما ... فرأتهما أخرى فقامت تعفر
زعمت بزوخ بنى كلاب أنهم ... منعوا النساء وأن كعبا أدبروا
كذبت بزوخ بنى كلاب إنها ... تمشى الضراء وبولها يتقطر
حاشى بنى المجنون إن أباهم ... صات إذ سطع الغبار الأكدر

وقالت الفارعة فى قتل قدامة الذائد وفرار بنى كلاب :

شفى الله نفسى من معشر ... أضاعوا قدامة يوم النسار
أضاعوا به غير رعديدة ... كريم الصباح بعيد المزار
ينبى الفوارس عن رمحه ... بطعن كأفواه كمب المهار
وفرت كلاب على وجهها ... خلا جعفر قبل وجه النـــهار (١)

وقال بشر بن أبى خازم فى انهزام بنى عامر :

جعلنا قشيرا غاية يهتدى بهـــا ... كما مدّ أشطان الدلاء قليبهـــــا
لدن غدوة حتى أتى الليل دونهم ... وأدرك جرى المنقيات لغوبها

(١) بلاغات النساء ١٧٩ .

قطعناهم فباليمامــــة فرقـــــة   وأخرى بأوطاس تهـر كليبهـــا
أضربهم حصن بن بدر فأصبحوا   على آلة يشكو الهوان حريبهـــا
بنى عامر إنا تركـــنا نساءكم   من الشل والإيجاف تدمى عجوبهـا
عضاريطها البيض الكواكب كالدمى   مضرجة بالزعفران جيوبهـــا (١)

* * *

هذه أهم الحروب التى خاضتها بنو قشير فى الجاهلية ، ونحن نعرف أنه لم يصلنا من أخبار حروب هذه القبيلة إلا القليل، ولكن هذا القليل يعرض علينا نوعا من الحياة العسكرية التى تعيشها هذه القبيلة، وقد وقفنا على أنواع هذه الحروب فبينما نجد الحرب تندلع بين قشير وجعدة فى أكمة إذ بالقبيلتين تحاربان جنبا إلى جنب فى جبلة والنسار ، ولم يقتصر الأمر على اجتماع قبائل كعب فى الحروب الكبيرة بل تعداها إلى اجتماع قبائل عامر ، وربما اجتمعت معظم هوازن كما حدث فى النسار ، وبما أن حروب قبيلة عامر واحدة ، فإننا لم نستطع أن نفرد قبيلة قشير بدراسة حربية منفصلة لأن الوقائع الكبيرة لقبيلة عامر واحدة وبنو قشير من عامر . وبعد هذا العرض السريع لحروب هذه القبيلة فى الجاهلية ننتقل بعد ذلك إلى وفادة قبائل كعب بما فيها قشير على الرسول ﷺ .

٢ — وفادة قشير على الرسول وإسلام القبيلة :

وفدت قبيلة كعب على الرسول ﷺ ، وكان وفد عقيل يشمل ربيع ابن معاوية بن خفاجة بن عمرو بن عقيل ، ومطرف بن عبد الله ، وأنس بن قيس ابن المنتفق ، فبايعوا وأسلموا وقد أعطاهم الرسول ﷺ العقيق عقيق بنى عقيل وكتب لهم بذلك كتابا فى أديم أحمر ، ونصه (بسم الله الرحمن الرحيم

(١) النقائض ٢٣٨ ، ٣٨٨ ، ١٠٩٤ والعمدة ٢/٢٠٩ والكامل فى التاريخ لابن الأثير ١/٦١٧ ونهاية الأرب ١٥/٤٢١ .

هذا ما أعطى محمد رسول الله ربيعا ومطرفا وأنسا ، أعطاهم العقيق ما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وسمعوا وأطاعوا ولم يعطهم حقا لمسلم) ، وقد بقى هذا الكتاب عند مطرف . ثم وفد على الرسول ﷺ لقيط بن عامر بن المنتفق ابن عامر بن عقيل ، وقد أعطاه الرسول ماء يقال له النظيم ، ثم وفد من بنى عقيل أبو حرب بن خويلد بن عامر بن عقيل وقد قرأ عليه الرسول ﷺ القرآن واستمع إليه وقال للرسول : إنك لتقول قولا لا نحسن مثله ولكن سوف أضرب بقداحى ، وقد ضرب بقداحه ثلاث مرات وفى كل مرة تخرج على سهم الكفر ، فرجع أبو حرب دون أن يسلم ، وكان لأبى حرب أخ يسمى عقالا فرجع إليه واستشاره فى الإسلام ، وقال : إن الرسول سيعطينى العقيق إن أنا أسلمت فقام عقال وركب فرسه وجر رمحه على أسفل العقيق وقال : أنا أعطيك أكثر مما يعطيك محمد . وقد قدم عقال هذا على الرسول وعرض عليه الرسول ﷺ الإسلام ، وقال أتشهد أن محمدا رسول الله فيقول أشهد أن هبيرة ابن النفاضة نعم الفارس يوم قرنى لبان ، ثم قال النبى ﷺ أتشهد أن محمدا رسول الله ؟ فيقـــول أشهد أن الصريح تحت الرغوة ، ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم ثالث مرة : أتشهد أن محمد رسول الله ؟ فشهد عقال فى المرة الثالثة. وقد وفد بعد ذلك على الرسول صلى الله عليه وسلم الحصين بن المعلى بن ربيعة ابن عقيل وذو الجوشن الضبابى فأسلما[1] .

ومن الذين وفدوا على الرسول ﷺ من بنى جعدة : الرقاد بن عمرو بن ربيعة بن جعدة ، وقد أعطاه الرسول ﷺ ضيعة بالفلج وكتب له كتابا ؛ وقد

---

(١) نهاية الأرب ١٨/٤٥ .

بقى الكتاب عند بنى جعدة[1] ، ومنهم النابغة الجعدى الشاعر ، وقد قال في وفادته على الرسول ﷺ :

أتيت رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتابا كالمجرة نيرا

وجاهدت حتى ما أحس ومن معى سهيلا إذا ما لاح ثمت غورا

أقيم على التقوى وأرضى بفعلها وكنت من النار المخوفة أوجرا[2]

وقد جاءت وفادة بنى قشير على الرسول ﷺ متأخرة ، فقد وفدوا على الرسول ﷺ بعد غزوة حنين وقبل حجة الوداع ، وكان أبرز من فى الوفد ثور بن عزرة بن عبد الله بن سلمة بن قشير ، وقد أعلن إسلامه فأقطعه الرسول ﷺ قطيعة وكتب له بها كتابا ، وكان مع ثور فى وفد قشير حيدة بن معاوية ابن قشير وقرة بن هبيرة بن سلمة الخير بن قشير ، وقد كسا النبى ﷺ قرة بردا وولاه على صدقات قومه[3] ، وعندما رجع قرة ، بعد وفادته على الرسول ﷺ قال :

حباها رسول الله إذ نزلت به وأمكنها عن نائل غير منفد

فرت بروض الخضر وهى حثيثة وقد أنجحت حاجاتها من محمد[4]

٣ ــ حروب بنى قشير في عصر صدر الإسلام والعصر الأموى :

تقدم معنا أن وفادة بنى قشير على الرسول ﷺ جاءت متأخرة ، فلم يكن بين موت الرسول ﷺ وإسلام القبيلة إلا زمن قليل . وعندما توفى الرسول

---

(١) نهاية الأرب ١٨/٤٧ .

(٢) الأغانى ٥/٩ .

(٣) نهاية الأرب ١٨/٤٧ .

(٤) معجم البلدان ٣/٨٩ .

ﷺ وتولى الخلافة أبو بكر ارتد كثير من القبائل العربية ، وفيما يبدو كان بنو قشير ممن ارتد عن الإسلام كما ارتد غيرهم . وقد انضم بعض بني قشير إلى طليحة بن خويلد الأسدى الذى تنبأ بعد موت النبي ﷺ واستطاع أن يكوّن جيشاً من أسد وغطفان ، وقد وجه أبو بكر رضى الله عنه خالد بن الوليد إلى طليحة بن خويلد ، فالتقى جيش خالد بطليحة ومن معه فى بزاخة ، فانهزم طليحة وأسر عيينة بن حصن وقرة بن هبيرة القشيرى [١] الذى كان وفد على الرسول ﷺ ، وقد عفا أبو بكر عن عيينة وقرة . وبعد أن عادت العرب إلى الإسلام أرادت أن تكفر عن ذنوبها فاتجهت إلى الجهاد فى سبيل الله ، ولذلك نجد أن الحروب التى كانت تنشب بين القبائل فى الجزيرة العربية قد تقلصت لأن هذه القبائل اتجهت إلى الجهاد فى سبيل الله خارج الجزيرة العربية ونسيت أحقادها . وقد اتخذ كثير من القبائل العربية البصرة مركزاً له ، ومن هذه القبائل بنو قشير [٢] ، فقد استقر كثير منهم فى مدينة البصرة لأن هذه المدينة أصبحت منطلقا للجيوش الإسلامية المحاربة فى المشرق ، وعندما انقسم المسلمون بسبب مقتل عثمان رضى الله عنه كانت بنو قشير تميل إلى عثمان [٣] ، وبعد قيام الدولة الأموية برز من بنى قشير قواد عظام ؛ فقد تولى عبد الرحمن بن نعيم القشيرى خراسان والمشرق لعمر بن عبد العزيز رضى الله عنه [٤] ، وتولى كلثوم بن عياض القشيرى دمشق لهشام بن عبد الملك ، وعندما سمع الخليفة بعصيان الخوارج فى المغرب وخلعهم للطاعة كون جيشاً كبيرا يتألف

(١) أسماء المغتالين ٢٤٤ .

(٢) نزهة الألباء ص ٦ .

(٣) ذيل زهر الآداب ١٦٧ .

(٤) الكامل فى التاريخ ٥/١٠٧ .

من اثنى عشر ألفا،وأمر كلثوم بن عياض أن يتوجه إلى المغرب على رأس هذا الجيش ، وقد انضم إلى جيش كلثوم بن عياض كثير من المقاتلين وهو فى طريقه إلى المغرب حتى اجتمع له سبعون ألف مقاتل،وعندما وصل إلى بلاد المغرب التقى برأس الصفرية هناك ، وهو أبو يوسف الأزدى ، فانهزم كلثوم بن عياض وقتل وتمزق جيشه بعد أن قتل عدد من أمراء ذلك الجيش ، وبالرغم من الثبات الذى أظهره بلج بن بشر القشيرى فى هذا القتال بعد أن قتل عمه كلثوم المنهزم لم يستطع أن يصمد أمام الخوارج فتفرق ذلك الجيش وانسحب بلج ومن معه إلى الأندلس، ورجعت بعض فرق الجيش إلى القيروان[١]. وإذا كان بنو قشير قد ساهموا فى الفتوح الإسلامية وفى تثبيت الحكم الإسلامى فى البلاد المفتوحة فإن من بقى منهم فى بلادهم كانوا مايزالون مستمرين فى حروبهم مع جيرانهم من القبائل العربية، صحيح أن الأوضاع فى الجزيرة العربية قد هدأت بعد حروب الردة وتناسى الناس خلافاتهم ، ولكن العصبيات بدأت تظهر من جديد بعد قيام الدولة الأموية . ومن حروب بنى قشير مع جيرانهم فى هذه الفترة حربهم مع حنيفة ، وذلك أن بنى حنيفة قد هاجمت بنى عقيل فقتلت رجلا من بنى عقيل ورجلا من بنى قشير ، وقد علمت بنو عقيل بذلك فلحقت ببنى حنيفة وقتلوا منهم رجلا وعقروا بعض الخيل ، وبعد سنة من هـــذه الحادثة أجدبت بلاد بنى عقيل فانتجعت بلاد بنى تميم ، وعندما وصلت إلى هذه البلاد أسرعت تميم فأخبرت بنى حنيفة بمكان بنى عقيل ، فأقبلت بنو حنيفة غازية عقيلا وقـــد علمت بنو نمير بذلك فأسرعت إلى بنى عقيل وأخبرتهم بمهاجمة بنى حنيفة لهم ، وعندما

---

(١) الكامل فى التاريخ ٥/ ١٩٢ ، ٢٤٩ ، ٢٧٦ ، ٣١١ ، ٤٩١ ، وشذرات الذهب ١/ ١٦١ والاستقصاء ١/ ٩٨ .

علمت عقيل بذلك انسحبت لأنها لم تكن مستعدة للقتال ولكنها أخذت تعد العدة لمحاربة بنى حنيفة. وعندما استعد بنو عقيل للقتال قال بعضهم لبعض: لا تهاجموا بنى حنيفة فى ديارهم فإنكم لن تستطيعوا ذلك. وبعد أن وافق القوم على ذلك رجعوا إلى بلادهم. ولكن بنى حنيفة عزمت على غزو بلاد كعب فخرجت من بلادها واتجهت إلى الفلج، ووصلت الأخبار إلى بنى عقيل وقشير فاستعدوا لذلك وأخذوا يجمعون الجموع، وكان أمير العقيق أبا لطيفة بن مسلم العقيلى، فأخذ يجمع الجموع من بنى عقيل وبنى قشير والحريش، واجتمعت جموع كثيرة، فقال أبو لطيفة لهذه الجموع انتظروا فإنى مرسل طليعة إلى القوم وبعد يومين عادت الطليعة وأخبرت أبا لطيفة بالقوم فرأى أن المهاجمين لا يحتاجون إلى هذه الجموع، فأقبل أبو لطيفة على الناس وقال: انصرفوا فإن القوم قلة، ثم اختار بعض الفرسان من بنى قشير والحريش فغضبت بنو قشير وقالت إن أبا لطيفة يريد أن تكون السمعة له ولقومه، وكان يزيد بن الطثرية قد أشار على بنى قشير بمهاجمة بنى حنيفة، ولكن عبد الله بن جعونة القشيرى أبى ذلك وانضم إليه بعض بنى قشير، فقال يزيد بن الطثرية فى ذلك:

قل للبوادر والأحلاف مالكم ... أمر إذا كان شورى أمركم شعبا

لا تنشبوا فى جناح القوم ريشكم ... فيجعلوكم ذنابى ينبت الزغبا

لا عيب فىّ لكم إلا معاتبتى ... إذا تعتبت من أخلاقكم عتبا[1]

وقد سار أبو لطيفة بقومه إلى بنى حنيفة، وكان رئيس بنى حنيفة المندلف ابن إدريس الحنفى، والتقى القوم واشتد القتال، وكانت كفة بنى عقيل ومن معهم من قشير راجحة فى هذا القتال، وقد أصيب المندلف الحنفى فى عينه

---

(١) أسماء المغتالين ٢٤٧ .

ثم قتل ، وقد انتصر بنو عقيل وقشير فى هذا القتال ، وبالرغم من أن الجيش قد انتصر إلا أن فئة من بنى حنيفة قد أحاطت برجل من بنى قشير هو يزيد ابن الطثرية فقطعت يده فى هذا القتال فأخذ ينشد :

ولو ترانى وأخى عطاردا   نذود من حنيفة المذاودا

نذود منها سرعانا واردا   مثل الدبى تتبع المواردا

ألا فتى يسقى شرابا باردا   أنشد كفا قطعت وساعدا

أنشدها ولا أرانى واجدا   أبلغ أبا لطيفة المعاندا

المطعم الستة مدا واحدا[١]

وقد قتل يزيد فى هذه المعركة ، وكانت هذه الوقعة فى سنة ست وعشرين ومائة[٢] .

٤ — الوضع الاقتصادى للقبيلة :

إذا بحثنا عن أسباب الحروب عامة عند العرب فى العصر الجاهلى وجدنا أن الدافع لكثير من هذه الحروب إنما هو النهب والسلب ، فمثلا نرى بحير بن عبد الله القشيرى عندما أغار على بنى تميم فى يوم المروت كان الدافع لغزوته تلك النهب وقد أخذ أموالا من بنى تميم ، وبسبب هذه الأموال التى نهبها من أصحابها لحقه بنو تميم ، ودارت المعركة بين الطرفين فى المروت . والغزو عند البادية شىء مشروع بل إنهم يفتخرون بالغزو ويعدونه مصدراً هاما من مصادر الرزق ، وكثيراً ما تلجأ قبيلة إلى قبيلة أخرى بسبب خصب أرض تلك القبيلة ، وإذا

(١) شرح الحماسة للتبريزى ٣/١٦٣ .

(٢) الأغانى ٨/١٨٠ ووفيات الأعيان ٦/٣٦٧ .

كانت القبيلة التى تسيطر على الأرض الخصبة قبيلة ضعيفة، فإنها ستطرد عن تلك الأرض وستحل مكانها القبيلة القوية، ولذلك نجد أن الأرض الخصبة فى بلاد العرب تكون مسرحا للمعارك الضارية، وهذا مشاهد عند القبائل العربية فى القديم وفى الحديث؛ فأرض العالية أى عالية نجد أنها بسبب وفرة مراعيها لا يستقر فيها إلا القبيلة القوية، وإذا رجعنا إلى حروب العرب فى الجاهلية وجدنا أن كثيراً من هذه الحروب وقع فى تلك المنطقة بسبب خصوبتها. وبلاد بنى قشير واسعة الأرجاء فيها العيون الجارية والأودية الخصبة والرياض التى تجود بأحسن المراعى إذا أصابها الغيث، وفيها الجبال التى تحمى أصحابها فى الحروب كما حصل فى يوم جبلة، وبنو قشير الذين يقطنون هذه الأرض الواسعة ينقسمون إلى قسمين : حضر وبدو . أما الحضر فيسكنون فى الأفلاج وفى قرى الريب كما مر معنا . وقد وصفنا هذه البلاد وذكرنا أن الأفلاج وافرة المياه، ولذلك فإن أصحابها يعتمدون على الزراعة وخصوصا زراعة النخيل، فالنخلة لها دور كبير ولذلك فقد ذكرها الشعراء كثيراً، فهذا حبيب القشيرى يقول فى نخلة أعجبته بوفرة ثمرتها :

من كل بائنة تبين عذوقها ... منها وحاضنة لها ميقار[1]

ويقول أيضاً فى النخل :

بهـــازرا لم تتخذ مآزرا ... فهى تسامى حول جلف جازرا[2]

وقال الصمة مخاطبا زوجته جبرة بنت وحشى بن الطفيل :

---

(١) مجالس ثعلب ١/٤٨٠ .

(٢) مجالس ثعلب ١/٤٨٠ .

كلى التمر حتى تهرم النخل واضفرى
خطامك ماتدرين ما اليوم من أمس [1]

ويقول ميمون بن عامر فى نخل قد وصلت عروقه إلى الماء فهو لا يحتاج إلى سقى :

جوازى لم يسمعن صوت محالة بقيظ ولم تشعب لهن الجداول
ضربن بأرسان طوال فأدركت بجرعاء من نجد قرارة ساحل
كأن النسور المضرحية علقت بأمطائها فى روس تين هيا كل [2]

وهذا ابن الشفاء يهجو بنى قرط لأن جواريهم يسنين على البثار يقول :

ترى كل مقلاق الوشاح مشيحة بغرب على زور أجم سحالها
إذا نهضت من آخر الليل غردت كما غردت ورقاء أحيا سبالها [3]

إذاً الزراعة لها دور كبير فى حياة بنى قشير ؛ فهذه الفئة التى استقرت قنعت باستقرارها، فهى لا تغزو للنهب والسلب وكسب العيش وإنما تعتمد على ماتزرعه من أشجار النخيل ومن الحبوب بالإضافة إلى تربية المواشى . وحياة هؤلاء تكون أقرب إلى الثبات ، وخصوصا إذا علمنا أن المياه التى يعتمدون عليها إنما هى مياه ثابتة . أما بادية بنى قشير فسكانها كغيرهم من سكان بوادى الجزيرة العربية ، حياتهم تعتمد على نزول المطر ، حيث يرعون أنعامهم والاعتماد الأول عند هؤلاء إنما هو على الإبل ، فالإبل يستفيدون منها فى حياتهم المعيشية من وجوه متعددة ، ولذلك فإنهم يفخرون بها ؛ يقول الأقرع بن معاذ :

(١) الأغانى ٦/٢ .
(٢) التعليقات والنوادر ورقة ٧٤ .
(٣) التعليقات والنوادر ورقة ٤٥ .

إن لنا صرمة تلفى محبسة فيها معاد وفى أربابها كرم
تسلف الجار شربا وهى حائمة ولا تبيت على أربابها قسم
ولا تسفه عند الحوض عطشتها أحلامنا وشريب السوء يحتدم[١]

وإذا كانت بادية بنى قشير تعتمد على الإبل فهى تعتمد أيضا على الأغنام ولكنها لاتفتخر باقتنائها بالرغم من أن حياة البادية تعتمد على الأغنام من وجوه متعددة . وقلما نجد من يفخر بها كما فعل موسى بن عيسى اللبينى عندما فخر بكثرة لبن ضأنه يقول :

بلغ أبا موسى على المجران بأن ضأنى جمة الألبان
قد شبعت من زهر الحوذان وعجلة مايلة الأرسان
لسودها الزغاب حالبان[٢]

والإبل والأغنام تعتمد على الرعى، فإذا انقطع المطر فإن حياة سكان البادية مهددة بالخطر بسبب موت إبلهم وغنمهم . وهذا ما يحدث للبادية كثيرا ؛ فإن سنين الخصب لا تستمر ، ومن هنا نجد أن حياة البادية غير ثابتة بعكس حياة الحضر الذين يعتمدون على المياه الثابتة ، وقد عبر الصمة بن عبدالله القشيرى عن حياة البادية فى نجد أحسن تعبير حيث يقول :

فما من قلي للنجد أصبحت هاهنا إلى جبل الأوشال مستخبيا بردا
ولكن حاجات الفتى قذف به إذا لم يجد من أن يطالبها بدا
دعونى من نجد فإن سنينه لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا
لحا الله نجدا كيف يترك ذا الندى بخيلا وحُرُّ القوم تحسبه عبدا

(١) شرح الحماسة للمرزوقى ٤/١٧٢٨ .
(٢) التعليقات والنوادر ورقة ٨٢ .

ثم يقول بعد ذلك :

ونجدا إذا جادت به رهم الحيـا   رأيت به المكنان والنفل الجعدا[1]

فحياة البادية إذاً بين خصب وجدب ، وبما أن حياتهم على هذه الطريقة فلا نستنكر إذاً الفخر بالكرم ؛ فبذل المال فى مثل هذه البيئة له وقع كبير فى نفوس الناس . ومن هنا نجد أن بعض بنى قشير يطعم ضيوفه قبل أن يطعم أولاده يقول عوسجة بن نصر المريحى :

أعدى قرى يا أم نصر فعجلى   لمن ضافنا ثم افرغى لعيالك
ألا إن جدى كان أوصى به أبى   قديما وأوصانى أبى مثل ذلك[2]

ويقول عائذ بن نمى من معاوية قشير مفتخرا بكرمه :

سلوها فمرس المرء أدنى شهوده   إذا هبت النكباء بالقزع السحم
أأبيض بسام إذا طلب القرى   إذا نزل الأضياف أم برم فدم
لقد علمت ألا أكيل حقيبتى   عليها ولا تخشى اطلاعى فى العكم
ولا أتغدى وهى غرثى ولا أرى   خوف قرى الأضياف فى غمة البهم[3]

وإذا عرفنا أن البادية فى بعض السنين يلجأون إلى كسر الحنظل وجمع حبه وأكله ، تبين لنا قيمة البذل والكرم ، يقول ابن الوهل المريحى فى الحنظل :

يعجبنى لغاطة البرام   فى كل يوم باكر الجهام
نعم مدلى أنمل الغلام   كأن فيها زهم النعام
أو كسر الماوية الحطام   فيها غناة عن بنى الأعمام

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٤٨ .

(٢) التعليقات والنوادر ورقة ٤١ .

(٣) التعليقات والنوادر ورقة ٣٥ .

كل قليل خـــيره أزام إن قلت أسلفنى إلى أيام
صاعين أو مدين من طعـام وجدته من شدة الأرهـام
أخرس أو قد لبس بالبسام كالضب فى صدع الصفا المعصام[١]

هذه هى حال بنى قشير فى حياتهم المعيشية ، اضطراب فى حياة البادية وثبات فى حياة الحاضرة ، وبالرغم من هذه الحياة القاسية فإن القبيلة تمون المحاربين وتدفع قسطها فى الحروب الكبيرة التى تشترك فيها مع قبائل كعب أو مع قبائل عامر عامة ، وإذا كانت القبيلة تعانى من القحط وضيق العيش فى بعض السنين ، فإنها تنعم بالخيرات فى كثير من السنين،فالرجل قد يمتلك أكثر من ألف ناقة ويملك أيضا آلافا من الأغنام ، وهذه أموال ليست بالقليلة . ولبنى قشير فى الأفلاج حصون قوية وأبنية عظيمة ومزارع واسعة تدل على متانة اقتصاد هذه القبيلة .

* * *

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٦٥ .

الفصل الرابع

الحالة الثقافية لقبيلة قشير

---

١ – مصادر ثقافة قشير فى العصر الجاهلى[1] :

العرب قوم أميون لا يعرفون القراءة والكتابة، وهذا هو السائد فى المجتمعات العربية ، وحتى إذا وجد من يعرف القراءة والكتابة فإن معرفته بها ليست على المستوى الذى يتيح له نشر الثقافة فى قومه، فمثلا أهل مكة منهم من يعرف القراءة والكتابة ، ولهم صلات وثيقة مع الشام ومع اليمن ، ومع ذلك لم تنتشر بينهم الثقافة عن طريق الكتاب . إذ ثقافة العرب فى العصر الجاهلى إنما هى معارف محدودة تنتقل عن طريق المشافهة ، ويستمدها العرب من مصادر متعددة ، منها الأسواق وما يدور فيها ؛ لأن هذه الأسواق تجمع أشتاتا من العرب ، وهى مجمع عظيم لكل القبائل العربية . وبنو قشير كغيرهم من القبائل يحضرون هذه الأسواق ويستمعون إلى مايدور فيها ثم يرجعون إلى قومهم وينقلون إليهم كل دقيقة وجليلة حدثت فى هذه الأسواق . ونحن نعرف سبب حرب

---

(١) لاتسمح الحياة الجاهلية بالعلوم ؛ لأن الحياة العلمية مبنية على القواعد والأصول التى يستنتج بوساطتها المسائل العلمية، بخلاف المعارف فإنها مبنية على المشاهد المتكررة والتجارب الصحيحة، فما كان هناك فى العصر الجاهلى علوم لغوية ولا دينية ولا كونية ، وإنما معارف بسيطة بالطب والأنواء والفلك لاتصل إلى درجة العلم .

المروت فهو ذلك الحديث الذى دار بين بحير بن عبد الله القشيرى وقعنب ابن الحارث بن عمرو بن همام بن يربوع فى سوق عكاظ . وإذا كانت الأسواق مصدرا من مصادر ثقافة قشير، فإن حكماء القبيلة لهم دور كبير فى نشر المعارف بين أفراد القبيلة ، فللقبيلة معارفها فى الطب من كى وتداو بالأعشاب ، ومعالجة الإبل والغنم ، وللقبيلة أمثالها السائرة ، وحكمها النادرة . كل ذلك مستمد من حكماء القبيلة . ومن مصادر ثقافة قشير المجالس وما يدور فيها من أحاديث وما يروى فيها من أخبار . وكثيرا ما تذكر أنساب القبائل فى هذه المجالس فيحفظها الناشئون ويستذكرها العارفون ، واهتمام العرب بالأنساب معروف فالرجل الذى لايعرف نسبه ومزايا قبيلته لايعد شيئا ، ولذلك فإن كل فتى يرى أنه من الضرورى معرفة نسب قبيلته وحسب أسرته ، ثم معرفة أنساب القبائل العربية ومالها من مزايا ، وفى هذه المجالس تستعيد القبيلة تاريخها وأيامها وما فعله رجالها فى الحروب،ومن المصادر الهامة الشعر ، فالشعر سهل الحفظ قوى التأثير ، ولذلك نجد كثيراً من أفراد القبيلة يحفظ شعراً لشعراء قبيلته ولغيرهم . والعربى عامة يتميز بصفاء الطبع ودقة الملاحظة ؛فعندما سار بنو عامر إلى بنى تميم فى يوم رحرحان وأمسكوا المرأة التميمية،استطاعت هذه المرأة أن تصف القوم لزرارة بن عدس وأن يعرف زرارة القوم عن طريق الوصف ؛ فقد قالت المرأة لزرارة : : رأيت قوما يقبلون بوجوه الظباء ويدبرون بأعجاز النساء،فقال زرارة : هؤلاء بنو عامر ثم قالت المرأة رأيت رجلا صغير العينين يرفع حاجبيه عن عينيه ويأتمر القوم بأمره ، قال زرارة ذلك الأحوص بن جعفر . وقالت رأيت رجلا حسن الوجه قليل المنطق فإذا تكلم اجتمع الناس حوله ومعه ابنان له ملازمان له ، قال زرارة: ذلك مالك بن جعفر وابناه ، عامر وطفيل ، ثم قالت

ورأيت رجلا أبيض جسيما أفوه ، قال زرارة : ذلك ربيعة بن عبد الله بن أبي بكر ابن كلاب [١] . وهكذا أخذت المرأة تصف القوم وزرارة يعرف القوم واحداً واحداً . وعندما لحقت بنو تميم ببني قشير في المروت أخذ بحير بن عبد الله زعيم بني قشير في ذلك اليوم يسأل عن القادمين، فقد قال لقومه انظروا ما ترون؟ قالوا نرى خيلا عارضة الرماح، قال أولئك بنو عمرو بن تميم، ثم سأل قومه هل ترون أحداً قالوا نعم نرى خيلا ناصبة الرماح، قال أولئك بنو مالك بن حنظلة ، ثم سأل قومه بعد ذلك وهل قدم غير هؤلاء ؟ قالوا نعم نرى خيـــلا شماطيط ليس معها رماح ، قال أولئك بنو يربوع رماحهم عند آذان الخيل [٢] . ومما يدل على الفطنة والذكاء ما فعله كرب بن صفوان في يوم جبلة ؛ فإنه مر بمجلس بني عامر وأراد أن يخبرهم عن بني تميم، ولـكن بني تميم قد التقوا به وأخذوا عليه المواثيق أن لا يخـــبر بني عامر بسيرهم ، فعندما مر ببني عامر جلس تحت شجرة حيث يرونه ووضع ترابا في صرة وشوكاً كسر رءوسه وفرق جهته ووضع حنظلة بجانبه وعلق في الشجرة وطبا فيه ابن ثم رحل وترك مكانه ، وعندما جاء بنو عامر إلى الشجرة ووجدوا ما ترك كرب بن صفوان احتاروا في أمره ، ثم رجعوا إلى الأحوص بن جعفر وأخبروه بالخبر، فقال: أما الصرة فيقصد بها أن القوم كعدد التراب كثرة ، ويقصد بالشوك أن القوم شوكتهم كليلة وأنهم متفرقون. وأما الحنظلة فيشير بها إلى بني حنظلة من تميم وأنهم قادمون. وأما الوطب فانظروا ما بداخله فنظروا فإذا فيه ابن حزر. قال: القوم منـكم على قدر

---

(١) الأغاني ١١/١٢٦ .
(٢) النقائض ١/٧٠ .

ما يحلب اللبن إلى أن يحزر[١]. وهكذا فسر الأحوص ما تركه كرب بن صفوان والعرب يعرفون الأثر ويستدلون به على صاحبه، سواء كان ذلك إنساناً أم حيوانا وكثيرا ما يجدون إبلهم الضالة إذا تتبعوا آثارها وهم يعرفون الجانى بأثره. وبنو قشير كغيرهم من العرب لهم معرفة بالنجوم والأنواء، فيعرفون وقت المطر والحر والبرد، ويهتدون بالنجوم فى مسيرهم ليلا، ويعرفون الرياح واتجاهاتها ويعرفون مجاهل الصحراء وطرقها وأعلامها، ولبنى قشير معرفة بالزراعة وإصلاح النخيل. وهذا مقتصر على الحضر منهم، أما باديتهم فإن معرفتهم بسياسة الخيل فى الحروب تشهد لها مواقفهم فى الحروب التى خاضوها، سواء كانوا وحدهم أم ضمن بنى عامر. وهذه المعارف لا يستهان بها، فهى شاملة لشئون حياتهم فى العصر الجاهلى.

٢ — أثر الإسلام فى ثقافة قشير :

كانت معارف بنى قشير فى الجاهلية محدودة كما مر معنا، وعندما جاء الإسلام فتح لهذه القبيلة ولغيرها آفاقا واسعة فى المعرفة والعلم، وكان بنو قشير أسبق من غيرهم إلى تحصيل العلم، فقد برز منهم عدد من رواة الحديث والتفسير والأخبار، كما برز منهم عدد من العلماء، وممن اشتهر منهم برواية الحديث ثمامة بن حزن القشيرى الذى روى عن عائشة رضى الله عنها كثيراً من الأحاديث[٢] ومنهم سهل بن سعد القشيرى الذى خرج مع محمد وإبراهيم ابنى عبد الله بن الحسن على المنصور، وقد قبض عليه المنصور وقال له : والله لأقتلنك قتلة ما قتلتها أحدا أبدا، فأجابه سهل بن سعد: والله لأن تحنث فى يمينك هذه

(١) الأغانى ١١/١٣٩ .

(٢) الأنساب للسمعانى ورقة ٤٥٣ .

يا أمير المؤمنين خير لك عند الله من أن تبر بها ، واعلم أنك إن قتلتني قتلت أربعة آلاف حديث سمعتها من الضحاك بن مزاحم عن جدك عبد الله بن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لا يرويها أحد غيري ، فلما سمع منه المنصور ذلك ، قال هات حدثنا مما تحفظ ، فقال سهل : حدثني الضحاك بن مزاحم عن جدك عبد الله بن العباس ، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : عمل الجنة حزن بربوة وعمل النار سهل بسهوة ، والسعيد من وقى شر الفتن ومن ابتلى فصبر فيالها ثم يالها ، وما امتلأ عبد غيظا فكظمه إلا ملأه الله إيمانا . فلما سمع منه المنصور ذلك، قال هات حدثنا، فقال سهل : حدثني الضحاك بن مزاحم عن جدك عبد الله بن عباس، قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : شرف المؤمن قيامه بالليل وعزلته عن الناس . وبعد أن سمع منه المنصور هدأت ثورته وقال هل من أحد يضمنك على أن تلزمنا وتستمر عندنا . وقد لزم سهل المنصور بعد ذلك [١] . ومنهم حاتم بن أبي صغير أبو يونس القشيري الذي يروي كثيراً من الأحاديث، وهو أيضا راوي تفسير وراوي أخبار ، روى كثيرا من معارك قتيبة بن مسلم [٢]. ومنهم أبو الزهراء القشيري الذي يروي كثيرا من الأخبار [٣]. ومنهم بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة القشيري، يروي عن أبيه وعن جده وعن زرارة بن أوفى ، وقد روى عنه الثوري ، واحتج به أحمد بن حنبل . ومنهم الإمام أبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري صاحب الصحيح وهو أحد الأئمة المشهورين ، وقد زار كثيرا من البلاد الإسلامية، منها الحجاز ومصر والشام وخراسان والعراق [illegible] إلى أحمد بن حنبل وابن راهويه وحرملة

---

(١) المحاسن والمساوي [illegible] ٢٩٦ [illegible]

(٢) تاريخ الطبري ١/٢٩٦ ، ٣٢٧ ، ٦/٤٧٨ .

(٣) تاريخ الطبري ٣/٦٠٢

ابن يحيي ، وقد روى عنه إبراهيم بن محمد بن سفيان ويحيي بن محمد بن صاعد ومحمد بن مخلد ، وقد قال أبو على الحافظ النيسابورى : ماتحت أديم السماء أصح من كتاب مسلم[١] ، ومن علمائهم المشهورين أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة بن محمد القشيرى الفقيه الشافعى ، وقد أتقن كثيرا من العلوم كعلم الفقه والتفسير والحديث والأصول والأدب ، وكان له اطلاع فى علم التصوف . وهو من بنى قشير الذين استقروا فى خراسان . ومن العلماء الذين أخذ عنهم العلم الشيخ أبو على الحسن بن على النيسابورى المعروف بالدقاق ، وأبو بكر محمد بن أبى بكر الطوسى ، وأبو بكر بن فورك ، والأستاذ أبو إسحاق الأسفرايينى . وقد اشتهر بمجالس وعظه وتذكيره ، ومن علماء بني قشير أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم . وهو لايقل عن والده فى العلم والفضل ولكنه متعصب للأشاعرة ، فعندما مر ببغداد وهو فى طريقه إلى الحج حصل له خلاف مع الحنابلة،وتطور هـذا الخلاف إلى فتنة قتل فيها عدد من أتباعه ومن خصومه[٢] ، وإن دل ذلك على شىء فإنما يدل على شهرته وتأثيره فى الناس .

وإذا أردنا أن نتعرف على التحول الاجتماعى الذى طرأ على قبيلة قشير عامة بعد ما تحولت هذه القبيلة إلى الإسلام ، وما مدى انتشار تعليم القرآن والحديث ، إذا أردنا أن نتعرف على ذلك فإننا لانستطيع أن نصل إلى مانريد والسبب فى ذلك قلة المصادر التى تساعدنا على التعرف على ثقافة قشير عامة فى هذه الحقبة ، وإذا رجعنا إلى الشعر فإننا لانجد للإسلام الأثر الكبير فى شعر هذه القبيلة . ولولا وجود بعض التلميحات البسيطة كقول حبيب بن يزيد :

---

(١) اللباب فى تهذيب الأنساب ٢/٢٦٤ .

(٢) وفيات الأعيان ٣/٢٠٥ .

ولما رأيت الماتنين ورفعت إلى الله بين الأخشبين السوالف
دعوت بأن يا ذا المعارج والعلا
أرى كل ذى بث بك اليوم هاتف(١)

وقول ابن جحفل اللبينى :

ألا ليت أن الله أنزل سورة على الناس أن لا يمنعوا عزبا فضلا
وألا يغيب الدهر بعل مليحة
من الناس إلا استبدلت بعده بعلا(٢)

وقول يزيد بن الطثرية :

وإنى لداعى الله فى ساعة الضحى عليك وداع جنح كل أصيل
ومحتضن ركن اليمانى ومشتك إلى الجانب الغربى ضعف حويلى(٣)

وقول الورد بن على المريحى :

أما والذى يرجى ويخشى عقابه ترى له قطان المساجد صوما
لئن تلك فاتت نحو بشر سواية لقد كان بشر بالسواية قدما(٤)

لولا وجود هذه التلميحات لما استطعنا أن نفرق بين الشعر الجاهلى والشعر الإسلامى لشعراء هذه القبيلة .

* * *

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٣١ .
(٢) التعليقات والنوادر ورقة ٤٧ .
(٣) التعليقات والنوادر ورقة ٧٨ .
(٤) التعليقات والنوادر ورقة ٥٨ .

البَابُ الثّانِي

شِعْرُ قشير

الفصل الأول

مصادر شعر قشـــــير

---

١ — دواوين شعراء القبيلة :

شعراء بنى قشير كثيرون ولـكن شعرهم قليل ، وقد يكون كثيراً ولـكن لم نستطع الوصول إليه ، وإذا كنا قد جمعنا هذا العدد الـكبير من الشعراء بعد الجهد والمشقة فى البحث عنهم بين طيات الـكتب القديمة، فإننا لم نوفق فى أن نجمع شعر هؤلاء . وإذا كنا قد جمعنا شيئا منه فإنما نـكون قد فتحنا طريقا طويلا وشاقا لمن أراد أن يسير فيه إلى نهايته ، وليس معنى ذلك أننا لم نبذل الجهد المطلوب أو أننا قصرنا فى البحث عن مظان هذا الشعر ، لا لم يحدث شىء من ذلك ، بل بذلنا الجهد وسلـكنا كل طريق نظنه يوصل إلى الهدف الذى نسعى إليه، وهو جمع أكبر عدد ممكن من القصائد والمقطوعات لشعراء بنى قشير، وقد استفدنا بما يقرب من أربعمائة كتاب ما بين مطبوع ومخطوط، أما الـكتب التى اطلعنا عليها ولم نجد فيها شيئا مما نريد فهى كثيرة ، وحصيلة هذا الجهد أننا تعرفنا على أكثر من سبعين شاعراً من شعراء بنى قشير هم : يزيد ابن الطثرية ، الصمة بن عبد الله القشيرى ، المختار بن وهب ، ميمون بن عامر ، الأقرع بن معاذ القشيرى ، خبيب بن يزيد ، نوال بن الشفاء ، بحير بن عبد الله القشيرى، خليفة بن عاصم بن قشير ، مسلم بن عسكر اللبينى ، ابن الوهل المريحى،

أبو مدرك مريزبق ، مزيد بن حارث ، الحسين بن جابر المريحى ، مصعب ابن الطفيل القشيرى ، بشير بن عطى العبيدى، المجنون القشيرى ، موسى بن عيسى اللبينى ، بهيج بن سرور بن عطى العبيدى ، عيسى بن عمير اللبينى ، الأعنق ابن الباهلية ، مريزيق الغوانى، عائذ بن عى ، قدامة بن الأحرز القشيرى القرطى من بنى مالك قشير ، جعفر بن الربيع ، الأخزر بن زيد القشيرى ، مريزيق ابن صالح ، كلثوم بن عياض ، سوادة بن كلاب القشيرى ، اللبينى المنيخس ، منقذ بن عطاء ، ذو الرحل لقمان بن توبة القشيرى ، المستنير بن طلبة بن قشير ، منقذ بن عليج اللبينى ، ابن العفى اللبينى ، قعنب أحد بنى حبيب ، مصقع ابن حسين المريحى ، القعقاع بن ربعية القشيرى ، بشر بن سليمان بن قشير ، محمد ابن حكيم ، رزام بن قشير ، معروف بن قدامة القشيرى ، مالك بن معاوية ابن سلمة ، سام بن رماح ، قائد بن منذر القشيرى ، أبو الزهراء القشيرى ، أوس بن بحير ، أبو جليمة بن أحمد بن عمارة ، معاوية بن قشير ، زياد بن الأشهب القشيرى ، رياح بن الأعلم ، بطال بن معاوية ، عياض بن كلثوم القشيرى ، عبيد الله الطريد ، عقبة بن كلاب القشيرى ، الأبرق الحرى ، ميمون بن عائذ القشيرى ، قرة بن هبيرة، طفيل بن قرة ، محرز بن قرة ، حباب بن بكير القرى ، هودان ابن الوازع ، عوسجه بن نصر المريحى ، ابن جحفل اللبينى ، الورد بن على المريحى ، أبو الأعوج بن الصقيل ، سوار بن أوفى ، المنتجع اللبينى ، جفنة ابن قرة ، رحمة بن مفرج ، عبد الرحمن بن قشير ، عبيد القشيرى .

ومن شاعراتهم : زينب بنت الطثرية ، ضباعة بنت عامر ، الفارعة بنت معاوية القشيرية ، مكرمة بنت الكحيل ، بنت بحير بن عبد الله . وترتيب هؤلاء الشعراء والشاعرات حسب كثرة شعرهم . وإذا كنا قد تعرفنا على

هؤلاء الشعراء والشاعرات فهل لهؤلاء دواوين شعر ؟ وإذا كان لبعضهم دواوين شعر فهل وصلت إلينا ؟ لا لم يصل إلينا شيء من ذلك . لقد بحثنا ونقبنا عن دواوين هؤلاء الشعراء ولكن لم نجد شيئا . لقد ذكر الآمدى فى كتابه : المؤتلف والمختلف عندما أورد بعض الأبيات المجنون القشيرى أن لبنى قشير كتابا يجمع أشعارهم ، وهذه هى عبارة الآمدى (وله فى كتاب بنى قشير أشعار جياد[1]) والضمير فى « له » يعود على المجنون القشيرى . وذكر ابن النديم فى الفهرست أن هناك كتابا اسمه : (كتاب الصمة ابن عبد الله وريا) وكتاباً اسمه : (كتاب ابن الطثرية وحوشية)[2] كما ذكر أن يحيى بن على بن يحيى بن أبى منصور قد ألف كتابا اسمه الباهر اشتمل على مخضرمى الدولتين الأموية والعباسية.وقد ذكر ابن الطثرية فى هذا الكتاب[3] . وذكر ابن خلكان أن أبا الحسن على بن عبيد الله الطوسى قد جمع ديوان ابن الطثرية[4] ، كما ذكر أن أبا الفرج الأصبهانى قد جمع ديوان ابن الطثرية[5] أيضاً . ولكن هل وصل إلينا شيء من ذلك ؟ لا لم يصل إلينا شيء مما ذكر الآمدى وابن النديم وابن خلكان.قد يقول قائل إن هؤلاء لم ترو لهم دواوين مطلقا،وإنما هم من الشعراء الذين قالوا بعض الأبيات التى لا تكوّن ديوانا أو دواوين ، وقد يكون هذا صحيحا ولكننى أستبعد أن يهتم الرواة

---

(١) المؤتلف والمختلف ٢٩٠ .

(٢) الفهرست ٤٣٩ .

(١) الفهرست ٢١١ :

(٢) وفيات الأعيان ٦/٣٦٧ .

(٣) وفيات الأعيان ٦/٣٦٧ .

بأبيات أو قصائد لا تصدر عن شاعر مشهور معروف ؛ فالناس لا يتناقلون الشعر إلا إذا كان صادرا عن شاعر معروف، وإلا فكيف تصل إلينا بعض الأبيات لشاعر ما إلا وله غيرها الكثير الذى لم يرو ، ومن ثم لم يدون ، وبالتالى فقد ضاع كما ضاع الكثير من التراث العربى، وقد يكون موجودا ولكن لم نستطع العثور عليه .

٢ - رواية أبى الميمون كما نقلها الهجرى فى كتابه: (التعليقات والنوادر):

يعتبر كتاب التعليقات والنوادر لأبى على هارون بن زكريا الهجرى من المصادر الهامة التى نقلت إلينا كثيرا من أشعار بنى قشير، وهذا الكتاب توجد منه نسخة فى دار الكتب المصرية ونسخة أخرى فى مكتبة الجمعية الآسيوية فى كلكتا بالهند ، وقد اعتمد صاحب الكتاب على رواة من القبائل التى جمع أشعارها فى كتابه هذا ؛ لأن الراوى إذا كان من نفس القبيلة فإنه أقدر من غيره على حفظ أكبر قدر من شعر قبيلته ، ومن هؤلاء الرواة الذين اعتمد عليهم الهجرى فى نقل أشعار القبائل أبو الميمون يحيى بن عبادة بن جحاف ابن عمرو بن عبد الله بن هانى بن عمرو بن معاوية بن قشير بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة (١) ؛ فقد اعتمد عليه الهجرى فى إثبات كثير من أشعار قبيلته قشير ، صحيح أن الهجرى لم يقتصر على رواية أبى الميمون وحده حيث نقل أشعاراً لبنى قشير لم يروها أبو الميمون ، ولكن أبا الميمون نقل أشعارا كثيرة لقبيلته قشير ، ومما رواه أبو الميمون : أبيات مريزيق الغوانى التى مطلعها :

جزى الله سعدى من خليل ملامة كما راح راجى نيل سعدى مخيبا(٢)

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٢٩ .

(٢) التعليقات والنوادر ورقة ٢٩ .

وأيضا أبياته التى مطلعها :

وعاذلة فى حب سعدى تبرعت بلوم كما يبرى عن العظم عارقه[١]

وروى لخليفة بن عاصم قصيدته التى مطلعها :

ذكرت الذى لابد أنك ذاكره وفكرت ليلا بعدما نام سامره[٢]

وروى له أيضا أبياته التى مطلعها :

وزرنا سعيدا لم نزر بهدية سوى مخلصات مثلها الوقائع[٣]

وروى لحبيب بن يزيد أبياته التى مطلعها :

ولما رأيت الهاتفين ورفعت إلى الله بين الأخشبين السوالف[٤]

ومما رواه لمنقذ بن عليج أبياته التى مطلعها :

لاتطردا غنم العوجاء إن وردت وبالعذاب من الأحساء فاسقوها[٥]

وروى للمختار بن وهب قصيدته التى مطلعها :

يادار سلمى بالكثيب الأهيم بين الغرابات وبين الصرم[٦]

وروى لمعروف بن قدامة أبياته التى مطلعها :

إذا حلت منيمة بطن بول وأهلك بالرعان من السواد[٧]

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٣١ .

(٢) المصدر السابق ورقة ٢٩ .

(٣) المصدر السابق ورقة ٧٢ .

(٤) المصدر السابق ورقة ٣١ .

(٥) المصدر السابق ورقة ٣٢ .

(٦) المصدر السابق ورقة ٣٢ .

(٧) المصدر السابق ورقة ٣٤ .

وروى لميمون بن عامر أبياته التى مطلعها :

فياخير لاأنساك ما لاح بارق   وما نسمت ريح صبا وجنوب[١]

وروى له أيضا أبياته التى مطلعها :

فما شادن يلوى إلى عرفجاته   له مكنس فى فيهن كعين[٢]

كما روى له أيضا أبياته التى مطلعها :

جوازى لم يسمعن صوت محالة   بقيظ ولم تشعب لهن الجداول[٣]

وروى لعائذ بن نمى أبياته التى مطلعها :

سلوها فعرس المرء أدنى شهوده   إذا هبت النكباء بالقزع السحم[٤]

وروى لمزيد بن حارث أبياته التى مطلعها :

تطالت فى أعلى بوى عشيـــة   وقد فرطت من مقلتى غروب[٥]

وروى ليزيد بن الطثرية قوله :

فلما رأيت المالكيين كلهـم   إلىّ يراعى طرفه ويحاذره

تجنبت آتى المالكيين وانطوى   إلىّ جناحى الذى أنا ناشره[٦]

وروى لبعض بنى قشير أبياتا مطلعها :

إذا زرتها فاركب حمارا ولا تضع   إليها هداك الله وخد بعير[٧]

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٣٤ .

(٢) المصدر السابق ورقة ٣٧ .

(٣) المصدر السابق ورقة ٧٤ .

(٤) المصدر السابق ورقة ٣٥ .

(٥) المسدر السابق ورقة ٣٦ .

(٦) المصدر السابق ورقة ٤٠ .

(٧) المصدر السابق ورقة ٤٦ .

وروى للصمة بن عبد الله القشيرى قصيدته التى مطلعها :

خليلى إن قابلتما الهضب أو بدا لكم سند الودكاء أن تبكيا جهدا[١]

وروى له أيضا قصيدته التى مطلعها :

إلى الله أشكو نية يوم قرقرى مفرقة الأهواء شتى شعوبها[٢]

وروى للورد بن على المريحى قوله :

أما والذى يرجى ويخشى عقابه ترى له قطان المساجد صوما
لئن تك فاتت نحو بشر سواية لقد كان بشر بالسواية قدما[٣]

وروى لقعنب أحد بنى حبيب قوله :

تمنى عبيد الله قتلى وليته منى لعبيد الله مان لقائيا
فخاح بمعزى الوائلية واحتلب مكان تمنيك الرجال الدواهيا[٤]

وروى لأبى الأعوج بن الصقيل قوله :

أسألك بحقى والديك كليهما وجديك هل قبلت فاه المثلما
فإن كنت قد قبلت فاه فمضمضى ثناياك عشرا ثم صومى المحرما[٥]

وروى لابن الوهل المريحى قصيدته التى مطلعها :

يعجبنى لغاطة البرام فى كل يوم باكر الجهام[٦]

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٤٨ .

(٢) المصدر السابق ورقة ١١٢ .

(٣) المصدر السابق ورقة ٥٨ .

(٤) المصدر السابق ورقة ٥٩ .

(٥) المصدر السابق ورقة ٦٠ .

(٦) المصدر السابق ورقة ٦٥ .

وروى لعيسى بن عمير اللبينى أبياته التى مطلعها :

إنى نصحتك فاقبلن نصيحتى   من غير حبك والعزيز القادر[(١)]

وروى لحمد بن حكيم أبياته التى مطلعها :

يابا سلامة من للقوم إذ جهلوا   وخام عنهم جبان القوم أو شردا[(٢)]

وروى لبعض بنى قشير أبياتا مطلعها :

لو أن المحريات كلّمن أعظمى   وقدمت لارتدت إلى حياتى[(٣)]

وروى لبطال بن معاوية أبياته التى تشوق فيها إلى الريب عندما كان بمصر ومطلعها :

أيا أجزع الريب الذى لست ذاكرا   ظلالك إلا اعتاد عينى مائح[(٤)]

وروى للفارعة بنت معاوية بن قشير أبياتها التى مطلعها :

فما وجد الحيان عمرو ومالك   وعقدة بالجرعاء من متقدم[(٥)]

وروى لأبى جليحة بن أحمد قوله :

على السدر اللاتى جنوبى موثب   إذا هجر الفتيان رجع سلام[(٦)]

وروى للمريحى قصيدته التى مطلعها :

أقول لجون لونه شنج النسا   أطاف بمغنى دارها ثم وقعا[(٧)]

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٦٦ .

(٢) المصدر السابق ورقة ٦٧ .

(٣) المصدر السابق ورقة ٧٠ .

(٤) المصدر السابق ورقة ٧٢ .

(٥) المصدر السابق ورقة ٨٤ .

(٦) المصدر السابق ورقة ٨٤ .

(٧) المصدر السابق ورقة ١٣٠ .

وروى لمسلم بن عسكر اللبينى أبياته التى مطلعها :

فما مغزل أدماء جم جفونها تتبع موليا بعد يان جائع[١]

وروى لحسين بن جابر أبياته التى مطلعها :

ياصاحب النبل تبدو لى ترائبه نفسى بكفيك فانظر كيف توليها[٢]

٣ ـ ماروته كتب الأدب والتاريخ واللغة :

لم يصل إلينا شعر بنى قشير عن طريق ديوان يجمع هذا الشعر ولا عن طريق دواوين لشعراء القبيلة،وإنما وصل إلينا عن طريق كتب التراث عامة ، وكتب الأدب والتاريخ واللغة وخاصة كان لها النصيب الأوفر من رواية هذا الشعر ونقله إلينا ، وأهم هذه الكتب التى تجمع بين دفتيها أشعار بنى قشير : كتاب الأغانى ففيه العديد من القصائد والمقطوعات ليزيد بن الطثرية والصمة ابن عبد الله القشيرى ، وكذلك كتاب الأمالى لأبى على القالى ، ففيه أشعار لابن الطثرية وأخته زينب والأقرع بن معاذ القشيرى ، ومن هذه الكتب كتاب الحيوان، ففيه أشعار لابن الطثرية وكتاب الشعر والشعراء ففيه شعر لابن الطثرية ، وكذلك كتاب الحماسة شرح التبريزى وشرح المرزوقى ، ففيه العديد من القصائد والمقطوعات لابن الطثرية وزينب بنت الطثرية والصمة والأقرع ابن معاذ ، وفى معجم الشعراء أبيات للأقرع بن معاذ ، ولعياض بن كلثوم القشيرى ، وفى زهر الآداب قصيدة لابن الطثرية . وتضم خزانة الأدب العديد من شعر الصمة ، وفى طبقات فحول الشعراء أشعار لابن الطثرية ، وفى البيان والتبيين قصيدة زينب بنت الطثرية ، وفى حماسة البحترى شعر لعقبة بن كلاب

(١) التعليقات والنوادر ورقة ١٣٠ .

(٢) المصدر السابق ورقة ١٣٣ .

القشيرى وزينب بنت الطثرية ، وفى الفاضل شعر للصمة وابن الطثرية والأقرع ابن معاذ . وفى الوحشيات أشعار للأقرع بن معاذ ولبحير بن عبد الله والقعقاع ابن ربعية ونهيك القشيرى ، وفى حماسة ابن الشجرى شعر لكلثوم بن عياض ويزيد بن الطثرية، وفى ديوان المعانى شعر لابن الطثرية، وفى مجموعة المعانى أشعار للأقرع بن معاذ وبشر بن سليمان وابن الطثرية ، وفى تزيين الأسواق أشعار للصمة . وفى مجالس ثعلب شعر لابن الطثرية وحبيب القشيرى والأقرع بن معاذ، وفى اللآلئ أشعار للصمة ولزينب بنت الطثرية . وفى النصف الأول من كتاب الزهرة شعر لابن الطثرية والأقرع بن معاذ والصمة ولقمان بن توبة . وفى الكامل للمبرد أشعار لابن الطثرية . وفى أمالى اليزيدى وأمالى الزجاجى أشعار للصمة ولبعض بنى قشير . وفى المجتنى أشعار للمستنير بن طلبة والصمة والأقرع ابن معاذ . وفى لباب الآداب أشعار للأقرع بن معاذ والصمة . وفى مصارع العشاق شعر لابن الطثرية ، وفى البديع فى نقد الشعر أشعار لابن الطثرية والصمة ، وفى أمالى المرتضى أشعار لابن الطثرية . وفى محاضرة الأبرار أشعار كثيرة للصمة ، وفى حلبة الكميت أشعار لابن الطثرية ، وفى بهجة المجالس أشعار للصمة وابن الطثرية ، وفى عيون الأخبار أشعار لابن الطثرية ، وفى الأشباه والنظائر أشعار للصمة وابن الطثرية وزينب بنت الطثرية ، وفى أنوار الربيع أشعار لابن الطثرية ، وفى الحماسة البصرية أشعار لسوادة بن كلاب القشيرى والصمة وقائد بن منذر القشيرى وابن الطثرية. وفى المثل السائر أشعار للصمة وابن الطثرية . وفى محاضرات الأدباء أشعار لابن الطثرية ، وفى مضاهاة أمثال كتاب كليلة ودمنة أشعار لابن الطثرية ، وفى معاهد التنصيص أشعار للصمة ، وفى العقد الفريد أشعار لابن الطثرية . وفى النقائض أشعار كثيرة

لبنى قشير فيها ذكر لأيامهم فى الجاهلية ، وفى معجم الأدباء أشعار لابن الطثرية . وفى معجم البلدان ومعجم ما استعجم أشعار كثيرة فيها ذكر للأماكن التى يسكنها بنو قشير ؛ وفى تاريخ الطبرى أبيات لأبى الزهراء القشيرى ؛ وفى المؤتلف والمختلف أشعار للأخزر القشيرى وبحير بن عبد الله والمجنون القشيرى والصمة . وفى المدهش شعر للصمة ، وفى المنازل والديار أشعار للصمة ومالك بن معاوية ابن سلمة وابن الطثرية،وفى وفيات الأعيان أشعار لابن الطثرية،وفى الخصائص شعر لابن الطثرية،وفى الاشتقاق شعر لبحير بن عبدالله القشيرى،وفى كنز الحفاظ شعر لابن الطثرية ، وفى لسان العرب أشعار للصمة وابن الطثرية ، وفى معجم مقاييس اللغة شعر لابن الطثرية ، وفى كتاب النوادر فى اللغة شعر ليزيد القشيرى وجفنة بن قرة القشيرى ، وفى تاج العروس أشعار للصمة وابن الطثرية وزياد ابن الأشهب. هذه الكتب وغيرها من كتب التراث نقلت إلينا شعر بنى قشير على شكل قصائد ومقطوعات وأبيات مفردة،ونحن لا نقصد بذلك سرداً لمصادر هذا الشعر ، وإنما نريد أن نعرض نماذج من كتب الأدب والتاريخ واللغة ، أما الوقوف على جميع الكتب التى توجد فيها أشعار لبنى قشير فسيكون لذلك موضعه فى ديوان بنى قشير ثم فى قائمة المصادر التى ستكون فى آخر الكتاب .

هذه هى مصادر شعر بنى قشير التى عن طريقها وصل إلينا هذا الشعر .

* * *

الفصل الثانى

شعر بنى قشير فى الجاهلية

شعراء بنى قشير فى الجاهلية كثيرون، ولكن لم يصل إلينا من شعرهم إلا القليل،فقد ضاع هذا الشعر،والعرب كما نعرف يعتمدون على الحفظ ولا يعتمدون على الكتابة فهم قوم أميون ، وإذا قارنا الشعر الجاهلى بالشعر الإسلامى لقبيلة قشير فإن الشعر الجاهلى لا يمثل إلا ثلث الشعر الإسلامى ، فشعر بنى قشير عامة يقرب من ثلاثمائة وألف بيت منها أكثر من تسعمائة بيت قيلت فى عصر صدر الإسلام والعصر الأموى . وأما ما قيل فى الجاهلية فيزيد على ثلاثمائة بيت ، وهذا الشعر القليل الذى وصل إلينا مما قاله شعراء بنى قشير فى الجاهلية لايمثل شعر هؤلاء الشعراء ، فهو عبارة عن قصائد ومقطوعات قليلة[1]،ولكن هذا هو الذى استطعنا الاطلاع عليه ، ومن شعراء بنى قشير فى الجاهلية : بحير ابن عبد الله القشيرى، خليفة بن عاصم بن قشير، مسلم بن عسكر اللبينى، ابن الوهل المريحى ، بشير بن على العبيدى ، المجنون القشيرى ، موسى بن عيسى اللبينى ، بهيج بن سرور بن عطى العبيدى ، عيسى بن عمير اللبينى ، الأعنق بن الباهلية، عائذ بن نمى ، القرطى من بنى مالك قشير ، جعفر بن الربيع ، اللبينى المنيخس ، منقذ بن عطاء ، ذو الرحل لقمان بن توبة القشيرى ، المستنير بن طلبة بن قشير ،

---

(١) اصطلح علماء النقد والأدب على أن المقطوعة عدة أبيات لاتصل إلى العشرة فإذا زادت على العشرة كانت قصيدة .

منقذ بن عليج اللبيني ، ابن العفى اللبينى، مصقع بن حسين المريحى ، القعقاع ابن ربعية القشيرى ، رزام بن قشير ، معروف بن قدامة القشيرى ، مالك بن معاوية ابن سلمة ، سام بن رماح ، أوس بن بحير ، أبو جليحة بن أحمد بن عمارة ، معاوية بن قشير ، زياد بن الأشهب القشيرى ، رياح بن الأعلم ، عقبة بن كلاب القشيرى ، الأبرق الحرى ، ميمون بن عائذ القشيرى ، قرة بن هبيرة ، حباب ابن بكير القرى ، هودان بن الوازع ، عوسجة بن نصر المريحى ، المنتجع اللبينى، عبيد القشيرى ، ضباعة بنت عامر ، الفارعة بنت معاوية القشيرية، بنت بحير ابن عبد الله ، وشعر هؤلاء الشعراء ليس بعيداً عن شعر شعراء بنى قشير فى عصر صدر الإسلام وفى العصر الأموى ، وهؤلاء كما قدمنا لم يصل إلينا من شعرهم إلا القليل ، ولذلك فإن من هؤلاء الشعراء من لا نجزم جزما تاما بنسبته إلى الجاهلية ، إذ أن المصادر تشح علينا بأقل المعلومات عن عدد من هؤلاء الشعراء ، وإذا قرأنا أشعارهم وجدنا أن روح الجاهلية واضحة فيها، ومن ثم نسبنا الشاعر إلى الجاهلية ، أما بقية الشعراء فإن المصادر تثبت جاهليتهم . وشعر بنى قشير فى الجاهلية والإسلام متقارب فى أسلوبه، فبناء البيت ونظام القصيدة يسير على طريقة واحدة فى العصرين، وأما المعانى فتختلف فلكل عصر طابعه العام ، وطابع الشعر الجاهلى التعبير عن الحرب ، ومن الطبيعى أن ينهج الشعر الجاهلى هذا النهج فحياة العرب فى الجاهلية إنما هى حروب متواصلة، وبنو قشير جزء من المجتمع العربى . وقد مر معنا ذكر أيام بنى قشير مفصلة فوقفنا على حياتهم فى الجاهلية . والشعر إنما هو تعبير عن الحياة التى تحياها القبيلة ، أو المجتمع . وإذا أردنا أن نقف على نماذج من هذا الشعر ليرسم لنا الصورة العامة، فإننا سنجد فيه ما يعبر عن الغارة والوعيد واستنهاض الهمم والدفاع عن القبيلة ، وطلب الثأر. فمن شعر الغارات قول خليفة بن عاصم :

وزرنا سعيدا لم نزر بهدية ... سوى مخلصات مثلتها الوقائع
تركنا سعيداً لا يرى ضوء بارق ... ويا بعد من لا تزدهيه اللوامع
بمعترك والطير يعكفن حوله ... عوائده دعم السباع الجوائع
فلم تنجه منا نمير بن عامر ... ولا شرب يذهبن والنقع ساطع[١]

وقال الأعنق بن الباهلية الحبيبي :

إذا أنت لم تخشف مع القوم خشفة ... من الجهل لم يأمن أخ أنت صاحبه
ورامتك ذلان الرجال ولم تهب ... لشيء إذا ما هيب لليث جانبه
أنا الأعنق بن الباهلية أن يدى ... كائل عضب لم تفلل مضاربه
تعيشته الديان فى عام لزبه ... تجنخب فيها بدنه وحقائبه[٢]

ومما قاله بعض لصوص قشير فى الغارة :

خليلى سيرا سيرة وتعلما ... تناهى نجران وأعلامه الغبرا
ولا تأويا للعيس أن تدلجا بهـــا ... وتستشليا يا صاحبى فتى غرا
ولا تيأسا أن يجمع الله هجمة ... مبرثنة الأجنى ونهدية سمرا[٣]

ومن شعر الوعيد قول نهيك بن محذفة :

ألمى موالى الحور وشربها ... وعقيلة الوادى ونهى الأخرم
وأخوهم فى القوم يقسم بزه ... بشيابه ردع كلون العندم
ضربت على الخثعمية نحرها ... إن لم أصبحكم بأمر مـــبرم
تعدو به فرسى وترقص ناقتى ... حتى يشيع حديثكم فى الموسم[٤]

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٧٢ .
(٢) التعليقات والنوادر ورقة ٧٤ .
(٣) المصدر السابق ورقة ٥٧ .
(٤) الوحشيات ١٠٤ .

ومما قاله خليفة بن عاصم فى استنهاض همم قومه :

ألا ياذوى الألباب من آل مالك رسالة ذى قربى مبين معاذره
رسالة لا مستكبر عن عتابكم وإن كان ذا كبرى على من يكابره
فلا تجعلوا أعراضنا البيض سبة يغنى بها ورّاد ماء وصادره(١)

ومما قالته الفارعة بنت معاوية فى الدفاع عن قومها فى يوم النسار :

منا فوارس قاتلوا عن سبيهم يوم النسار وليس منا أشطر
ولبئس ما نصر العشيرة ذو لحى وحفيف نافجة بليل مسهر
ضبعا هراش تعفران استيهما فرأتهما أخرى فقامت تعفر
زعمت بزوخ بنى كلاب أنهم منعوا النساء وأن كعبا أدبروا
كذبت بزوخ بنى كلاب إنها تمشى الضراء وبولها يتفطر(٢)

ومما قالته بنت بجير بن عبد الله فى الحث على الأخذ بثأر أبيها :

فما كعب بكعب إن أقامت ولم تثأر بفارسها القتيل
وذحلهم يناديهم مقيما لدى الكدام طلاب الدخول(٣)

وقال أوس بن بجير :

لعمرك ما أصاب بنو رياح بما احتملوا وغيرهم السقيم
بقتلهم امرأ قد أنزلته بنو عمرو وأوهطه الكلوم
فإن كانت رياحا فاقتلوها وآل نخيلة الثأر المنيم(٤)

هذه الأبيات تعرض علينا طابع الشعر الجاهلى لبنى قشير وأنه شعر حرب .

* * *

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٢٩ .
(٢) النقائض ١/٢٤٢ .
(٣) معجم ماستعجم ١١١٨/٤ .
(٤) النقائض ١/٧٣ .

الفصل الثالث

شعر بنى قشير فى الإسلام

إذا قارنا شعر بنى قشير فى الإسلام بشعرهم فى العصر الجاهلى فإننا سنجد الشعر الإسلامى يعادل ثلاثة أمثال الشعر الجاهلى ، وبالرغم من وفرة هذا الشعر فإننا لا نعتقد أن ما وصلنا هو كل ما قال شعراء بنى قشير فى عصر صدر الإسلام والعصر الأمـــوى ، فالرواة بعد ظهور الإسلام انصب اهتمامهم على حواضر العالم الإسلامى مثل الشام والعراق ومصر ، أما داخل الجزيرة العربية فإن الوصول إليه يحتاج إلى جهد ومشقة ، ومن هنا نرى أن الشعر الذى وصلنا ماهو إلا قليل من كثير . صحيح أن من بنى قشير شعراء عرفوا فى الشام مثل الصمة القشيرى وأبى الزهراء القشيرى الذى يقول فى الخمـــر بعد أن أمر عمر ابن الخطاب رضى الله عنه واليه على الشام أبا عبيدة أن يضرب من تأول فى الخمر فأحل شربها ، يقول أبو الزهراء :

ألم تر أن الدهر يعثر بالفتى ... وليس على صرف المنون بقادر

صبرت ولم أجزع وقد مات إخوتى ... ولست عن الصهباء يوما بقادر

رماها أمير المؤمنين بحتفها ... فخلانها يبكون حول المعاصر[1]

ومنهم من عرف فى مصر مثل بطال بن معاوية الذى يقول :

أيا أجزع الريب الذى لست ذاكرا ... ظلالك إلا اعتاد عينى مائح

فإنى وإن لم أعن شيئا لقائل ... سقتك ملثات الغمام الروائح

---

(١) تاريخ الطبرى ٤ /٩٧ .

منازل كانت فى الزمان الذى قضى	نحل بها والدهر إذ ذاك صالح[1]

وإذا كان هؤلاء قد عرفوا فى الشام أو فى مصر فإن الكثرة الكاثرة من شعراء بنى قشير لم يبرحوا بلادهم ، وبالرغم من ذلك فقد وصل إلينا شعرهم .

ومن شعراء بنى قشير فى عصر صدر الإسلام والعصر الأموى : يزيد بن الطثرية، المختار بن وهب، ميمون بن عامر ، الأقرع بن معاذ القشيرى ، حبيب بن يزيد ، مزيد بن حارث، الحسين بن جابر المريحى ، مريزيق الغوانى، مصعب بن الطفيل ، قدامة بن الأحرز القشيرى ، الأخزر بن زيد القشيرى، كلثوم بن عياض ، سوادة ابن كلاب القشيرى ، بشر بن سليمان بن قشير ، محمد بن حكيم ، قائد بن منذر القشيرى ، طفيل بن قرة ، محرز بن قـــرة ، ابن جحفل اللبينى ، الورد بن على المريحى ، أبو الأعوج بن الصقيل ، سوار بن أوفى ، جفنة بن قرة، رحمة بن مفرج.

ومن النساء : زينب بنت الطثرية ، ومكرمة بنت الكحيل ، وهؤلاء الشعراء الذين عاشوا فى عصر صدر الإسلام أو فى عصر بنى أمية قد تأثر شعرهم بالإسلام فظهرت تلك التأثيرات واضحة فى المعانى التى يأتى بها الشعراء أو فى أسلوب الشاعر ، ومن تلك الأشعار التى تبرز فيها المعانى الإسلامية قول ميمون ابن عامر :

فياخير لا أنساك ما لاح بارق	وما نسمت ريح صَباً وجنوب
وما حج بيت الله فتيان شقة	بهم شعث مما لقوا وشحوب
وما هدهدت ورقاء فى ساق سدرة	لما فنن غض النبات رطيب[2]

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٧٢ .

(٢) التعليقات والنوادر ورقة ٣٤ .

وقول محرز بن قرة :

يارب إن أزمعت خيلاء مظلمتي وأنكرت بعد تزويج وإقرار
فسق لها واليا يشقى معيشتها ثم اجعلن مؤداها إلى النار[١]

وقول حبيب بن يزيد :

ولما رأيت الهاتفين ورفعت إلى الله بين الأخشبين السوالف
دعوت بأن ياذا المعارج والعلا أرى كل ذى بث بك اليوم هاتف
أثبنى بإحسان جمـــال فإننى لك اليوم عان فى العبادة كالف[٢]

وقول ابن جحفل اللبينى :

ألا ليت أن الله أنزل سورة على الناس ألا يمنعوا عزبا فضلا
وألا يغيب الدهر بعل مليحة
من الناس إلا استبدلت بعده بعلا[٣]

ومما يبرز فيه التأثير فى المعنى والأسلوب معاً قول الأقرع بن معاذ القشيرى :

أقول لمفت ذات يوم لقيته بمــكة والأنضاء ملقى رحالها
بحقك أخبرنى أما تأثم التى أضر بجسمى مذ مر خيالها
فقال بلى والله أو سيصيبها من الله بلوى فى الزمان تنالها
فقلت ولم أملك سوابق عبرة سريع على جيب القميص انهمالها
عفا الله عنها كل ذنب ولقيت مناها وإن كانت قليلا نوالها[٤]

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٤٧ .
(٢) المصدر السابق ورقة ٣١ .
(٣) المصدر السابق ورقة ٤٧ .
(٤) المستطرف ١٨٢/٢ .

وقوله :

يا حاجة ما التى قامت تودعنى وقد ترقرق ماء العين أو دمعا

تقول إذ أيقنت منى بمعصية لقد عرضت عليك النصح لو نفعا[١]

وقول بشر بن سليمان بن قشير :

ولم أر مثل الخير يتركه امرؤ ولا الشر يأتيه امرؤ وهو طائع

ولا كاتقاء الله خـــير بقية وأحسن صوتا حين يسمع سامع

ولا كالمنى لا ترجع الدهر طائلا لو ان الفتى عنهن بالحق قانع

ولا كذهاب المرء فى شأن غيره ليشغله عن شأنه وهو ضائع[٢]

هذه نماذج من شعر بنى قشير فى الإسلام تعطينا صورة واضحة للتحول الذى طرأ على هذا الشعر فى معانيه وفى أسلوبه ، على أن هناك الـكثير من الشعر الإسلامى لشعراء بنى قشير لا تظهر فيه التأثيرات الإسلامية، ونحن نعرف فى الشعر العربى عامة أن الشعر الأموى قريب من الشعر الجاهلى فى أسلوبه . وإذا بحثنا عن الطابع العام لشعر بنى قشير فى الإسلام فإننا نجد الغزل يمثل معظم شعر بنى قشير فى الإسلام،فكما أن طابع شعر هذه القبيلة فى العصر الجاهلى إثارة الحروب والأخذ بالثأر كما مر ، فإن طابع شعر القبيلة فى الإسلام الغزل ، فإذا تتبعنا أشعار شعراء بنى قشير فى الإسلام فإننا نجد الغزل هو الأكثر فى شعر كل شاعر ، فمثلا يزيد بن الطثرية معظم شعره غزل ، والصمة بن عبد الله القشيرى معظم شعره غزل ، وكذلك بقية الشعراء الذين مر ذكرهم معنا قريبا ، والغريب فى الأمر أن الغزل فى بنى قشير غير مباح كما مر ومع ذلك نجد الشعراء

(١) مجالس ثعلب ١/٢٥٤ .

(٢) مجموعة المعانى ٣ .

يطرقون هذا الباب ويلحون فى الطرق فما تعليل ذلك إذاً ؟ الجواب على ذلك هو أن الشىء الممنوع يرغب فيه الإنسان أكثر من الشىء المباح؛ فالشاعر عندما لا يستطيع أن يصل إلى ما يريد فإنه يلجأ إلى الأمانى ، ومما يؤيد ذلك قول مريزيق الغوانى :

وعاذلة فى حب سعدى تبرعت ... بلوم كما يبرى عن العظم عارقه

فما نطفة مما قرى المزن فى صفا ... منيع الذرا تردى الوعول حوالقه

مرتها الجنوب واستظلت ووفقت ... لحران قــد أعيت عليه متاوقه

بأطيب من أنياب سعدى اختلاسة ... وقد غبق الغيران بالنوم غابقه

هل الله ممتن على فذائقه[1] ... وماذاك إلا الظن لا علم لى به

وهناك تعليل آخر لكثرة الغزل وطغيانه على شعر بنى قشير فى الإسلام وهو أن الإنسان بطبيعته ميال إلى الجمال؛ فرواية شعر الغزل محببة إلى كل إنسان ومن هنا تناقل الناس أشعار الغزل أكثر من غيرها، فوصلت إلينا هذه الأشعار بسبب اهتمام الناس بها وضاعت الأشعار الأخرى فلم يصل الينا منها إلا القليل .

* * *

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٣١ .



الفصل الرابع

أغراض شعر بنى قشير

---

١ ـ الغزل :

عندما تحدثنا عن شعر بنى قشير فى الإسلام قلنا إن الغزل يمثل معظم هذا الشعر ، وهذا شىء صحيح ، فمعظم شعر بنى قشير فى الإسلام شعر غزلى، ويكفى أن نستعرض شعر يزيد بن الطثرية أو الصمة بن عبد الله القشيرى لنقف على كثرة القصائد الغزلية فى هذا الشعر ، وعندما تحدثنا عن الشعر الجاهلى قلنا إن شعر الحرب هو الطابع العام لهذا الشعر ، ولكن ليس معنى ذلك أنه ليس لبنى قشير فى الجاهلية إلا شعر حرب أو ليس لهم فى الإسلام إلا شعر الغزل ، لقد قال شعراء بنى قشير الشعر فى أغراض متعددة، سواء كان ذلك فى الجاهلية أو فى الإسلام ، فغزل بنى قشير فى الجاهلية قليل إذا قيس بغيره من الأغراض الأخرى التى قال فيها شعراء بنى قشير شعرهم، ولكن على أى حال ومهما كان غزل بنى قشير قليلا فى الجاهلية، فهناك العديد من الشعراء الذين قالوا الشعر فى هذا الفن، ومن هؤلاء الشعراء : ميمون بن عائذ القشيرى الذى يقول فى محبوبته أسماء :

لقد نضخت أسماء فى الوجه نضخة ... بآس كفاها الله كل معيب

فلما زجرت الطير أيقنت أنه ... هو اليأس من أسماء وهى قريب[1]

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٧٨ .

ومنهم معروف بن قدامة الذى يقول فى محبوبته منيعة الجعدية :

إذا حلت منيعة بطن بول وأهلك بالرعان من السواد
وحاربت الجعادب غير شك وسمر حاربت وبنو مصاد
فأهد مع الرياح لهـا سلاما وعز النفس عن تلك البلاد(١)

ومنهم مالك بن معاوية بن سلمة القشيرى الذى يقول فى محبوبته سلمى :

تذكرت من سلمى وذو الشوق ذاكر
وحاجة من لم تقض داء مخامر
تذكر ذى شوق وهاج صبابة خيال سليمى والرسوم الدواثر
بجو كأن لم تحتلله ولم يكن لأهلك مبدى حوله ومحاضر(٢)

ومنهم حباب بن بكير القرى الذى يقول :

صدع الظعائن قلبك المشغوفا بلوى عريقة إذ أردن خفوفا
ولقد أقمن فما قضيت لبانة بلوى عريقة مربعا ومصيفا(٣)

ومنهم بشير بن عطى العبيدى الذى يقول فى محبوبته أم واهب :

لقد لامنى الواشون فى أم واهب وألوم من نفسى أرى من يلومها
أهش لقرب الدار من أم واهب وإن قربت لم يقض شيئا غريمها
ألا إن قرب الدار أجدر أن ترى خليلك يوما نظرة يستديمها(٤)

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٣٤ .

(٢) المنازل والديار ١٨٤ .

(٣) التعليقات والنوادر ورقة ٦٧ .

(٤) المصدر السابق ورقة ٢٦ .

ومنهم المنتجع اللبينى الذى يقول فى محبوبته جُمْل :

هيا حزنا إن جمل شطت بها النوى ... ولم ألق جملا بل هما حزنان
هما حزنان اليوم لاشك فيهما ... ولوكان حزنا واحداً لـكفانى[1]

هذه نماذج من شعر الغزل عند بنى قشير فى الجاهلية ، وإذا قارنا هذه النماذج بغيرها من شعر الغزل عند بنى قشيرفى الجاهلية بشعرهم الغزلى فىالإسلام فإننا لا نجد إلا فروقا يسيرة بين شعرهم الغزلى فى الجاهلية وشعرهم الغزلى فى الإسلام ، وشعر بنى قشير الغزلى عامة جزءمن شعر الغزل عند العرب؛فهم تارة يبدأون به قصائدهم كما هى عادة العرب ، ولـكن إذا كانت المقدمات الغزلية كثيرة فى الشعر العربى ، فإنها قليلة عند بنى قشير ، والمقدمة الغزلية فى شعر بنى قشير تأخذ أشكالا متنوعة فهى تطول أحيانا حتى تطغى على القصيدة كما فى قول ابن الطثرية :

أمس الشباب مودعا محمودا ... والشيب مؤتنف المحل جديدا
وتغـير البيض الـكواعب بعدما ... حملتهن مواثقا وعهودا
يرعين عهدك فى ارضا ويصنه ... فإذا غضبن حسبتهن حديداً
قد كنت أحسبنى مطيعا صرمها ... جلدا فـكلفنى البعاد صمودا
ورجعت بعـــد بمادة باعدتها ... لا آخـذنْ نصفا ولا محـــودا
رب المعارج إن قضيت فراقها ... فاجعل يزيد على الفراق جليدا
عهدى بها زمن الجميع برامة ... شنباء طيبة الاثام برودا
يشفى الضجيع من الصداع نسيمها ... وهناً إذا لحف الوساد خدودا
ومدله عند التبذل يفترى ... منها الوشاح مخصرا أملودا
نازعتها غنم الصبا إن الصبا ... قد كان منى للـكواعب عيدا

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٧٩ .

يا للرجال وإنما يشكو الفتى ... مر الحوادث أو يكون جليدا
بكرت نوار تجذ باقية القوى ... يوم الفراق وتخلف الموعودا
ولرب أمر هوى يكون ندامة ... وسبيل مكرهة يكون رشيدا

ثم قال يفخر :

لا أتقى حسك الضغائن بالرقى ... فعل الذليل وإن بقيت وحيدا
لكن أجرد للضغائن مثلها ... حتى تموت وللحقود حقودا

ومنها :

ياعقب قد شذب اللحاء عن العصا ... عنى وكنت مؤزرا محمودا
صل لى جناحى واتخذنى عدة ... ترمى بى المتعاشى الصنديدا[1]

ففى هذه القصيدة طالت المقدمة الغزلية حتى ظننا أن الشاعر أنشأ قصيدته من أجل الغزل فقط، ولكن بعد أبيات الغزل هذه بدأ الشاعر يلتفت إلى غرضه فعرفنا أن أبيات الغزل إنما هى وسيلة وليست غاية . وإذا كانت المقدمة الغزلية تطول إلى هذا الحد ، فإنها تقصر أحيانا حتى تقتصر على بيت واحد كما فى قول ابن الطثرية :

قضى غرمائى حب أسماء بعدما ... تخونني ظلم لهم وفجور
فلو قل دين البربرى قضيته ... ولكن دين البربرى كثير
وكنت إذا حلت على ديونهم ... أضم جناحى منهم فأطير
على لهم فى كل شهر أدية ... ثمانون واف نقدها وجزور
نجىء إلى ثور فنيم رحيلنا ... وثور علينا فى الحياة صبور

(١) الأغانى ٨ / ١٥٤ ، ١٦٩ ، وحماسة ابن الشجرى ١٥٩ ، وأمالى اليزيدى ١٤٦ .

أشد على ثور وثور إذا رأى ... بنا خلة جزل العطاء غفور
فذلك دأبى ما بقيت ومامشى ... لنور على ظهر البلاد بعير[1]

وأحيانا تكون المقدمة الغزلية مناسبة؛ أى لاهى بالطويلة ولا هى بالقصيرة كما فى قول الأقرع بن معاذ القشيرى :

ياحاجة ماالتى قامت تودعنى ... وقد ترقرق ماء العين أو دمعا
تقول إذ أيقنت منى بمعصية ... لقد عرضت عليك النصح لو نفعا
ألم ترى أن دهرا قد تغيرلى ... فلم ترى فرحا منى ولا جزعا
فإن هلكت وريب الدهر متلفة ... فلم أكن عاجزا نكسا ولا ورعا
وإن بقيت فجلد ذو مواطحة ... أسقى العدو نقيع السم والسلعا
ماسد مطلع ضاقت ثنيته ... إلا وجدت وراء الضيق مطلعا
ولا رميت على خصم بتارعة ... إلا منيت بخصم فر لى جزعا
كم من عدو أخى ضغن يجاملنى ... يخفى عداوته ألا يرى طمعا
حملت منه على عوراء طائشة ... لم أسه عنها ولم أكثر لها فزعا
فكم تورعت عن مولى تعرض لى ... رفهت عنه ولو أتبعته ظلما
إذ لا أزال علىَّ أرجاء مهلكة ... يستخبر الملأ الأعلى ما صنعا[2]

هذه هى المقدمة الغزلية فى شعر بنى قشير، تطول أحيانا حتى تشكل معظم أبيات القصيدة كما فى القصيدة الأولى لابن الطثرية، وتارة نجدها قصيرة جدا كما فى القصيدة الثانية لابن الطثرية، وأحيانا تكون معتدلة كما فى القصيدة الأخيرة للأقرع بن معاذ القشيرى .

وإذا نظرنا فى قصيدة ابن الطثرية الأولى أو فى قصيدة الأقرع بن معاذ أو

(١) الأغانى ٨/١٦٨ .
(٢) مجالس ثعلب ١/٢٥٤.

فى غيرها من القصائد الغزلية لشعراء بنى قشير، فإننا سنجد أن الفراق أو الخوف من الفرقة له دور كبير فى شعر بنى قشير الغزلى ، فيزيد بن الطثرية يقول فى قصيدته السابقة التى مرت معنا :

رب المعارج إن قضيت فراقها ... فاجعل يزيد على الفراق جليدا
عهدى بها زمن الجميع برامة ... شنباء طيبة اللثام برودا

ويقول الأفرع بن معاذ القشيرى فى قصيدته التى مرت قريبا :

ياحاجة ما التى قامت تودعنى ... وقد ترقرق ماء العين أو دمعا

وإذا عرفنا أن حياة البادية ارتحال ونزول وتنقل بين الأماكن فى تلك الصحارى الواسعة ، وبنو قشير منهم قسم كبير يعيشون حياة البداوة ، فيقضون فصل الربيع فى الدارات المعشبة والأودية الخصبة ، ويقضون فصل الصيف حول القرى والمزارع ، فهم لايستقرون فى مكان ، وبما أن هذه طبيعة حياتهم فإن مواقف الفراق ستكون كثيرة ، فهذا رجل من بنى قشير وقف على منازل محبوبته ولكن لم يتح له الوصول إلى هذه المحبوبة والتحدث إليها ، فاكتفى بالنظرة والتعبير عما يحس بزفرات أخرجها من جوفه يقول :

ولما تبينت المنازل باللـــوى ... ولم يقض لى تسليمة المتزود
زفرت إليها زفرة لو حشوتها ... سرابيل أبدان الحديد المسرد
لفضت حواشيها وظلت بحرها ... تلين كما لانت لداود فى اليد[1]

وهذا ابن الطثرية يقف على منازل محبوبته التى فارقته وعهده بها فى تلك المنازل فيقول :

ألا حييا الأطلال والمتطنبا ... ومربط أفلاء وخيما منصبا

---

(١) مجموعة المعانى ٢١٠ .

وأشعث مهدوم السراة كأنه هلال توفى عدة الشهر أحدبا
ألا لا أرى عصر المنيفة راجعا ولا كلياليها بتعشار مطلبا
ولا الحب إلا قاتلى حين أخلقت قواها وأضحى الحبل منها تقضبا
ويوم فراض الوشم أذريت عبرة
كما ضيع السلك الجمان المثقبا[1]

وهذا حسين بن جابر المريحى ينعم بقرب محبوبته، ولكن هل يستقر أهلها فى مكان لا ! لن يكون ذلك ، لقد وقف عليهم أحد الرعاة وأخبرهم بروضة وافرة المرعى، فلم يلبث القوم فى مكانهم إلا أياما قليلة ثم رحلوا إلى ذلك المكان تاركين المريحى يسكب الدموع على ذلك الفراق المؤلم ، يقول حسين بن جابر المريحى :

أقول لجون لونه شنج النسا أطاف بمغنى دارها ثم وقعا
كأنه أثر الظاعنين مقيد بقيدين يردى فيهما حين رجعا
أراعك أن الدار ودع أهلها لعمرى لذاك البين لى كان أروعا
أتاهم رويع لارعى المال بعدها فقال إلا لم تلحق اليوم مرتعا
فبات شواب القوم كالقرع بالعصا ولا يلبث القرع بالعصا أن تصدعا
وقد راعنى والله أكبر روعة أذين عمود الحى لما تضعضعا
إذا جيرة من جانب الصرم قوضت
لبين وأخرى قد أبت أن ترفعا
وودع بعض الحى بعضا وليتنى على ذاك ممن كان حيا وودعا
وبرح بى ألا أشير عليهم وألا أرى فى نية الحى مطمعا[2]

(١) مجالس ثعلب ٢/٥٤٢ .
(٢) التعليقات والنوادر ورقة ١٣٠ .

ولشاعرنا هذا موقف آخر يصور فيه فراق الأحبة حيث يقول :

أما راعك البين الذى قال غدوة ... أجد وحثت بالنعوس حمائله

ألا فهفا قلبى من الوجد هفوة ... وجادت عروق الكبد منى تزايله

وما كنت أخشى البين حتى رأيته ... تطلع من بين الخيام رجائله

وردوا إلى حمل النعوس مديثا ... أحم القوى لم يعد أن شق بازله

ومازلن بالباجور يضربن دفه ... وحاذيه حتى ثار والذعر شامله

تربع بالملحاء أول صيفه ... إلى جزع خوعى حين جيدت خمائله

فلما تعالته النعوس ونى بها ... ورد وكثرت فى المناخ زلازله[1]

وهذا حباب بن بكير القرى يقيم مع أحبابه ولكن لايجد سبيلا إلى الوصال ، فإذا نزح أولئك الأحباب ندم على مافات ، يقول هذا الشاعر :

صدع الظعائن قلبك المشغوفا ... بلوى عريقة إذ أردن خفوفا

ولقد أقمن فما قضيت لبانة ... بلوى عريقة مربعا ومصيفا[2]

وإذا كانت مواقف الفراق لها الدور الكبير والفعال فى وجود هذا الغزل الرقيق ، فإن هناك أسبابا أخرى تدفع الشاعر القشيرى إلى نظم القصائد الغزلية ، من هذه الأسباب الإلف الذى ينشأ بين الزوج وزوجته ، وقد لا نألف هذا الشىء لأن الإنسان عادة يهيم فى الشىء إذا منع منه . أما أن يهيم فى الشىء الموجود بين يديه فهذا شىء غريب ولكن على الرغم من غرابته فهو موجود عند شاعرنا حسين بن جابر ، حيث يقول فى زوجته التى رمت بسهام تلعب معه يقول :

ياصاحب النبل تبدولى ترائبه ... نفسى بكفيك فانظر كيف توليها

عيناك قبل احتمال الحى لم تدعا ... شيئا لختام ياذا القوس ترميها

(١) التعليقات والنوادر .

(٢) المصدر السابق ورقة ٦٧ .

أشركت بالله ياذا النبل ما اهتبشت
نفسى من الناس شيئا عنك يسليها(١)

ومن الأسباب التى تدفع الشاعر إلى قول الغزل الاختلاط بين الفتيان والفتيات ؛ فحياة البادية تتيح للفتى أن يرى الفتاة ويتحدث إليها، يكون ذلك فى المراعى وعلى موارد المياه ، فالفتى البدوى ليس بعيدا عن الفتاة ، فهو ماهر فى الحديث معها بل إنه أمهر من الفتى الحضرى الذى لا يرى الفتاة إلا رؤية قليلة . ونتيجة لهذا الاختلاط فإن علاقات الحب تنشأ بين الفتى والفتاة ، وهذا الحب إما أن يكون وسيلة للرغبة فى الزواج ، فإذا اعترض ذلك الزواج عارض ما فإن هذا الحب سيتحول إلى حب عنيف لأن ذلك الفتى منع من فتاة أحلامه، وفى هذه الحالة سيبقى ذلك الحب دافعا للشاعر على قول القصائد الغزلية التى يترنم فيها بجمال محبوبته ، والدافع فى هذه الحالة على قول الشعر الغزلى يبقى مع الشاعر طول حياته كما حصل للصمة بن عبد الله القشيرى الذى منع من الزواج بابنة عمه ريا بسبب تعنت أبيه وعمه ، فبقى ذلك الشاعر طول حياته يقول القصيدة تلو القصيدة فى هذه المحبوبة التى منع منها ، إذ أن هذا الدافع هو أقوى الدوافع لأنه يبقى مع الشاعر حتى يفارق الحياة ، وقد يكون الدافع الإعجاب بالقدود المستقيمة والعيون السود والشعر المرسل والنهود الكاعبة والخصور الرقيقة والابتسامة البراقة والإشارة الخاطفة والحديث الحلو والجلسة الممتعة، هذه الأشياء أو بعضها تبعث فى نفس الشاب لواعج الشوق فيميل إلى التعبير عنها، فإذا كان شاعراً فما أجمل أن يعبر بالشعر، وما أحسن أن تسمع المحبوبة ذلك الشعر الرقيق الذى يفتح القلوب المقفلة ويمهد السبيل للقاء بتلك المحبوبة ، ولكن مثل هذا

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ١٣٣ .

الشاعر الذى يعجب بما ذكرنا سوف لايكون حبه حبا قويا ، وإنما هو حب لساعته تلك،فإذا انقضت تلك الساعة فإن الباعث لقول الشعر الغزلى سيتغير بتغير المواقف التى تعترض حياة ذلك الشاب ، ومثل هؤلاء الشباب الذين لا يقتنعون بمحبوبة واحدة ولابموقف واحد من مواقف الحب كثيرون،فهم يجعلون الغزل وسيلة للعبث وتمضية الوقت ، وإن أصابهم حب عنيف عارض فسوف لايدوم أمده وسوف يتجاوزونه بسهولة . إذاً عندما نتتبع شعر بنى قشير عامة فإننا سنجد فيه هذين الاتجاهين الاتجاه إلى الغزل العابث والاتجاه إلى الغزل العفيف، ولنبدأ أولا بدراسة الغزل العابث ثم ننتقل بعد ذلك إلى الغزل العفيف .

الغزل العابث عند شعراء بنى قشير :

هناك شعراء اتجهوا إلى اللهو والعبث ، وقد أوتوا ملكة شعرية قوية جعلتهم يعبرون عن مواقف أنسهم ، وإذا كانت المرأة هى الوسيلة إلى هذا الأنس،فقد اتجه هؤلاء الشعراء إليها بأشعارهم ، يصفون جمالها وحديثها وعلاقتهم بها ، وقد أوتى هؤلاء الشعراء سعة فى الرزق فتفرغوا للعبث واللهو ، ومن أبرز الشعراء الذين ساروا فى هذه الطريق فى الجاهلية والإسلام امرؤ القيس وعمر ابن أبى ربيعة ، ومن شعراء بنى قشير يزيد بن الطثرية ، وميمون بن عائذ ، وسوادة بن كلاب ، ومنقذ بن عليج ، واللبينى المنيخس ، وإذا أردنا أن نقف على الغزل العابث عندقشير فلابد أن نتعرف عليه من خلال شعر هؤلاء الشعراء ولنبدأ بشعر يزيد بن الطثرية ، ففيه كثير من القصائد الغزلية العابثة ، ويزيد ابن الطثرية ليس من الشعراء الموسرين،وبالرغم من ذلك فقد سار فى هذه الطريق لأن أخاه ثورا كان يتحمل عنه كثيرا من المسئوليات،فتفرغ هو للغزل والعبث، وقد أوتى يزيد جميع الوسائل التى تؤهله لهذا اللهو والعبث جمال الجسم وحسن

الحديث ، فهو يعرف كيف يصل إلى قلوب النساء ، كما أنه يعطى كل موقف مايستحق ، فمثلا عندما يقبل على نساء مجتمعات فإنه يبادرهن بالسلام قائلا :

سلام عليكن الفداة فما لنا إليكن إلا أن تشأن سبيل[1]

أما إذا جاء قاصدا محبوبته وحدها فإنه سوف لا يبتدئها بالسلام خشية الأعداء ، يقول فى ذلك :

إذا نحن جئنا لم تجمل بزينة حذار الأعادى وهى باد جمالها
ولا نبتديها بالسلام ولم نقل لها من توقى شرهم كيف حالها[2]

ويزيد بن الطثرية يعرف الفتاة التى تصاح للهو وتطارح الغزل ، فهى تلك الفتاة التى نشأت فى سعة من العيش يقول :

جرى فوقها زهو الشباب وباشرت نعيم الليالى والرخاء من الخصب[3]

والفتيات اللاتى يطلبن الهوى ويرغبن فى اللهو لايردن إلا الشاب الشريف الحسن المنظر الحلو الحديث؛ يقول يزيد فى ذلك :

نواعم لا يرغبن فى وصل بلدم
هدان ولا يزهدن فى الطرف العذب[4]

ويزيد بن الطثرية يطلق الألفاظ الحلوة أحيانا ويصف نفسه بالهيام والعشق وهو ليس جادا فى ذلك ، يقول يزيد مخاطبا امرأة كهلة :

أنا الهائم الصب الذى قاده الهوى إليك فأمسى فى حبالك مسلما

(١) الأغانى ٨/ ١٦٥ .
(٢) وفيات الأعيان ٦/٣٦٧ .
(٣) متخير الألفاظ ٨٢ .
(٤) الحماسة شرح التبريزى ١٧٠ .

برته دواعي الحب حتى تركنه سقيما ولم يتركن لحما ولا دما[1]

فظاهر العبث فى هذين البيتين واضحة ؛ إذ أن الشاعر ليس صادقا فى قوله هذا وإنما أراد العبث والممازحة ، ومما يدل على أن يزيد ليس جادا فى حبه أنه فى بعض الأحيان يساعد غيره من الفتيان الذين لا يستطيعون أن يصلوا إلى ما يريدون ومن هؤلاء قطرى بن بوزل الذى ساعده يزيد فى الوصول إلى فتيات يريدهن ، يقول يزيد فى ذلك :

على قطرى نعمة إن جزى بها يزيد وإلا يجزه الله لى أجرا
دنوت به حتى رمى الوحش بعدما رأى قطرى من أوائلها نفرا[2]

ويزيد بن الطثرية لايترك فرصة للهو سانحة إلا استغلها مهما كانت عواقبها فقد عقر ناقة من إبل أخيه لأن بعض الفتيات طلبن منه هذا ، وقد قال فى ذلك :

ياثور لاتشتمن عرضى فداك أبى فإنما الشتم للقوم العواوير
ما عقر ناب لأمثال الدمى خرد عِين كرام وأبكار معاصير
عطفن حولى يسألن القرى أصلا وليس يرضين منى بالمعاذير
هبهن ضيفا عراكم بعد هجعتكم فى قطقط من سقيط الليث منشور
وليس قربكم شاء ولا لبن أيرحل الضيف عنكم غير مجبور
ما خير واردة للماء صادرة لا تنجلى عن عقير الرجل منحور[3]

ومن مجالس الأنس التى كان لها أثر كبير فى نفس يزيد بن الطثرية ذلك اليوم الذى قضاه الشاعر بجزع الغضى حيث اجتمع بالأحباب . وعاد فى آخر

(١) الأغانى ٨/١٦٥ .
(٢) الأغانى ٨/١٧٤ .
(٣) الأغانى ٨/١٧٦ .

النهار إلى ابن عمه خليفة بن بوزل ليخبره بما جرى له فى ذلك اليوم من الأنس واللهو يقول :

لو أنك شاهدت الصبا يا ابن بوزل بجزع الغضى إذ راجعتنى غياطله
بأسفل خل الملح إذ دين ذى الهوى مؤدى وإذ خير الوصال أوائله
لشاهدت يوما بعد شحط من النوى وبعد تنائى الدار حلوا شمائله
ويوما كإبهام القطاة مزينا لعينى ضحاه غالبا لى باطله
بنفسى من لو مر برد بنانه على كبدى كانت شفاء أنامله
ومن هابنى فى كل أمر وهبته فلا هو يعطينى ولا أنا سائله
ألا حبذا عيناك يا أم شنبل إذا الكحل فى جفنيهما جال جائله
فداك من الخلان كل ممزج تكون لأدنى من يلاق وسائله
فرحنا تلقانا به أم شنبل ضحيا وأبكتنا عشيا أصائله
وكنت كأنى حين كان كلامها وداعا وخلى موثق العهد حامله
رهين بنفس لم تفك كبوله عن الساق حتى جرد السيف قاتله
فقال دعونى سجدتين وأرعدت حذار الردى أحشاؤه ومفاصله[1]

وقد ورد فى شعر يزيد بن الطثرية كثير من الأسماء أى أسماء النساء مما يدل على أن الشاعر لا يقتنع بمحبوبة واحدة ، وإنما ينتقل من واحدة إلى أخرى ، ومن هـــذه الأسماء التى وردت فى شعره : ليلى ، أسماء ، أم شنبل ، نوار ، أم عمرو ، وكثرة هذه الأسماء التى ترد فى شعره تدل على عدم ثقته فى المرأة ، فهو من خلال تجاربه مع المرأة رأى أنها لا يوثق بها ، وإنما يلهو بها قليلا ثم ينتقل إلى غيرها لأن المرأة نفسها تلهو به أيضا ، فهو يخبرنا فى كثير من أبياته أن بعض

(١) الأغانى ٨ / ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ .

النساء اللاتى يتصل بهن لهن علاقات متعددة مع الرجال،ولكن يزيد لا يرضى أن يشترك مع غيره فى وصل امرأة واحدة يقول :

وإنّىَ للماء الذى شابه القذى إذا كثرت وراده لعيوف
وإنى لأستحيي من الله أن أرى رديف وصال أو علىّ رديف
وأن أرد الماء الموطأ جـيزه وأتبع حبلا منك وهو ضعيف (١)

وإذا أردنا أن نقف على علاقة بعض النساء مع الرجال فما علينا إلا أن نترك يزيد يعرض علينا هذه العلاقة ، يقول :

أرى سبعة يسعون للوصل كلهم له عند ليلى دينة يستديـنها
فألقيت سهمى وسطهم حين أوخشوا
فما صار لى من ذاك إلا ثمينها
وكنت عزوف النفس أشنأ أن أرى
على الشرك من ورهاء طوع قرينها
فيوما تراها بالعهود وفية ويوما على دين ابن خاقان دينها
يدا بيد من جاء بالعين منهم
ومن لم يجىء بالعين حيزت رهونها(٢)

إذاً قد نملل عبث يزيد فى شعره بعدم ثقته فى النساء، وأن المرأة لا تستحق من يحفظ ودها ، وأكبر دليل على ذلك تلك التجارب الكثيرة التى أثبتت أن المرأة لا تقتصر على رجل واحد فى حبها ، ولكن يزيد يذكر لنا فى بعض شعره أن حب النساء إنما هو داء يصيب الإنسان، فإذا أصيب الإنسان بهذا الداء فليس له ذنب بعد ذلك ، يقول :

(١) الوحشيات ٣٠٥ .
(٢) الأغانى ٨/١٧٧ .

جرى واكف العينين بالديمة السكب

وراجعنى من ذكر ماقد مضى حبى

وأبدى الهوى ماكنت أخفى من العدا

وجن لتذكار الصبا مرة قلبى

متى يرسل المشفى إن الناس محلوا عيونا لأكناف المدينة فالهضب

أمت كمدا أو أضن حتى يغيثنى

مغيث بسيب من نداهن أو قرب

حنا الحائم الصادى إليها وخليت قلوب فما يقدرن منها على شرب

جعلن الهوى داء علينا وما لنا

إليهن إذ أوردننا الداء من ذنب[٢]

وإذا كان الهوى عند يزيد داء مستديماً فما عليه من حرج إذا جعل علاقته بالنساء وصلته بهن مادة للحديث مع رفاقه فى الأسفار حيث يحلو الحديث فى ظلال الليل عندما تطول الشقة ويشتاق الرفاق إلى الأحاديث المسلية، يقول يزيد :

ألا طرقت ليلى فأحزن ذكرها وكم قد طوانا طيف ليلى فأحزنا

ومن دونها من قلة العبر مخرم يشبهه الرائى حصانا موطنا

ومعترض فوق القتود تخاله متاعا معلى أو قتيلا مكفنا

جلوت الكرى عنه بذكرك بعدما

دنا الليل والتج الظلام فأغدنا

ألا عل ليلى إن تشكيتُ عندها تباريح لوعات الهوى أن تلينا

(١) الزهرة ١ / ٣١٨ .

على أنها خاست بمهدى وحاذرت
عيون الأعادى والصبى الملحنا
أعيب الذى أهوى وأطرى جواريا
يرين لها فضلا عليهن بينا
برغمى أطيل الصد عنها إذا بدت
أحاذر أسماعا عليها وأعينا
فقد غضبت أن قلت أن ليس حاجتى
إليها وقالت لم يرد أن يحبنا
وهل كنت إلا معمدا قانط الهوى
أسر فلما قاده الشوق أعلنا
أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى
فصادف قلبى خاليا فتمكنا[1]

ويزيد بن الطثرية لايرى غضاضة فى نشر اسم محبوبته أو تناقل الرواة الشعر الذى يقوله فى تلك المحبوبة ، بل يرى أن ذلك إنما هو شرف لتلك المحبوبة عندما يكون اسمها يروى على كل لسان يقول :

ألا بأبى من قد برى الجسم حبه ... ومن هو موموق إلىّ حبيب
ومن هو لا يزداد إلا تشوقا ... وليس يرى إلا عليه رقيب
وإنى وإن أحموا على كلامها ... وحالت أعاد دونها وحروب
لمثن على ليلى ثناء يزيدها ... قواف بأفواه الرواة تطيب
أليلى احذرى نقض القوى لايزل لنا ... على النأى والهجران منك نصيب

(١) ذيل الأمالى ٧٦ ، ومعجم البلدان ٤/٧٨ ، والزهرة ١/٢١ .

وكونى على الواشين لدّاء شغبة كما أنا للواشى ألد شغوب
فإن خفت ألا تحكمى مرة القوى فردى فؤادى والمزار قريب[1]

وإذا وجدنا عتاب الشاعر لمن يحب فى بعض قصائده ظننا أنه عتاب عاشق أضناه الحب وليس عتاب عابث أولاه، ولكن الشاعر لايفتأ أن ينصرف تلك المحبوبة بسبب تعنتها وعدم قبولها للعذر الذى قدمه الشاعر ، ونجد ذلك فى هذه الأبيات :

ومن يعلق البيض الكواعب قلبه ويبغضنه يُـدْعَ الشقى المعذبا
فمرا على ظلّامة الدين فانطقا بعذرى إليها واذكرانى تعجبا
وقولا إذا عدت ذنوبا كثيرة علينا تجنـاها ذرى ماتغيبا
هبينى امرأ إما بريئا ظلمته وإما مسيئا تاب بعد وأعتبا
فلما أبت لاتقبل العذر وارتمى بها كذب الواشين شأوا مغربا
تعزيت عنها بالصدود ولم أكن لمن ضن عنى بالمودة أقربا
وكنت كذى داء تبغى لدائه طبيباً فلما لم يجده تطببا
فلما اشتفى مما به عل طبـه
على نفسه من طول ما كان جربا[2]

وانصراف الشاعر عن محبوبته أو نسيانها فى غمرة الشعر وارد فى أكثر من قصيدة . وهذا يدل على أن الشاعر عندما يتكلم عن محبوبته، فإنما يتحدث عنها لأنها وسيلة للغزل ، وإلا فكيف نعلل ذكر ليلى فى القصيدة التالية حيث يقول :

تذكرت ليلى أن تغنت حمامة وأنى بايلى والفؤاد قريح

(١) الأغانى ١٧٧/٨ .

(٢) سمط اللآلى ١٠٣/١ ، والزهرة ١١٣/١ .

يمانية أمست بنجران دارها وأنت عراقى هواك نزوح
ومن دون ليلى سبسب متماحل يجيب صداه اليوم حين يصيح
يظل به سرب القطا متحيرا إذا ماج بحر الآل وهـو يلوح
تجوب من البيداء كدراء جونة سماوية عجلى النجاء طموح
تبادر جوناً تنسج الريح متنه له حبب فى جانبيه يسيح
عليه دفاق فى الغديات وارد وآخر فى برد العشى يروح
فعبت وعب السرب حتى إذا ارتوت
ذكرن فراخا دونهن طروح
ملأن أداوى لم يشنهن خارز بسير ولا يلفى بهن جروح
فطرن يبادرن الضياء تقدمت عليهن مغلاة النجاء طموح
إلى ابن ثلاث فى الفلاة كأنما بجنبيه من لفح السموم جروح
فظلت تسقيه نطاف إداوة له غبقة من فضلها وصبوح(١)

فنلاحظ أنه ذكر ليلى فى أول القصيدة ثم اتجه إلى وصف الطريق ثم وصف القطا ولم يعد لذكر محبوبته مرة أخرى ، والشاعر حياته كلها حب ووصال وانتقال من محبوبة إلى أخرى ، فهو لا يزال يلهث وراء الحب ، ومادام كذلك فلماذا يكلف بامرأة واحدة ، إنه يسير وراء المرأة قليلا حتى إذا قضى وطره منها انتقل إلى غيرها ، لقد عبر عن ذلك فى أبيات كثيرة :

سقى دمنتين ليس لى بهما عهد بحيث التقى الدارات والجرع والكبد
فيا ربوة الربعين حييت ربوة على النأى منا واستهل بك الرعد
قضيت الغوانى غـير أن مودة لذلفاء ما قضيت آخرها بعـد

(١) الأشباه والنظائر ٢/٣١٦ .

فرى نائبات الدهر بينى وبينها　　وصرف الليالى مثل مافرى البرد
فإن تدعى نجدا ندعه ومن به　　وإن تسكنى نجـــدا فيا حبذا نجد
وإن كان يوم الوعد أدنى لقائنا　　فلا تعذلينى أن أقـــول متى العهد
إذا ورد المسواك ريان بالضحى　　عوارض منها ظـــل يخصره البرد
وألين من مس الرحى بات يلتقى　　بمارنه الجادىّ والعنبر الورد[١]

وإذا كان يزيد قد أحب وحشية أكثر من غيرها فما معنى ذلك الحب والشاعر يذكر محبوبته فى موقف الفحش وليس فى موقف الغزل، يقول يزيد :

ستبرأ من بعد الضمانة رجلها　　وتأتى الذى تهـــوى مخلى طريقها
على هـــدايا البدن إن لم ألاقها　　وإن لم يـــكن إلا فديك يسوقها
يحصنها منى فديك سفاهة　　وقد ذهبت فيها الكباس وحوقها
تذيقونها شيئا من الغار كلما
رأت من بنى كعب غلاما يروقها[٢]

فهل يليق أن يقول عن محبوبته (وقد ذهبت فيها الكباس وحوقها) ، وأحيانا يذكر لنا يزيد محبوبته فى موقف البغى التى يزورها عدد كبير من الناس نجد ذلك فى هذه الأبيات :

ألا أيها البيت الذى أنا هاجره　　وإنى بتلماح من الطرف ناظره
لهنك من بيت إلى لمونق　　وآنق فى عينى من البيت عامره
أصد حياء أن يلج بى الهوى　　وأنت المنى لولا عدو أحاذره
وفيك حبيب النفس لو نستطيعه　　لمات الهوى والشوق حين نجاوره

(١) الأشباه والنظائر ٢/١٨٥ .
(٢) الأغانى ٨/١٧٢ .

فإن يكن الأعداء أحموا كلامه ... علينا فلمـا تحـم عنا مناظره
أنهجر بيتا بالحجاز تلعبت ... به الحرب والأعداء أم أنت زائره
فإن آنــه لاأنج إلا بظنة ... وإن يأته غيرى تنط بى جرائره
ومستخبر عنها ليعلم ما الذى ... لها فى فؤادى ود أنى أحاوره
تركت على عمياء ظن ولم أكن ... إذا ماوشى واش بليلى أناظره [1]

فما معنى قوله (وإن يأته غيرى تنط بى جرائره) معنى ذلك أن هذه المحبوبة يزورها يزيد وغير يزيد . ويزيد بن الطثرية يدعو إلى التبادل فى الهوى ، وأن تترك الفتيات ليخترن من يشأن من الشبان لأنه واثق من نفسه وأنه سيفوز عند أكبر قدر ممكن من النساء يقول :

خليلى بين المنحنى من مخمر ... وبين اللوى من عرفجاء المقابل
قفا بين أعناق اللوى لمرية ... جنوب تداوى غل شوق مماطل
لكيما أرى أسماء أو لتمسنى ... رياح برياها لذاذ الشمائل
لقد حادلت أسماء دونك باللوى ... عيون العدا سقيا لها من محادل
ودست رسولا أن حولى عصابة ... هم الحرب فاستبطن سلاح المقاتل
فيا أيها الواشون بالغش بيننا ... فرادى ومثنى من عدو وعاذل
دعوهن يتبعن الهوى وتبادلوا ... بنا ليس بأس بيننا بالتبادل
تروا حين نأتيهن نحن وأنتم ... لمن وعلى من وطأة المتثاقل
ومن عريت للهو قدما ركابه ... وشاعت قوافى شعره فى القبائل
تبرز وجوه السابقين ويختلط ... على المقرف الكافى غبار القنابل
فإن تمنعوا أسماء أو يك نفعها ... لــكم أو تدبوا بيننا بالنوائل

(١) المنازل والديار ٣٩٧ .

فلن تمنعونى أن أعلل صحبتى … على كل شىءمن مدى العين قابل[1]

وإذا نظرنا فى شعر يزيد بن الطثرية الغزلى وجدنا أن الشاعر يهتم بمكان الأنس ومجلس اللهو أكثر مما يهتم بمن يملأون تلك الأماكن ، ذلك أن الشاعر محظوظ لدى النساء ؛ فهو لا يحب الوحدة وإنما يحب المجتمعات ، وقد نجد فى بعض قصائده أن الأماكن التى كان له فيها أنس ولهو تستولى على تفكيره حتى إنه يتخذ هذه الأماكن وسيلة إلى الدخول فى الغزل بعكس القصائد الأخرى التى يجعل فيها الغزل مقدمة للغرض الذى يريد الوصول إليه ، ومن تلك القصائد التى جعل مقدمتها الحديث عن أماكن اللهو قوله :

ألا ياصبا نجد متى هجت من نجد … لقد زادنى مسراك وجدا على وجد
أأن هتفت ورقاء فى رونق الضحى … على فنن غض النبات من الرند
بكيت كما يبكى الحزين صبابة … وذبت من الحزن المبرح والجهد
ألا هل من البين المفرق من بد … وهل لليال قـــد تسلفن من رد
وهل مثل أيامى بنعف سويقة … رواجع أيام كما كن بالسعد
وهل أخواى اليوم إن قلت عرجا … على الأثل من ودان والمشرب البرد
متيمان حتى يقضيا لى لبانــة … فيستوجبا أجرى ويستكملا حمدى
وإلا فروحا والسلام عليكما … فما لكما غيى وما لكما رشدى
ولكن بكفى أم عمرو فليتها … إذا وليت رهنا تلى الرهن بالقصد
وياليت شعرى ما الذى تحدثن لى … نوى غربة بعـــد المشقة والبعد
نوى أم عمرو حيث تغترب النوى … بها ثم يخلو الكاشحون بها بعدى
أتصرم اللائى الذين هم العدا … لتشمتهم بى أم تدوم على الود
وظنى بها والله أن لن يضيرنى … وشاة لديها لا يضيرونها عندى

(١) الأغانى ٨/١٦٦ .

وقد زعموا أن المحب إذا دنا ... يمل وأن النأى يشفى من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا ... على أن قرب الدار خير من البعد(١)

فنلاحظ فى هذه القصيدة أن الشاعر ذكر نجدا ، ونعف سويقة ، والسعد ووداں ، وبعد أن ذكر هذه الأماكن التى كان له فيها ماض سعيد تذكر محبوبته أم عمرو فجعل نصيبها من هذه القصيدة آخرها وليس أولها كما هى عادة الشعراء عندما يتحدثون عن من يحبون .

إذا كان يزيد بن الطثرية شاعر عابث كما نستشف ذلك من قصائده الكثيرة ، فإن الشاعر قد مرت به مواقف جعلته يتذلل أمام محبوبته ويصفها وصفا ينبىء عن حب عميق ، ونجد ذلك فى قوله :

ولما لحقنا بالحمول ودونها ... خميص الحشا توهى القميص عواتقه
قليل قذى العينين يعلم أنه ... هو الموت إن لم تلق عنا بوائقه
عرضنا فسلمنا فسلم كارها ... علينا وتبريح من الغيظ خانقه
فسايرته مقدار ميل وليتنى ... بكرهى له مادام حيا أرافقه
فلما رأت أن لا وصال وأنه ... مدى الصرم مضروب عليه سرادقه
رمتنى بطرف لو كميا رمت به ... لبل نجيعا نحوه وبنائقه
ولمح بعينيها كأن وميضه ... وميض حيا تهدى لنجد شقائقه(٢)

ومن الأبيات التى تنبىء عن تجربة قاسية فى الحب قوله :

ألهف أبى لما أدمت لك الهوى ... وأصفيتك الود الذى هو ظاهر
وجاهرت فيك الناس حتى أضر بى ... مجاهرتى القوم الذين أجاهر
وأنت كفىء الغصن بينا يظلنى ... ويعجبنى إذ زعزعته الأعاصر

---

(١) ذيل الأمالى ١٠٣ والأغانى ٥/٢٣٤ .

(٢) الأمالى ١/١٥٤ .

فصار لغيرى ظـــله وهواؤه ... ودارت بجسمى بعد ذاك الهواجر[١]

فالتذلل فى هذه الأبيات لمحبوبته واضح وجلى يظهر ذلك فى ألفاظها الرقيقة .

ومن القصائد التى يظهر فيها التذلل أيضاً قوله :

عقيلية أما ملاث إزارهـــا ... فدعص وأما خصرها :فبتيل
تقيظ أكناف الحمى ويظلها ... بنعمان من وادى الأراك مقيل
فيا خلة النفس التى ليس فوقها ... لنا من أخـــلاء الصفاء خليل
ويا من كتمنا حبـــه لم يطع به ... عدو ولم يؤمن عليه دخيـــل
أما من مقام أشتكى غربة النوى ... وخوف العدا فيـــه إليك سبيل
فؤادى أسير لا يفـــك ومهجتى ... تفيض وأحزانى عليك تطـــول
ولى مقلة قرحى لطـــول اشتياقها ... إليك وأجفانى عليك هـــول
أليس قليلا نظـــرة إن نظرتها ... إليك وكلا ليس منك قليـــل
وإن عناء النفس مادمت هـكذا ... عنـــود النوى محجوبة لطويل
أراجعة قلبى على فرائح ... مع الركب لم يكتب عليك قتيل
فـــلا تحملى وزرى وأنت ضعيفة ... فحمل دمى يوم الحساب ثقيل
فيـــا جنة الدنيا ويا منتهى المنى ... ويا نور عينى هـــل إليك سبيل
فديتك أعـــدائى كثير وشقتى ... بعيد وأشياعى لديك قليل
وكنت إذا ما جئت جئت بعلة ... فأفنيت علاتى فكيف أقـــول
فمـــا كل يوم لى بأرضك حاجة ... ولا كل يوم لى إليك رسول
صحائف عنـــدى للعتاب طويتها ... ستنشر يوما والعتاب طـــويل[٢]

---

(١) الحماسة البصرية ٢/١٨١ .

(٢) زهر الآداب ٢/٨٥٤ ، ومدامع العشاق ٢٨٥ .

فهذه نماذج من شعر ابن الطثرية تثبت أنه مر بمواقف أحب فيها حقا ، ولكن هذه المواقف لاتدوم طويلا ، فالشيء العام فى شعره هو العبث واللهو .

ومن شعراء العبث ميمون بن عائذ القشيرى الذى يقول فى محبوبته أسماء :

لقــد نضحت أسماء فى الوجه نضحة بآس كفاها الله كل معيب
فلمـــا زجرت الطير أيقنت أنه هو اليأس من أسماء وهى قريب[1]

ومنهم سوادة بن كلاب الذى يقول فى محبوبته ظمياء :

ألا حبذا الوادى الذى قابل النقا ويا حبذا من أجــل ظمياء حاضره
إذا ابتسمت ظمياء والليل مسدف تجلى ظـــلام الليل حتى تباشره
ألمت بأصحاب الركاب فنبهت بنفحة مسك أرق الركب تاجره
ولو سألت للناس يوما بوجهها سحاب الثريا لاستهلت مواطره[2]

ومن هؤلاء اللبينى المنيخس أحد بنى المشنج الذى يقول فى محبوبته :

أبيت أكالى النجم فى كل ليلة وأنت رقود الليل ملقى خمارك
وددت ولا يكتب لك الله شقوة ولا تنأ من دار المحبين دارك
بأن قضاء واجبا أن تزوجى مع المبتغين الكسب تهفو حلالك
وتستأنسى الركبان أن يقطعوا بنا يسيرون صهبا ما ثلات العرائك
وأن تؤنسى بطن الدبيل وحائل ويبدو لنا من ركن صاحة حارك[3]

فنلاحظ فى هذه الأبيات أن الشاعر يتمنى لمحبوبته أن تتزوج من أولئك

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٧٨ .
(٢) الحماسة البصرية ٢/١٠٤ .
(٣) التعليقات والنوادر ورقة ٧٨ .

الذين يطلبون الـكسب عن طريق الأسفار المتواصلة ، وأى حب هذا إذا كان هذا الشاعر يتمنى لمحبوبته السفر المستمر .

ومن هؤلاء أيضا منقذ بن عليج الذى يقول فى محبوبته العوجاء :

لا تطردا غنم العوجاء إن وردت   وبالمذاب من الأجساء فاسقوها
إنى على حسن عينيها لأمدحها   حتى الممات وأهجو من يحليها
قولا لمريم إن كانت تـكلمها   تقرا السلام عليها حين تأتيها
عديد ما بيننا من قطرة وقعت   أو تربة خلقت والريح تذريها(١)

وإذا كنا قد استعرضنا الشعر الغزلى العابث وشعراءه عند بنى قشير فما علينا إلا أن ننتقل إلى الجانب الآخر من شعر بنى قشير الغزلى وهو الشعر الغزلى العفيف .

الغزل العفيف عند شعراء بنى قشير :

إذا كان الشعر الغزلى العابث عند بنى قشير يمثله طائفة من شعراء هذه القبيلة ، فإن الشعر الغزلى العفيف يمثله مجموعة كبيرة من شعراء هذه القبيلة ، ذلك أن قبيلة قشير قبيلة محافظة ، ومما يدل على محافظة هذه القبيلة أن ثورا أخا يزيد بن الطثرية لما عرف أن لمة أخيه يزيد إنما هى وسيلة للغزل وإغراء الفتيات لما عرف ذلك حلق هذه اللمة ، وشعر يزيد بن الطثرية خير شاهد على ذلك ، يقول يزيد :

أقول لثور وهـــو يحلق لمتى   بحجناء مردود عليها نصابها
ترفق بها ياثور ليس ثوابها   بهذا ولـكن غير هذا ثوابها
ألا ربما يا ثور قـــد غل وسطها   أنامل رخصات حديث خضابها
وتسلك مدرى العاج فى مدلهمة   إذا لم تفرج مات غما صؤابها

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٣٢ .

فراح بهسا نور ترف كأنها سلاسل درع خيرها وانسكابها
منعمة كالشرية الفرد جادها نجـــاء الثريا هطلها وذهابها
فأصبح رأسى كالصخيرة أشرفت عليها عقاب ثم طارت عقابها[١]

وقد مر معنا فيما تقدم أن الغزل عند هـذه القبيلة ليس مسموحا به على الإطلاق ، ولذلك فإن ميادأ الجرمى الذى حاول أن يتصل بنساء قشير عندما حلت قبيلة جرم فى بلاد قشير،عندما حاول ذلك لم يجـد استجابة من النساء القشيريات ، وهذا يدل على محافظة هذه القبيلة ، إذا ليس غريبا أن نجد فى هذه القبيلة العديد من الشعراء الذين يتسم شعرهم بالعفة ، إن الفتى القشيرى يختلط بالفتاة بحكم حياة البادية ولـكن هذا الاختلاط عليه رقابة؛فالشاعر الشاب يرى محبوبته أمام عينيه ولـكنه لا يستطيع الاتصال بها ولا يرغب فى غيرها ، فعند ذلك يحترق شوقا إلى هذه المحبوبة ، هناك فرق بين شعراء الغزل العابث الذين لا يقصرون أنفسهم على محبوبة واحدة ، فإذا امتنعت عليهم تلك المحبوبة انتقلوا إلى غيرها . ولذلك نجد فى شعرهم الوصف الدقيق ، ولـكن لا نجد فى غالب هذا الشعر اللوعة والحرقة التى نجدها فى شعر شعراء الغزل العفيف ، إن هؤلاء الشعراء أى شعراء الغزل العفيف لا نجد فى أشعارهم ذكرا لأكثر من محبوبة واحدة فى الغالب؛ذلك أن الشاعر يحب امرأة واحدة يتغنى باسمها طول حياته؛لأن حب تلك المرأة ملك وجدانه ، وسيطر على قلبه ، ومن شعراء الغزل العفيف عند بنى قشير الصمة بن عبد الله القشيرى :

لقد اقترن اسم الصمة بابنة عمه ريا التى أحبها ورغب الزواج منها ،ولـكن هل تم ذلك الزواج؟ لا لم يتم زواج الصمة بابنة عمه بسبب تعنت عمـه فى المهر

(١) الأغانى ٨ / ١٧٨ .

الذى طلبه لابنته ، وتعنت أبيه فى عدم دفع ذلك المهر ، وقد كان الضحية هو الصمة الذى ترك البلاد وسافر إلى الشام بقلب مقروح ونفس كئيبة ، لقد بقى اسم ريا يتردد على لسان الصمة طول حياته وإن كنا نجد هذا الاسم فى بعض أبياته قد تحول إلى (طيا) فإنما هو تحريف لريا. لقد نشأ الشاعر مع محبوبته وهو ينظر إليها نظرة المحب الواله ، وإذا تذكر أن الزواج هو الطريق الذى سيسلكه إلى محبوبته هدأت نفسه ، وأبعدت الوساوس عن قلبه . لقد كانت ريا هى الكلمة الحلوة التى تذوب على لسانه رقة وحلاوة ، فهى أمله الوحيد الذى يسعى إلى تحقيقه ، وريا فيما يبدو تبادله هذا الحب ، وتعجب به ، وموقفها يوم رحيله ينبىء عن حب كمين وإعجاب لايحد ، فقد قالت يوم رحيله : تا الله ما رأيت كاليوم رجلا باعته عشيرته بأبعرة[1]. أما الصمة فيصف محبوبته فى هذا الفراق فيقول :

فلم أر مثل العامرية قبلها ... ولا مثلها يوم ارتحلنا مودعا
تريك غداة البين مقلة شادن ... وجيد غزال فى القلائد أتلعا
شكوت إليها ما ألاقى من الهوى ... وخشية شعب الحى أن يتصدعا
فما كلمتنا غير رجع وإنما ... ترقرقت العينان منها لتدمعا[2]

لقد بقيت صورة ريا فى ذهن الصمة يوم الفراق ، هذه الصورة التى جمعت كل حسن . لقد شكا شاعرنا إلى محبوبته الآلام النفسية التى يلاقيها من الحب ، فهل يطلب من ريا أن تجيبه فى هذا الموقف ؟ لقد سبقتها الإجابة بالدموع ، وهل هناك أقوى من تعبير الدموع فى موقف الفراق (ترقرقت العينان منها

(١) الأغانى ٦/٧ .
(٢) الأشباه والنظائر ٢/٢٧ .

لقدمها) أليس هذا الترقرق دليلا واضحا على حب ريا للصمة ، ومبادلتـه الحب ، ولكن ماذا تفعل وعادات القبيلة التى لاتترك الحرية للمرأة تضرب أطنابها ، لقد صبرت ريا وتركت الصمة يمضى لسبيله ، وكان هذا الوداع هو آخر لقاء بين الصمة وريا . لقد أحس الصمة أنه ترك قلبه عند ريا ،وأنه لايصبر على هذه الآلام التى تختلج فى نفسه ، ولكن ماذا يعمل ؟ وما الطريق الذى سيسلكه ؟ إنه ليس أمامه إلا طريق واحد هو التخفيف عما فى نفسه بهذه الزفرات التى يخرجها وقد التهبت بلواعج الشوق :

فواحسرتى لم أقض منك لبانة ولم أتمتـع بالجوار وبالقرب
يقولون هـذا آخر العهد منهم فقلت وهذا آخر العهد من قلبى[1]

نعم عندما قال له رفاقه : هذا آخر العهد من ريا أجاب على ذلك بقوله: وهذا آخر العهد من قلبى ، لقد ترك قلبه مودعا عند ريا ورحل ، ولذلك فإنه بقى بدون قلب . لقد استولت ريا على ذلك القلب حتى آخر يوم من أيام حياته . لقد أصبح الشاعر يائسا من هذه الدنيا ، لايهتم ، وكيف يهتم بحياة فقد فيها أعز حبيب ، لقد أصبحت الدنيا شيئا آخر فى نظره ، أصبح شاعرنا لايهتم بهذا الكون بقى على حاله أم طمت عليه البحور وأغرقته :

وقلت لأصحابى غـداة فراقها وددت البحور العام بالناس طمت
فتنقطع الدنيا التى أصبحت بهم كمثل مصابات على الناس عمت[2]

وبالرغم من التقارب الواضح ، وتبادل الحب بين ريا والصمة ، إلا أن وساوس الشاعر لاتهدأ والحب بطبيعته كثير الشك كثير التردد ، فهو تارة

(١) الأغانى ٧/٢٩٥ .

(٢) التعليقات والنوادر ورقة ٢٦ .

يحمل على ريا حملة شعواء ويقول : إنها ليست بذات أمانة ، ولا تجازى المحب بالجزاء الذى يستحقه ، ولو قارنا هذا بالواقع لوجدنا أنها تشفق عليه، وأن الدمع ترقرق فى عينيها عند فراقه ، ولكن الصمة مع ذلك يجزم أن محبوبته ستتغير ، وأنها ستنساه بمجرد مقاطعته لأسرته ، وأنها سوف لاتفى بالحب المتبادل بينهما :

لعمرك ما ريا بذات أمانة　　ولا عند ريا للمحب جزاء
ولا حبل طيا يوم قاطعت أسرتى　　بباق ولا طيا بذات وفاء[1]

ولكن هل يصبر الصمة على هذه الحملة التى حملها على محبوبته ؟ إن قلبه لايطيعه ، إن هناك صراعا عاطفيا يختلج بين جوانحه ، فالحب متمكن من قلبه ، ولابدّ أن يبوح بهذا الحب ، لأنه لايستطيع أن يكتمه ، وأنى للمحب أن يكتم مايختلج فى جوانحه من الشوق :

خليلى لا أزداد إلا مودة　　لطيا وإن عدتنى العدواء
ومن قولها إن القوى قد تجذمت　　وما للقوى ألا تجذ بقاء[2]

هذه هى نفس المحب ، ما أسرع أن تعود إلى طريق الحبيب ، وما أسرع أن تتقرب إليه مهما حصل من هذا المحبوب من عدم وفاء ، ومن عدم مجازاة حسنة ؛ أليست ريا هى التى تقول : إننى أتذكرك دائما ، وأن هذا الذكر لو صب على صم الحجارة لتصدعت فكيف إذاً يقول لنا الصمة : إنها ليست بذات وفاء؟ وأنها لاتجازى ؟ لقد كانت ريا وفية ، ولكنها لا تستطيع أن تعمل أكثر مما عملت ، أما الصمة عندما قال : إنها ليست بذات أمانة فإنما كان يعبر عن

(١) التعليقات والنوادر ورقة ١٤٤ .

(٢) المصدر السابق .

الاضطراب النفسى الذى يعانيه ، لقد وجه إليها هذا التساؤل الصريح فأجابته بصراحة مثل صراحته :

أما وجلال الله لو تذكرينني كذكريك ما كفكفت للعين مدمعا
فقالت بلى والله ذكرا لو انه يصب على صم الصفا لتصدعا[1]

والصمة كثير التساؤل كثير التردد، يراجع نفسه دائما ، لايثبت على موقف معين ، ولكن أنى لتلك النفس التى أضناها الحب وآلمها الفراق أن تهدأ ، وأنى للحبيب أن يشبع رغبة محبه ، إنها النفس المحبة كثيرة التبرم والشكوى ، ولكن لمن يشكو شاعرنا ؟ ولمن يتوجه بلومه ؟ لقد فارق محبوبته ريا ، وأصبح بعيدا عنها ، وأصبح الحنين لايفارقه ليل نهار ، يحن إلى تلك الحبيبة التى نشأ معها ويتمنى رؤيتها والتقاط حديثها ، ويعود إلى نفسه فيعاتبها :

حننت إلى ريا ونفسك باعدت مزارك من ريا وشعبا كما معا
فما حسن أن تأتى الأمر طائعا وتجزع أن داعى الصبابة أسمعا
كأنك لم تشهد وداع مفارق ولم تر شعبى صاحبين تقطعا
بكت عينى اليسرى فلما زجرتها عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا[2]

أليست هذه الأبيات ألطف أبيات قيلت فى الغزل فى الجاهلية والإسلام ؟ بشهادة صاحب أكبر كتاب فى الأدب وهو كتاب الأغانى ، فقد قال: لو حلف حالف أن أحسن أبيات قيلت فى الجاهلية والإسلام فى الغزل قول الصمة ماحنث[3] ، ثم أورد هذه الأبيات . لقد جادت نفس الصمة بهذا العتاب

(١) الأغانى ٤/٦ .
(٢) الأغانى ٨/٦ .
(٣) الأغانى ٥/٦ .

اللطيف الذى وجهه إلى نفسه (حننت إلى ريا) وفى رواية أخرى (أتبكى على ريا) لقد أخذ الصمة يعاتب نفسه على هذا البكاء المستمر ، ولماذا البكاء ؟ ألم تفارق الحبيبة ؟ أليس المزار بعيدا؟ فلماذا البكاء ولماذا التذكر المستمر ؟ ثم يسائل نفسه : ألم تقدم على هذا الأمر وأنت طائع ؟ هل أجبرك أحد على ذلك ؟ وإذا كنت قد جزعت على هذا الفراق فليس من المستحسن أن تقدم على شىء ثم تجزع بعد ذلك . وبعد ذلك يحاول تسلية نفسه بأنه واحد من أولئك الذين يفارقون أحبابهم ، وهم كثيرون ، (كأنك لم تشهد وداع مفارق) ولكن هل ينفع هذا الزجر ؟ وهل تجدى معاتبة النفس ؟ وهل يصلح اللوم ؟ إن الدموع لاتخضع لهذا العتاب ، فعندما زجر الشاعر عينه التى بادرت بالدمع أسرعت الأخرى فجادت بما تبقى من هذا الدمع ، وشاعرنا دائما يتوجه باللوم إلى نفسه التى أبعدته عن محبوبته :

علام تقول الهجر يشفى من الجوى ألا لا ولكن أول الكمد الهجر[1]

لقد اشتدت وطأة البعد على شاعرنا ، وكان يظن أن اليأس والبعد سينسيانه محبوبته ، ولكنه رأى الواقع بعكس ذلك ، لقد رأى أن أول الكمد الهجر ، وأن هذا البعد جدد الشوق ، فأصبح يفكر فى ريا ليل نهار ، يصبح على ذكرها ويمسى على ذكرها ، لقد حاول أن ينساها ولكنه لم يستطع ذلك ، وإذا كان لا يستطيع نسيانها بأى حال من الأحوال ، فلتبق هذه الذكريات تجدد تلك اللقاءات لينعم بها شاعرنا فى ساعته التى يخلو فيها إلى نفسه وهى كثيرة ، وإذا كان الشاعر لم يبق له من تلك الأيام إلا التذكر فإن طرفه يتوجه دائما إلى ديار المحبوبة ، وسمعه مرهف إلى استماع أخبار تلك

(١) حماسة ابن الشجرى ١٥٨ .

البلاد ، فإذا عزت الأخبار ، وقل من ينقلها لبعد الشقة وطول المسافة ، فإن الرياح تجوب المعمورة بكاملها ، وهى لا شك ستمر بديار المحبوبة ، وستأتى بريا محبوبته ، فهو يستنشق الهواء الذى يأتى من ديار ريا لأنه يشم فى هذا الهواء رائحة المسك المخلوط بالعنبر ، ويشم فيه رائحة الخزامى ، تلك الشجيرات المحببة إلى نفسه برائحتها العطرة :

إذا ما أتتنا الريح من نحو أرضكم   أتتنا بريا كم فطاب هبوبها
أتتنا بريح المسك خالط عنبرا   وريح الخزامى باكرتها جنوبها[1]

إن الحب هو الذى صير هذه الرياح إلى هذه العطور المتنوعة من مسك وعنبر ؛ إن الشاعر اختار اسم محبوبته ليكون هو الذى ينقل تلك الرائحة العطرة ، وليخادع نفسه بأن محبوبته ستتحول إلى شيء شفاف يستنشقه فى هذا الهواء (أتتنا بريا كم فطاب هبوبها) وإذا كان تذكر الأحباب هو الغذاء الروحى لشاعرنا ، فإن هذا التذكر يجلب من الآلام النفسية ما لو قسم على البشر لصدع أكبادهم ، وخير شاهد على تأثر شاعرنا بذكرياته قوله :

وأذكر أيام الحمى ثم أنثنى   على كبدى من خشية أن تصدعا
فليست عشيات الحمى برواجع   عليك ولكن خل عينيك تدمعا[2]

هل هناك أصدق من هذا التعبير ؟ (ثم أنثنى على كبدى) وهل هناك أبرز من هذه الصورة لإنسان قد أضناه الحب وآلمه الفراق ؟ إننا نبحث دائما عن مثل هذا الصدق فلا نجده ، ومثل هذه الصورة فلا نعثر عليها ، إنه الحب فى نظر شاعرنا يفطر الأكباد ويجلب الأحزان ، وينتقل شاعرنا إلى زجر نفسه ،

---

(١) الأغانى ٦/٣ .

(٢) جمهرة أنساب العرب ٢٨٩ .

وإخبارها بأن ما مضى لن يعود (فليست عشيات الحمى برواجع) كونى يائسة أيتها النفس ، لن يعود ما تطمحين إلى عودته ، وإذا كان الماضى لن يعود فليس أمامك إلا البكاء المستمر (ولكن خل عينيك تدمعا) . ويمر شاعرنا بحمامة تسجع فيجزم أن لها إلفا فقدته فيحن قلبه إلى ريا ويتألم شديدا ويحاول أن يزجر نفسه ، ولكن هيهات أن ترتدع العينان ، ومن أين للمحب أن يمنع هذا الشوق المتدفق :

أأن سجعت فى بطن واد حمامة تجاوب أخرى ماء عينيك دافق

كأنك لم تسمع بكاء حمامة بليل ولم يحزنك إلف مفارق(١)

وإذا كان هذا التذكر يلازم شاعرنا دائما فإن من الطبيعى أن يعيش شاعرنا مع محبوبته باستمرار فيجتر تلك الذكريات ، ومن ثم يستعرض تلك العلاقة التى قامت بينه وبين محبوبته ، وهل فى هذه العلاقة ما يدعوه إلى الندم، إنه حريص كل الحرص على إرضاء محبوبته ، فإذا استعرض علاقته معها ووجدها حسنة فإنه لا يهتم بأى إنسان من البشر ما دامت ريا راضية عنه ، وإذا كان قد غضب على والده وعمه فإنما هما السبب فى ذلك ، تمر به هذه الذكريات فيستعرض مقامه فى ديار قومه فتتوق نفسه إلى تلك الأيام :

ألا قاتل الله الحمى من محلة وقاتل دنيانا بها كيف ولت

غنينا زمانا بالحمى ثم أصبحت عراض الحمى من أهلها قد تخلت(٢)

ويحلو للشاعر أن يراجع نفسه فى حب ريا ، ثم يوازن بين ما قدمه من حنين ووجد وما قدمته محبوبته مقابل ذلك :

---

(١) حماسة ابن الشجرى ١٧٢ .

(٢) التعليقات والنوادر ورقة ٢٦

لعمرى لئن أحببت طيا وآثرت على العدا ما سنة العدل سنت
أظل أمنيها الفؤاد سفاهة إذا ما انطوت نفسى على اليأس ملت[١]

ويوضح الشاعر فى أبيات أخرى أن نفسه لن تقنع بشىء غير محبوبته مهما كان هذا الشىء جميلا لأن نفسه قد تعلقت بريا ، وآثرتها على كل شىء فى هذه الحياة :

لقد خفت أن لا تقنع النفس بعدها بشىء من الدنيا وإن كان مقنعا
وأعذل فيه النفس إذ حيل دونه وتأبى إليه النفس إلا تطلعا[٢]

ما أجمل صراحة شاعرنا ، وما أحلى هذه الصراحة ، لقد بين لنا أن حب ريا استولى عليه ، وأنه أصبح لا يرى الأشياء كما هى وإنما يراها بمنظار آخر على غير ما هى عليه ، إن نفس شاعرنا لن تقنع بشىء بعد ريا مهما كان هذا الشىء جميلا ، وكأنه يقول للملأ إن الحبيب عند ما يحب فإنه ينظر إلى محبوبه بعين تجعل كل شىء فيه جميلا ، وتجعل كل شىء غيره قبيحا ، وبالتالى لا تقنع النفس بغير الحبيب ، فيبقى المحب متعلقا بحبيبه على مدى الزمن ، ويكرر فى البيت الثانى معنى ضمنه الأبيات المتقدمة وهو أن الشاعر مهما عذل نفسه وزجرها ، وحاول أن تيأس هذه النفس ، فإنها ستتطلع إلى الحبيب وسوف لا تقنع باليأس ، وأنى لهذه النفس أن تقنع ، وأنى لها أن تنسى الحبيب !
ويعود الشاعر إلى حبيبته مرة ثانية لأن البعد والنسيان واليأس تتعذر عليه :

لعمرى لئن كنتم على النأى والقلى بكم مثل ما بى إنكم لصديق

(١) التعليقات والنوادر .
(٢) أمالى اليزيدى ١٥٠ .

إذا زفرات الحب صعدن فى الحشا ... رددن ولم تنهج لهن طريق[١]

لقد توجه إلى محبوبته النائية متسائلا بقوله : هل عندك من الوجد مثل ما عندى ؟ إذا كان ذلك فلا بد أن تكون تلك الصداقة باقية على حالها ، أما حال الشاعر فقد عبر عنها فى البيت الثانى أجمل تعبير لأنه لا يستطيع كتمان ما يختلج فى نفسه تجاه محبوبته ، إن الزفرات تتردد وتحاول الخروج ولكنها لا تجد إليه سبيلا ، وبعد أن استعرض الشاعر علاقته مع محبوبته ، ومرت بذهنه تلك الذكريات لم يجد بدا بعد ذلك من البوح بما يحس به من الشوق ، فالجهر بالحب أصبح شيئاً لابد منه ؛ فالصمة سيعلن للناس حبه لريا بكل وسيلة يستطيعها :

فوجدى بطيا وجد أشمط راعه ... بواحـدة داعى المنايا ألمت

ووجدى بطيا وجد بكر غريرة ... على والديهـا فارقاها فجنت

ووجدى بطيا وجد هيماء حليت ... عن الماء كانت منذ خمسين ضلت[٢]

لقد آن لشاعرنا أن يخرج زفراته ، وأن يتوجد على محبوبته ، لقد كرر هذا الوجد مرات متعددة ، وكرر اسم محبوبته أيضا ، عل ذلك يخفف من آلامه ، فقد وصف الشاعر نفسه بذلك الرجل المسن الذى فقد ابنه الوحيد ، ثم عرض علينا صورة أخرى تمثله فى فقده لطيا ، وهذه الصورة هى صورة تلك الفتاة التى فقدت والديها فكادت تجن عليهما . ثم عرض علينا صورة ثالثة تمثله فى وجده بمحبوبته ، وهى صورة تلك الناقة التى أبعدت عن الماء مدة طويلة حتى أصبح حنينها إليه يفجع سامعه ، ويسير الشاعر فى هذه الصور التى تواردت

---

(١) الأغانى ٦/٣ .

(٢) التعليقات والنوادر ورقة ٢٧

على ذهنه ، فيصف حاله وصفا دقيقا تمثله هذه الصور المتنوعة ، ويختم لنا تلك الصور التى تمثله فى حبه ووجده بصورة تلك الفتاة الأعرابية التى قدر لها أن تعيش بين جدران قصر لم تألفه ، فتجد نفسها فى سجن تتمنى الفكاك منه ، وتحن إلى موطنها بقلب باك ، ولكن أنى لها أن تعود إلى تلك الحياة البدوية الطلقة التى لم تعرف القيود :

ولا وجد أعرابية قذفت بها صروف النوى من حيث لم تك ظنت
يشد عليها الباب أحمر لازم عليها زقاقى قرية قد أبنت
تمنت أحاليب اللقاح وضيعة بنجد فلم يقدر لها ما تمنت
إذا ذكرت ماء العظاة وطيبه وبرد الحصى من أرض نجد أرنت[1]

وبعد أن قارن نفسه فى وجده بهذه الصور المتنوعة بين لنا بعد ذلك أن وجده بطيا أعظم من وجد الرجل المسن على وحيده، وأعظم من وجد البكر على والديها ، وأعظم من وجد الناقة على الماء الذى غابت عنه فترة طويلة ، وأعظم من وجد الأعرابية بموطنها الأول وحياتها الأولى :

بأكبر من وجد بطيا وجدته غداة ارتحلنا غدوة واطمأنت[2]

ويظهر أن الشاعر يستأنس بذكر هذه الأشياء التى تشاركه محنته فنجده يكرر هذه الصور التى عرضها علينا فى تائيته ، يكررها فى العينية فيمثل نفسه فى وجده بريا بذلك الجمل الذى قدر له أن يرعى فى الغور، فيتطلع إلى صعود الجبال ولكن القيد يمنعه من ذلك ، فينظر إلى تلك الجبال بعين ملؤها الأسى والحزن، ثم يمثل نفسه أيضا ببكرة بكر جاءت تطلب حوارها فلم تجد إلا مصرعه ، فأخذت ترجع حنينا آخر الليل جعل الإبل كلها تشاركها فى حنينها :

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٢٧

(٢) المصدر السابق .

فما وجد علوى الهوى حن واجتوى | بلوذ الشر والغور ماء ومرتعا
تذكر لما عضه القيد واجتوى | مراتعه من بين قف وأجرعا
ورام بعينيه جبالا محيطة | وما أن يرى فيها أخو القيد مطلعا
بأعظم من وجد بريا وجدته | غداة دعا داعى الفراق فأسمعا
وما بكرة بكر رأت من حوارها | مجرا حديثا مستبينا ومصرعا
إذا رجعت فى آخر الليل حنة | لذكر حديث أبكت البزل أجمعا[1]

لقد عرض علينا الشاعر ما يختلج فى نفسه تجاه محبوبته ، وقال لنا انظروا إذا كانت الأم التى وجدت ابنها قد صرع ومزقته السباع تمد نموذجا للوجد والهلع فإن نفس صاحبكم على محبوبته أشد وجدا وأعظم هلعا ، فهل بعد ذلك من تعبير يصور وجد صاحبنا ؟ إن انتقاءمثل هذه الصورليدل على قلب مقروح وكبد حرى ، ونفس صادقة فى حبها،ولكنها كبيرة عزيزة تفضل البعد ومعاناة الأسقام على قرب يلحقه ذلة ومهانة ، إنها نفس شاعرنا التى عرضها علينا عرضا صريحا وواضحا من خلال هذه الصور المتنوعة . ويتوجه الشاعر بعد ذلك إلى أولئك الذين يكثرون اللوم وهم لايحسون بما يحس به من ألم وأسى ، إن هؤلاء الذين اتخذوا اللوم عادة لهم لم يجربوا الحب ، ولم يذوقوا مــــرارة الفراق . وما أحسن أن تنظر إلى الشىء من بعيد ثم تلوم صاحبه، إن هذا سهل وميسور، ولكن أنى لك أن تثبت لو مرت بك تلك التجارب المضنية . إن التوجه إلى العذال ليس جديدا عند شاعرنا ، فمعظم الشعر العربى يزخر بذلك ، ولكن الفرق كبير بين شاعر وشاعر ، فالصمة لايقول إلا عن صدق ، ولا يلهج بشىء إلا عن لوعة ، أما الشعراء الآخرون فقد يتخذون ذلك تقليدا وسنة جــــرى

(١) أمالى اليزيدى ١٤٨ ، ومجموعة أدب ورقة ١٤ .

عليها أولم فدرج عليها آخرهم ، لقد تألم الصمة من أولئك الذين لايقدرون حبه حق قدره ، ولا ينصفونه فيما يحس به فوجه إليهم لوما لطيفا ، وإن كان يتضمن العتاب المر :

ألا يا خليلى اللذين تواصيا بلومى إلا أن أطيع وأتبعا
فإنى وجدت اللوم لا يذهب الهوى ولكن وجدت اليأس أجدى وأنفعا
قفا إنه لابد من رجع نظرة يمانية شتى بها القوم أو معا
لمغتصب قد عزه القوم أمره حياء يكف الدمع أن يتطلعا
تبرض عينيه الصبابة كلما
دنا الليل أو أوفى من الأرض ميفعا [1]

ولقد أخذ يعاتب هؤلاء العذال بروح تنم عن منطق صارم؛ فقد وجه اللوم إلى أولئك الذين تواصوا بلومه إلا أن يسير على الطريقة التى يرضونها ، وهذا شىء صعب ، فاللوم سهل ولكنه لا ينتزع الحب من القلب ويخرجه ، فما أسهل أن تعذل الإنسان ، ولكن أنى لك أن تحل مايختلج فى صدره ، وإذا كان اللوم لا يقدم ولا يؤخر فإن اليأس هو الذى يريح القلب ، وإن كان هذا القلب ينطوى على مرارة وحزن ، وبعد ذلك يتوجه الشاعر مرة أخرى إلى أولئك العذال بقوله (قفا) انظرا إلى بعين المتفحص ، لقد أجبرت على شىء لا أطيقه ، انظروا إلى هذا الإنسان الذى قد قسره القوم حتى أصبح يسر حياء عبراته المكتومة ، وآلامه المكنونة ، لقد أصبحت الأحزان جزءا من حياة ذلك الإنسان ، فكلما ترنم ببيت من الشعر تذكر ذلك المحبوب ، وكلما أشرف على مرتفع تذكر ذلك المحبوب ، فكيف تطلبون من محب هذه حاله أن

(١) الأشباه والنظائر ٢/٢٦ ، والأغانى ٦/٨ .

ينصرف عن حبه ؟ ثم يوجه هذا الطلب المفحم لأولئك العذال ليكونوا يائسين من مطالبهم :

فإن كنتم ترجون أن يذهب الهوى يقينا ونروى بالتراب فننقعا

فردوا هبوب الريح أو غيروا الجوى

إذا حل ألواذ الحشا متمنعا[1]

نعم إذا كنتم ترغبون فى زوال الحب من قلب الصمة فردوا هبوب الريح! أليس هذا تعجيزاً لأولئك العذال ؟ وهل هناك أحد يستطيع صرف الريح عن مجراها ، ثم يعقب على هؤلاء العذال بقوله : أو غيروا الجوى إذا لاذ فى ثنايا الحشا ، وإذا كان الجوى شيئا معنويا فمن يستطيع نزعه وخصوصا (إذا حل ألواذ الحشا متمنعا) لقد استطاع الشاعر أن يجسم لنا أن الحب عندما يتمنع على أولئك الذين يريدون إخراجه ، وهل الحب يتمنع أم أن نفس الشاعر هى التى تريد بقاءه ؟ ولكن فى هذا الشطر الأخير من البيت الثانى نقف على مدى تمكن هذا الحب من نفس الشاعر ، بحيث لا يستطيع أحد إخراجه ، مهما كان هذا الإنسان قادرا على معالجة النفس البشرية ، ويحاول الشاعر أن يعرض حبه على أولئك العذال ، وأن يشرح لهم الأسباب التى أودت به إلى هذه الحال :

خليلى فى طيا أقلا ملامتى فقد بخلت طيا علينا وضنت[2]

أليس بخل طيا هو سبب هذه المتاعب المتلاحقة، وإذا كان الشاعر قد أضناه الحب فإنه يتوجه إلى أصحابه يطلب المساعدة :

(١) الأمالى ١/١٩٠ .

(٢) التعليقات والنوادر ورقة ٢٧ .

خليلى فى طيا أعينا أخا كما فقد بخلت طيا علينا وضنت[١]

أليس من الجدى المواساة والعون بدل اللوم والعذل ؟ إن اللوم لا يأتى بنتيجة فمن الأجدر بالأخ أن يساعد أخاه فى محنته ، ويترك العذل واللوم ألسنا نحس بأن نفس الشاعر قد وصلت إلى درجة قصوى من الضعف تتمثل فى قوله : أعينا أخا كما ، نعم أعيناه بالأمانى الحلوة وبالكلام المسلى ، لا باللوم العنيف الذى لا يخدم أى غرض كان . ويقرر الشاعر بعد ذلك التجرد من هذه الحياة التى لا تجمعه مع أحبابه ، هذه الحياة التى بخلت عليه بجمع الشمل والدنو من الحبيب ، يسلم عليها صاحبنا ، ويتخلى عنها إذا كانت شقاء مستمرا وألما متصلا :

سلام على الدنيا فما هى راحة إذا لم يكن شملى وشملكم معا
ولا مرحبا بالربع لستم حلوله ولو كان مخضل الجوانب ممرعا
فماء بلا مرعى ومرعى بغيرما وحيث أرى ماء ومرعى فمسبعا[٢]

وهذه هى نظرة الصمة إلى هذه الحياة التى لا تضم المحبوب ، فالحياة أنس ، وقرب ، فهو لا يرحب بالربع مهما كان هذا الربع من الخصب ، وإنما يرحب به إذا كان يجمع الأحباب . وفيما يبدو أن الصمة جره طول تفكيره فى هذه الحياة إلى نوع من الفلسفة، فهو يقول : إذا نظرت إلى هذه الحياة فإننى أتعجب ، نجد الماء فلا نجد حوله إلا الأرض التى لا تنبت ، ونجد المرعى الجيد فلا نجد حوله الماء ، وإذا وجدت الماء والمرعى فإن هناك الأسد الذى يقترب من هذه المنطقة ، أليست غريبة الدنيا فى تناقضها ! ولكن ما الذى جر صاحبنا

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٢٧ .

(٢) مجموعة أدب ورقة ١٤ .

إلى هذه الفلسفة ؟ إنه فكر طويلا فى هذا الكون المتناقض ، إنسان يحب فيبتعد عن حبيبته ، وبالتالى نجد محبوبته هذه ترغم على إنسان لايحس نحوها بأى حب . أليست هذه تناقضات ظاهرة ؟ ولكن الشاعر يقف هنا ولا يتمادى فى تفكيره فلا يعلل ويبين الأسباب ، وإنما هى نظرات دفعه إليها حبه وتفكيره فى محبوبته ريا . ويعقب على هذه النظرة الفلسفية بقسم أخرجه فؤاده المقروح ونفسه الملتاعة :

لعمرى لقد نادى منادى فراقنا   بتشتيتنا فى كل واد فأسمعا
كأنا خلقنا للنوى وكأنما   حرام على الأيام أن نتجمعا[1]

لقد أقسم شاعرنا هذا القسم العظيم بأن منادى الفراق قد نادى بالفراق بينه وبين ريا ، وقد صاح هذا المنادى فى كل واد ، ولم يقتصر على الصياح وإنما أسمع الأحياء التى تسكن تلك الأودية ، إنها مقدرة الشاعر العجيبة ، لقد نادى المنادى ، ثم أعقبه بالتعميم ثم إيصال الصوت إلى ذلك الإنسان الذى طلب منه السماع ، وإذا كان منادى الفراق قد أسمع الناس بتشتيتنا فهل كتب عليها هذا الشقاء مقدما (كأنا خلقنا للنوى) ولماذا يكتب علينا ؟ وهل الأيام تكاثفت وتعاونت حتى يتم بيننا الفراق ؟ إنها لأشياء عجيبة لا يجد لها الشاعر جوابا ولكن يكفينا نحن أن نحس بلوعة الحزن المملوءة بالدهشة والتعجب ، والتى نحس فيها بالألم المر وخصوصا فى قوله (وكأنما حرام على الأيام أن نتجمعا) فهل هناك تعبير عن لوعة الفراق أقوى من هذا التعبير ؟ لا أظن ذلك ! لقد استطاع شاعرنا أن يعبر عن معناه أجود تعبير وأن يترك فى نفس القارئ والسامع أثرا لايزول ، ورنة حزن لايذهب صداها مهما طالت الأيام.

(١) مجموعة أدب ورقة ١٤ .

ويحمل شاعرنا على هذا الدهر الذى أصر على تشتيت الشمل ، والذى دأب دائما على التفريق بين المحبين :

أرى الدهر بالتفريق والبين مولعا ... وللجمع ما بين المحبين آبيا
فأف عليه من زمان كأننى ... خلقت وإياه نطيل التعاديا[1]

وبعد أن حمل على هذا الدهر الذى آلى على نفسه أن يكون مفرقا وأن يبعد ما بين الأحباب ، أراد أن يبين أن حبه قد وصل إلى نهايته وأن قلبه لايستطيع أن يحتمل أكثر مما هو فيه :

وإن كنت قد حملت من ساكن الحمى ... مكذبة وعدى صدوقا وعيدها
ولو طلبت منى على ذاك فى الهوى ... زيادة حب لم أجد ما أزيدها[2]

لقد أوضح لنا حبه فى البيت الثانى فقال (لم أجد ما أزيدها) لقد أعطاها كل ما يملك من الحب ، ولو طلبت منه الزيادة فإنه لن يجد أكثر من ذلك الحب الذى يختلج بين جوانحه ، إن هذا البيت ليدل على صراحة شاعرنا فى حبه وعلى صدقه فى هذا الحب ، وهل هناك أكثر من هذه الصراحة : (لم أجد ما أزيدها) ومن أين لشاعرنا زيادة الحب ؟ لقد أودع ريا قلبه بما يشتمل عليه هذا القلب من حب كثير ووجد كبير . ولكن هذا القلب الذى منح ريا هذا الحب نجده يقول فى طور من أطواره :

وكنت أرى نجدا وريا من الهوى ... فما من هوائى اليوم ريا ولا نجد

---

(١) تزيين الأسواق ٩١ .

(٢) الأشباه والنظائر ٢/١٤٠ .

فدعنى من ريا ونجد كليهما ولكننى غاد إذا ما غدا الجند[1]

هل تغير قلب الصمة حتى يقول (فدعنى من ريا) ؟ وهل استطاع هذا القلب أن يقول ذلك ؟ هل تحول قلب الصمة إلى قلب جندى يمضى فى سبيله وينسى ماضيه ، أم أنها ترهات النفس تحاول أن تتخلص مما هى فيه فلا تفتأ أن تعود مرة ثانية ! إن قلب الصمة إن طاوع لسانه فى هذين البيتين فإنه لا يقوى على الاستمرار ، وأنى له أن يبعد عن ذكر محبوبته ريا ! لن يصبر عن ذكر هذه المحبوبة وإن قسا قلبه فى بعض الأحيان عليها . إن قلب الصمة وإن قال ذلك لابد أن يعود إلى حبه ، لقد تذكر الشاعر محبوبته فى رمقه الأخير ورددها مرارا قبل وفاته ، وهذا يدل على استمرار ذلك الحب ، لقد كان الشاعر يتغنى بهذين البيتين :

تعز بصبر لاوجدك لاترى بشام الحمى أخرى الليالى الغوابر
كأن فؤادى من تذكره الحمى وأهل الحمى يهفو به ريش طائر[2]

لقد لازم حب ريا شاعرنا حتى رمقه الأخير ، فكان يتذكر موطن ريا وأيامه الماضية ، ويتسلى بالترنم بتلك الأبيات ، فهو وإن مر عليه وقت قال فيه (فدعنى من ريا) إلا أنه رجع سريعا إلى حبه ولازمه هذا الحب حتى قضى عليه .

وإذا كنا قد تعرفنا فيما تقدم على حب الصمة لمحبوبته ريا ، ووقفنا على ما يختلج فى نفس الشاعر تجاه محبوبته ، فهل نستطيع التعرف على محبوبة شاعرنا ؟ ولو من خلال نظرته هو ، إن المحب سيصف محبوبه بكل وصف

(١) معجم البلدان (ط السعادة) ٥/٨٣ .
(٢) الأغانى ٦/٤ .

جميل وبكل عبارة حلوة ، لأنه يرى هذا الحبيب أجمل شيء فى الكون فقوامه أحسن قوام ، وجيده أحسن جيد . ولولا أن صورة المحبوب قد طغت على كل صورة أخرى لما استولت على فؤاد المحب ، وريا محبوبة الشاعر لم يشتهر أمرها مثلما اشتهرت بثينة أو عزة حتى يصفها الواصفون ، وحتى ينقل خبرها من لم يتيمه الحب ، إننا نعرف حق المعرفة أن ذلك الذى قد أعماه الحب لا يرى الشىء على صورته الأساسية ، ولكننا مجبرون على هذا الشىء لأن المصادر تشح علينا بوصف محبوبة الشاعر . ومن هنا سنتعرف على هذه المحبوبة من خلال شعر محبها ، فهو يقول فى وصفها :

لها فخذا بختية بخــترية ... وســاق إذا قامت عليها اتمهلت
وخصران دقا فى اعتــدال ومتنة ... كمتنة مصقول من الهند سلت
وعينا أحم المدريين ومضحك ... إذا ما جرت فيه المساويك زلت
وداج على اللبات وحف كأنه ... عناقيد جون من كروم تدلت[1]

هذه هى بعض الملامح السريعة التى يكمن فيها جمال ريا ، ففخذاها تشبه أفخاذ الإبل البختية المشهورة باستدارتها وامتلائها ، أما ساق ريا فقد أعطى من اعتدال القامة ما جعل الجسم ينتصب عليه فى روعة وجمال ، أما خصر ريا فقد دق فى اعتدال حتى أعطى المتن بهاء ورونقا، فالشاعر يصف المتن فى امتشاقه وصفائه بسيوف الهند عندما تجرد ، أما عينا ريا فهما يشبهان عينى الظبى ، وأما ابتسامة ريا فهى تبرز لنا أسنانا تزل عنها المساويك لأنها متراصة فى انتظام ، وأما شعرها فهو كالليل الداجى شديد السواد ، وقد انحدر هذا الشعر على اللبات ، حتى إن من يراه يظنه عناقيد من العنب وقد تدلت على أغصانها .

ويقول بعد ذلك :

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٢٨ .

وطيا أروج الجيب مهضومة الحشا　　كمزنة صيف هجــــرت فاستهلت
إذا جلست بين الغــــوانى عشية　　على أى حال عاطـــلا أو تحلت
سمت نحــــوها الأبصار أول وهلة　　بَدِيا وعادت نحــــوها فثنت(١)

ويصف الشاعر محبوبته فى هذه الأبيات بأنها أروج الجيب تنبعث منها الرائحة الطيبة وأنها مهضومة الحشا فيبدو وسطها دقيقا ، وهذا شىء مرغوب عند العرب ، ويقول : إن ريا على درجة كبيرة من الجمال ، ويعبر عن هذا بأن الأنظار تنصرف نحوها كلما وجدت فى مكان ، وليست هذه النظرة نظرة سريعة بل إن الأنظار تأخذ فى تفحصها وإعادة النظر فيها ، ويصف لنا الشاعر عينى محبوبته وجيدها فى عينيه فيقول :

تريك غــــداة البين مقلة شادن　　وجيد غــــزال فى القلائد أتلعا(٢)

ففى هذا البيت نقف على وصف جديد لعينى محبوبته وهو أن هاتين العينين تشبهان عينى الظبى الصغير ، أما جيد ريا فإنه يشبه جيد الغزال فى طوله واعتداله. هذه هى الصفات التى وصف بها الشاعر محبوبته ، ومن خلال هذه الصفات تعرفنا على بعض ملامح ريا .

والآن وبعد أن استعرضنا شعر الصمة الغزلى نرى أن هذا الشعر ينقسم إلى قسمين قسم يعبر عن الألم النفسى والالتياع الذى يحس به الصمة تجاه محبوبته وهو أكثر غزله ، فقد جرى فيه على طريقة الشعراء العذريين من بث الحزن وشرح خفايا النفس تجاه هذه المحبوبة وحدها ، والصمة سارفى أكثر غزله على هذه الطريقة . فهو دائما يعبر عن الآلام التى يحس بها تجاه محبوبته

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٢٨ .

(٢) مجموعة أدب ورقة ١٤ .

بغض النظر عن جمال هذه المحبوبة ، فهو يحس بلوعة نحو هذه المرأة وحدها وقد وقف شعره عليها طيلة حياته وحتى آخر رمق ، فهو يتذكرها فى نزعه الأخير ، ومن هنا نعتبر الصمة من شعراء الحب العذرى ، لأنه فى حبه اربا مثل جميل وكثير وقيس بن ذريح . لقد حاول الصمة أن ينسى محبوبته ولكنه لم يستطع ، لقد وفى بحبه وبقى ثابتا على هذا الحب ، لم تغيره الأيام ، ولم تؤثر فيه السنون والأعوام . والقسم الثانى من هذا الشعر الغزلى هو هذا الشعر الذى يصف الجيد بأنه أتلع والخصر بأنه نحيل والعين بأنها عين ظبى والساق بأنه قويم ومستقيم ، وما إلى ذلك من هذه الصفات التى نجدها عند امرئ القيس وعمر بن أبى ربيعة ولكن هذا الشعر الغزلى الذى يسير على هذه الطريقة إنما هو قليل ولا يقارن بشعر الغزل الذى تحدثنا عنه ، ولكن وجود مثل هذا الشعر يجعلنا نقف وقفة قصيرة تجاه غزل الصمة وحبه . نحن لا نشك فى صدق الصمة فى حبه ، فإذا كان صادقا فى هذا الحب فلماذا يوجد فى شعره هذا الشعر الذى يهتم بالصفات الجسمية ؟ هل الصمة أحب محبوبته من أجل هذه الصفات الجسمية ؟ لا نظن ذلك لأن الذى يحب من أجل الجمال الخارجى لا يدوم حبه وإنما يدوم حب ذلك الإنسان الذى انغرس فى قلبه حب تلك المرأة دون ما سبب ظاهر يلجأ إليه فى تعليل حبه ، وحب الصمة نجزم بأنه صادق كل الصدق ، أما وجود مثل هذه الأبيات عند الشاعر فليس غريبا ، فمثلها يوجد فى شعر جميل ، وفى شعر كثير . ولكن لو أردنا أن نعلل ذلك فإن تعليله ظاهر وجلى ، فالشاعر أطال التغنى بمحبوبته حتى كثرت عليه الأسئلة : ولماذا هذا الحب ؟ ألا تنصرف عن هذه المرأة ؟ فالنساء كثيرات . مثل هذه الأسئلة توجه كثيرا إلى المحبين ، والحب لا يستطيع أن ينقل مشاعره إلى أولئك حتى يقفوا على حقيقة

مايعانى ، إنه لو أراد أن يجيب إجابة حقيقية لقال إننى أحب ريا وكفى ، ولكن هؤلاء يحتاجون إلى إنسان يقنعهم ، فيضطر الشاعر إلى ذكر هذه الصفات الجسمية التى إذا ذكرت عند هؤلاء عذروا الشاعر على حبه ، أما إذا لم يأت بمثل هذه الصفات فإنه لايستطيع إقناعهم . ومن شعراء الغزل العفيف أيضا :

حبيب بن يزيد :

لقد تغنى حبيب بن يزيد بمحبوبته جمل طيلة حياته ، فهو لم يذكر أى امرأة أخرى فى شعره ، وهذا يدل على إخلاصه لهذه المحبوبة ، لقد تردد اسم جمل فى قصائد هذا الشاعر ، يذكرها إن لاح برق أمام عينيه ، ويذكرها إن طال به السفر وبعدت عليه الشقة ، وحتى عند البيت الحرام نجد هذا الشاعر لاينسى محبوبته جمل ، إنه يتمنى الاجتماع بهذه المحبوبة ولكنه يجد ذلك بعيدا ، فهو يصف حاله مع محبوبته بذلك الرجل المعدم الذى رأى برقا يلوح فتمنى أن يكون ذلك البرق من نصيب أرضه ، ولكن أنى يكون له ذلك لقد رأى هذا الغيث يتجه إلى أرض أخرى وتبقى أرضه المجدبة على جدبها ، وهكذا حال شاعرنا مع محبوبته جمل يقول :

أرانى من جمل كراجى مخيـلة ... حياها لقـوم نازحين حروب
أبى صبية تأوى عليه شـوارف ... خشوك كراء كلهن شسوب
إذا ما تضاغوا فابتغى الدر لم يكن ... لهم بأناصى الشق حـلوب
فوجدى بجمل وجـد ذاك ببارق ... مخيل تلقته صبـا وجنوب
يرى برقها يأتج والليل مظـلم ... فشب إليه من هـواه شبوب
تهار به أرض وكان لغـيرها ... وإن التى هيرت به لجـدوب[١]

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٢٦ .

وإذا كان الشاعر لا يستطيع الوصول إلى هذه المحبوبة ، فلماذا لا ينصرف عنها ؟ لقد حاول ذلك مرات متعددة ، ولكن عينيه لا تساعدانه على ذلك، فهما يجودان بالدمع كلما حاول كتمان ذلك الهوى الذى يتأجج بين جوانحه، يقول فى ذلك :

قضتك جديد الصرم جمل ولم تكن إذا داينت يقضى وفاء غريمها
كتمت هوى جمل ليخفى فبينت به للعدا عين طويل سجومها
كشنة ملقاح إن الماء بلها أرش بما فيها عليها هزومها
رعى طرفها الواشون حتى تبينوا هواها وقد يقضى على النفس شومها[1]

إن هذا الشاعر لا يستطيع كتمان حبه لأن هذا الحب قد ملك عليه وجدانه ويا ليت هذا الحب يضعف مع مرور الأيام، ولكنه بالعكس من ذلك، إنه يزداد قوة وصلابة ؛ لقد سأل أحد رفاق السفر شاعرنا بقوله : هل قطعت علاقتك بجمل ؟ فأجابه الشاعر : وكيف يكون ذلك وحبها يزداد يوما بعد يوم ؟

يقول علىّ والمطى كأنه بنا يوم برقاء الدخول جهام
قطعت القوى من حبل جمل فأصبحت
كأن لم يكن منها عليك ذمام
وكيف وطول النأى يزرع حبها كما زرعت حرث المرقّ رهام
يزيد كما زاد الهلال رأيته على خير قدر طالعا لتمام[2]

لقد ثبت الشاعر على حب جمل وانصرف عن غيرها، فهو لا يريد إلا هذه المرأة ، لقد حاولت بعض النساء أن تغريه بجمالها وتصرفه عن محبوبته ، ولكن

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٣٩ .

(٢) المصدر السابق ورقة ٣٩ .

حب جمل لا يمكن أن يزول ، لقد قضى شاعرنا لمحبوبته بالجمال كما نجد فى هذه الأبيـــات :

تعرض نسوة بقصور حجر مليحـــات التخلب والدلال
وقلن العامرى قضى لجمل أراه الله كَفَّةً فى غلال
أليس الله يعلم أن قلبى لقصماء الثنيــــة غير قال
لَربات الشمال أودُّ عندى وأحلى من مزعفرة السبال(١)

إن هذا القلب المنصرف إلى جمل لن تخدعه تلك النساء الحضريات بتخلبهن ودلالهن ، فالشاعر يميل إلى ربات الشمال لأن جملا منهن ولا يميل إلى الحضريات ذوات الثياب المسبلة والتى قد زينت بالزعفران ، وإذا كانت قلوب البشر عند البيت العتيق تلهج بالدعاء بالجنة وتنسى الدنيا وما فيها ، فإن قلب الشاعر لن ينسى هذه المحبوبة حتى فى هذا الموقف العظيم يقول :

ولما رأيت الهاتفين ورفعت إلى الله بين الأخشبين السوالف
دعوت بأن ياذا المعارج والعلا أرى كل ذى بث بك اليوم هاتف
أثبنى بإحسان جمال فإننى لك اليوم عان فى العبادة كالف(٢)

لقد لازم ذلك الحب قلب شاعرنا ، فهو لا ينسى محبوبته أبدا ، لقد دعا الله عند البيت الحرام أن يجمعه بهذه المحبوبة لأنها أغلى شيء عنده فى هذا الوجود لقد أحب الشاعر محبوبته هذه وهى لا تزال صغيرة ثم استمر هذا الحب على مر الأيام فأحبها أم صبيان ، لقد تمنى أن يعمى الناس فلا يرونه عندما يكلم هـــذه المحبوبة ، يقول فى ذلك :

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٣١ .
(٢) المصدر السابق ورقة ٤٤ .

إنى بليت بجمل وهى ناشئة ... ثم ابتليت بجمل أم صبيان
إنى تمنيت ممـــا لقيت بها ... حتى تمنيت أن الناس عميان
تعمى قلوبهم عنـــا وأعينهم ... وأنهم بعد ما يعمون صمـــان
حتى أكلم جملا لا ينغصنى ... تكليمها آخر الأيام إنســـان
حتى أداوى قلبا هائما صديا ... كما يداوى ببرد الماء حران[١]

وإذا كان حبيب بن يزيد قد سكب الدموع على محبوبته جمل فإن مريزيق الغوانى قد أضناه البكاء على محبوبته سعدى ، إذ الشاعر الثالث من شعراء الغزل العفيف أيضاً :

مريزيق الغوانى :

لقد أخلص هذا الشاعر لمحبوبته سعدى وتغنى باسمها طيلة حياته ، ولكن هل يحصل منها على شىء ؟ إنها لا تفى بدين ، وإن المؤمل منها بشىء كمن يحاول القبض على الماء أو الشرب من السراب ، لقد وصف الشاعر حاله مع محبوبته هذه بأنه يشبه ذلك الإنسان الذى يملك إبلا وغنما ، ولكنه لا يجد ما يطعم به هذه الأنعام فرأى برقا يلوح ففرح به أى فرح ، ولكن لم تتم تلك الفرحة ، لقد علم أن ذلك البرق إنما هو خلب ليس فيه مطر ، يقول شاعرنا :

جزى الله سعدى من خليل ملامة ... كما راح راجى نيل سعدى مخيبا
تبينت من سعدى الخريمة بعدما ... ثبت زمانا طامعا أن أثوبا
فأصبحت من أديانها مثل قابض ... على المـاء أو راج من الآل مشربا
وكنت كذى مال عجاف وصبية ... مضى عنه أنواء الربيع وأجدبا
يرى بارقا يختص أعجب أرضه ... إليه فلما بات بالبرق معجبا

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٣١ .

أتاه خبير كان يعـــلم أنه بمنّ البرق قد كان خلبا[١]

وشاعرنا كثير البـكاء على محبوبته حتى إن هذا البـكاء قد أثر على عينيه ؛ فإذا سألته العاذلة عن سبب قبح عينيه فى دهاء ومكر أجابها بصراحة متناهية بأن قبح عينيه إنما هو من البـكاء المستمر على سعدى ، يقول :

وقائلة لى ما لعينيك هكذا جفونهما مكحولة بالقذى تندى

فقلت لها ما راب عينى من قذى ولا رمد إلا البـكاء على سعدى

فلا تعجبى من قبح عينى ها هنا (. . .) العبرات أربعة جردا

جمادى وشهر الصوم حتى كأنما بى الـل أو صادفت من خيبر وردا[٢]

وإذا ألحت هذه العاذلة فى لومه وعنفته على حب سعدى حاول أن يبين لتلك العاذلة أن هذا الحب متمكن من قلبه ، فإذا كان الصادى الذى قد أخذ منه العطش مأخذه سينصرف عن الماء الصافى عندما يراه فإننى سأنصرف عن حب سعدى ، إن أسنان سعدى وثغرها أكثر حبا إلى من حب العطشان للماء الصافى الذى يراه أمام عينيه ، يقول الشاعر فى ذلك :

وعاذلة فى حب سعـــدى تبرعت بـــلوم كما يبرى عن العظم عارقه

فما نطفة ممـا قرى المزن فى صفـا منيع الذرا تردى الوعـــول حوالقه

مرتها الجنوب واستظلت ووفقت لحران قد أعيت عليه متاوقه

بأطيب من أنياب سعدى اختلاسة وقد غبق الغـــيران بالنوم غابقه

وما ذاك إلا الظن لاعلم لى به هل الله ممتن على فذائقـــــه[٣]

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٢٩ .

(٢) المصدر السابق ورقة ٢١٨ .

(٣) المصدر السـابق ٣١ .

لقد لازم حب سعدى شاعرنا حتى آخر حياته ، فهو تارة يحاول إخفاء ذلك الحب ولكن عينيه لا يساعدانه على ذلك ، إن زمن الحب قد ولى وقته ، وإن الصبا قد تصرمت أيامه، ولكن هل يزول هذا الحب؟ لا أظن ذلك؛ فإذا كان جبل أبان سيتزحزح من مكانه فإن حب سعدى سيزول ، ويقول شاعرنا فى ذلك :

كتمت هوى سعدى ليخفى فبينت … به للعدا عين سريع سجومها
كشنة ملتاح إذا الماء بلهـا … أرشت بما فيها عليه هزومها
رعى طرفها الواشون حتى تبينوا … هواها وقد يعدى على النفس شومها
قذاها القواذى بكرة وعشية … ويجرى على أيدى القواذى حميمها
على أن لى من مطلع الشمس نظرة … أوى الله لى من طـول ما أستديمها
وأصبحت ودعت الصبا غـير أننى … كهيماء يعدى بعد حول شميمها
فيا أبانا من لا يغـير وده … دبيب العدا أقوالها ونميمها
ومن يبتدئ فى الوصل أكرم شيمة … يكون من الأخلاق ثم يديمها
إذا ما العصا كانت على كل صرعة … تزيد اعوجاجا مل منها مقيمها(١)

ومن شعراء الغزل العفيف أيضا :

فائد بن منذر القشيرى الذى يقول :

هل الوجد إلا أن قلبى لو دنا … من الجر قيد الرمح لاحترق الجمر
فإن كنت مطبوبا فلا زلت هكذا … وإن كنت مسحورا فلا برأ السحر
أفى الحق أنى مغرم بك هائم … وأنك لا خل هـواك ولا خمر(٢)

ومنهم ذو الرحل لقمان بن توبة القشيرى الذى يقول فى محبوبته أم عاصم:

---

(١) التعليقات والنوادر ١٩٧ .

(٢) شرح الشواهد للعينى ٣/٨١ .

خليلى سيرا فاسألا أم عاصم لنا عن بقيات العهود القدائم
ألم تعلمى يا عمرك الله أننى بذكرك هداء على النأى هائم
وإنى على الهجران يا أم عاصم أدوم على عهد الخليل المكارم
إذا السر عندى من خليل تضمنت به النفس لم يعلم به الدهر عالم
ترى بين أحناء الفؤاد وضمه
إلى القلب أحناء الضلوع الكواتم[١]

ومنهم بشير بن عطى العبيدى الذى لامه العذال فى حبه لأم واهب ، ولكن هل يطيع العذال ؟ ! إنه يرتاح لقربه من هذه المحبوبة بالرغم من قلة نوالها ، يقول شاعرنا فى محبوبته :

لقد لامنى الواشون فى أم واهب وألوم من نفسى أرى من يلومها
أهش لقرب الدار من أم واهب وإن قربت لم يقض شيئا غريمها
ألا إن قرب الدار أجدر أن ترى خليلك يوما نظرة يستديمها[٢]

ومنهم مصعب بن الطفيل القشيرى الذى طلق زوجته عالية ، ولكنه بعد هذا الطلاق اشتد شوقه إليها ، يقول فى ذلك :

أما تنسيك عالية الليالى وإن بعدت ولا ما تستفيد
إذا ما أهل أكمة ذدت عنهم قلوصى ذادهم ما لاأذود
قواف كالجهام مشردات تطالع أهل أكمة من بعيد[٣]

وقد أحب الشاعر أكمة البلد الذى تسكنه عالية ، فقال فى ذلك :

(١) الزهرة ٣١٣ .

(٢) التعليقات والنوادر ورقة ٢٦ .

(٣) معجم البلدان ١/٢٤١ .

كأنى لجعدى إذا كان أهله ... بأكمة من دون الرفاق خليل
فإن التفاتى نحو أكمة كلما ... غدا الشرق فى أعلامها لطويل[١]

وهناك شعراء ورد فى أشعارهم أكثر من محبوبة واحدة، مع أننا نحس فى هذا الشعر بالعفة والحب الخالص . ومن هؤلاء :

الأقرع بن معاذ القشيرى الذى يقول فى محبوبته أم بكر :

يقر بعينى أن أرى ضوء مزنة ... يمانية أو أن تهب جنوب
لقد شغفتنى أم بكر وبغضت ... إلى نساء ما لهن ذنوب
أراك من الضرب الذى يجمع الهوى ... ودونك نسوان لهن ضروب
وقد كنت قبل اليوم أحسب أننى ... ذلول بأيام الفراق أديب[٢]

ويقول هذا الشاعر فى محبوبة أخرى اسمها ليلى :

ألا أيها الواشى بليلى ألا ترى ... إلى من تشى أو من به جئت واشيا
لعمر الذى لم يرض حتى أطيعه ... بليلى إذاً لا يصبح الدهر راضيا
إذا نحن رمنا هجرها ضم حبها ... صميم الحشا ضم الجناح الخوافيا[٣]

وقد تكون ليلى هذه هى أم بكر ؛ لأننا نجد فى غزل الأقرع لوعة وحرقة، ونستبعد أن يكون ذلك الحب لنساء متعددات ، فالشاعر يتهالك على محبوبته ويشفق عليها كما نجد فى هذه الأبيات :

أقـــول لمفت ذات يوم لقيته ... بمـكة والأنضاء ملقى رحالها
بحقك أخبرنى أما تأثم التى ... أضر بجسمى منذ مر خيالها

(١) معجم البلدان ٢٤١/١ .
(٢) الأمالى ٣٩/٢ .
(٣) ذيل الأمالى ١٠٣ .

فقال بلى والله أو سيصيبها ... من الله بلوى فى الزمان تنالها
فقلت ولم أملك سوابق عبرة ... سريع على جيب القميص انهمالها
عفا الله عنها كل ذنب ولقيت ... مناها وإن كانت قليلا نوالها(١)

والشاعر من الذين اكتووا بنار الحب ، فهو لا يلوم أحدا فى حبه، وكيف يلوم المحبين وهو قد جرب لواعج الشوق ، يقول فى ذلك :

ولا خير فى الدنيا إذا أنت لم تزر ... حبيبا ولم يطرب إليك حبيب
وأكببت إكباب الدنىء وباعدت ... لك النفس حاجات وهن قريب
سقيت دم الحيات إن لمت بعدها ... حبيبا ولا عنفته بحبيب(٢)

ويقول فى وصف محبوبته :

سلام على من لا يمل كلامـــــــه ... وإن عاشرته النفس عصرا إلى عصر
فما الشمس وافت يوم دجن فأشرقت ... ولا البدر وافى أسعدا ليلة البدر
بأحسن منها أو تزيد ملاحة ... على ذاك أو راءى المحب فما أدرى(٣)

ومن هؤلاء الذين لم يقتصروا على محبوبة واحدة ميمون بن عامر القشيرى الذى يقول فى محبوبته خيرة :

فياخير لا أنساك مالاح بارق ... وما نسمت ريح صبا وجنوب
وما حج بيت الله فتيان شقة ... بهم شعث مما اقوا وشحوب
وما هدهدت ورقاء فى ساق سدرة ... لها فنن غض النبات رطيب(٤)

---

(١) المستطرف ٢/١٨٢ .

(٢) المجتنى ٦٥ .

(٣) لباب الآداب ٤١٠ .

(٤) التعليقات والنوادر ورقة ٣٤ .

فهذه الأبيات تعبر عن الحب الخالص والوفاء التام لهذه المحبوبة، ولكننا نجد هذا الشاعر الذى أخلص لهذه المحبوبة يذكر امرأة أخرى اسمها أسماء فى هذه الأبيات :

فما شادن يـلوى إلى عرفجاتـه ... له مكنس فى فيهن كنين
مليح المآقى أحور العين فارقت ... به إلفةٌ عجلى القيام شنون
تظل تراعيه بعين شفيقة ... وتجعل طرف العين حيث يكون
بأملح من أسماء جيدا ومقلة ... على إذاً يا عاذلىّ يـ..ـين
عسى الله يا أسماء أن تعقبى الهوى ... ويقضى لبعض الطالبين ديون
وتمرع أرض طير الجدب أهلها ... وتخضر من غبر الغضاة غصون[١]

فنحن لا نشك فى إخلاص الشاعر لمحبوبته الأولى خيرة ، أما أسماء هذه فقد استهوت شاعرنا بعيونها الجميلة وجيدها المشبه لجيد الغزال ، فقال فيها هذه الأبيات على إثر هذا الإعجاب العارض .

هذا هو شعر الغزل عند بنى قشير ، غزل عابث يتميز بألفاظه الغزلية الجذابة التى قلما نجدها عند شعراء القبائل الأخرى ، وغزل يتميز بالعفة والإخلاص لمحبوبة واحدة ، وعندما استعرضنا هذين النوعين من الغزل أكثرنا من النماذج الشعرية الغزلية حتى نقف على حقيقة هذا الشعر الغزلى الذى يعد من أجمل ما قال العرب فى هذا الفن فى العصر الجاهلى والإسلامى[٢] .

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٣٧ .

(٢) الغزل الجاهلى وصف حسى يتناول جمال المرأة الجسمى غالبا ويذكر أجزاءه ، كما يذكر أجزاء الفرس والناقة والحيوان الوحشى، أما فى الإسلام فقد استحال هذا الفن بمقتضيات العصر الجديد ، فوجد فيه وبخاصة عند البدو =

٢ ـ الوصف :

الوصف من الفنون الشعرية التى وجدت منذ أن عرف الشعر العربى فى العصر الجاهلى ، ذلك أن الشاعر العربى نظر إلى ما حوله من حيوان ونبات وسحاب وبرق وغير ذلك مما يحيط به فعمد إلى تصوير ذلك فى وصف بديع وتصوير دقيق ، وقد برع الشعراء الجاهليون فى فنون الوصف حيث نجد طرفة يصف الناقة فيوفق فى وصفها أكثر من غيره ، ونجد صورة دقيقة للذئاب التى طواها الجوع فى شعر الشنفرى الأزدى ، كما نجد صورة رائعة للبقرة الوحشية المطاردة فى شعر لبيد . أما امرؤ القيس ، فقد وصف الليل ونجومه وطوله . وقد وصف زهير الظعائن وما يوضع عليها من زينة كما وصف مشيها وحجب الأفق لها وقد أبدع فى ذلك أيما أبداع ، وهذه الصور الشعرية التى نجدها فى الشعر الجاهلى هى الصور التى نجدها فى الشعر الأموى ذلك أن التقاليد الشعرية فى العصر الأموى لم تختلف كثيرا عما ألف فى العصر الجاهلى وإن اختلفت الحياة فى العصر الأموى عن الحياة فى العصر الجاهلى .

وإذا نظرنا إلى الوصف فى العصر الجاهلى وفى العصر الأموى وجدناه غير مقصود لذاته ، وإنما يأتى عرضا ضمن قصيدة تعبر عن غرض آخر ، ولكن إذا لم نجد الوصف مستقلا فى قصائد منفردة فهل معنى ذلك أنه لا يوجد؟ الوصف موجود وإن لم يكن غرضا مقصودا مثل الغزل أو الفخر أو المديح ، لأن الشاعر لا يستطيع التعبير عن هذه الأغراض فى الغالب إلا عن طريق الوصف .

= الغزل الصوفى أو النفسى الذى يقصد إلى جمال النفس وهجر المرأة وصدها والشكوى منها . وقد تكونت مدارس بعد كالعذريين والواقعيين ، وغير ذلك كالغزل الصناعى .

وشعراء بنى قشير الذين عاشوا فى العصر الجاهلى والأموى عبروا عن الحياة التى يعيشونها فى صور رائعة ، نجدها فى شعر يزيد بن الطثرية ، والصمة بن عبدالله القشيرى ، وبهيج بن سرور ، ومزيد بن حارث ، وحبيب القشيرى ، ومريزيق النوانى ، وميمون بن عامر ، وزينب بنت الطثرية . فقد وصف هؤلاء الناقة والحوض ، ووصفوا المرأة والدموع ، كما وصفوا الرجل الذى تتمثل فيه الرجولية ، وقد وصفوا أيضا الرحيل وغراب البين ، كما وصفوا القطا ، وقد وصفوا أيضا الدنيا وقصر اليوم ، كما وصف بعض شعراء بنى قشير النخيل . وإذا كانت الناقة هى رفيقة العربى فى أسفاره فقد وصفها الشعراء أدق الوصف ؛ فهذا أحد بنى لبينى يصف ناقته بالصبر على الأسفار والسير فى الليالى المظلمة وإبعادها الوحوش عنها كما أنها ترمى بالحجارة بعيدا عنها وذلك لخفة سيرها ، يقول :

فكل بعير أحسن الناس نعته وآخر لم ينعت فداء اضيبرا
جمالية لو يجعل السيف غرضها على حده لاستكبرت أن تضورا
فراحت رواحا من زرود فنازعت عبابة جلباب من الليل أخضرا
فكم نخشت بالليل من وحش تلعة وسافت عديدا بالمشافر أكدرا
كأن حصى المعزاء تحت أظلها إذا ألحقته رجلها حذف أعسرا
فما إبل تنوينها بقريبة ترود بسحى أو ترود تحمرا
أو العمق أو أكنافه من عريقة أو الحزم أو ترعى جناحا فصمعرا[1]

ويصف الصمة ناقته فى سفره عندما اعتراه خيال محبوبته ، وهذه الناقة تتدفق نشاطا وحيوية ، فإذا أخذت تجوب الفيافى والقفار فإن الراكب لا يحس بالكسل ، وإنما يتجدد نشاطه لأنه يرى أن هذه الناقة ستوصله بسرعة عجيبة ،

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٧٣ .

ولكن ناقة الصمة تمادى فى تجاهلها فتسرع سرعة لاتتيح للراكب أن يرى ما حوله ، وفى هذه الحالة لابد من شد الزمام باليمين ، فإذا لم تستطع جذبه فإن الشمال ستعاونها ، وهى لن تتراجع حتى تحس بالألم فى عرنينها فإن الزمام سيجذب رأسها إلى الخلف ، ولكن هذه الناقة ليست من النياق السهلة القياد لأنها ترفع رأسها إلى أعلى حتى يوازى أعلى الرحل ، يقول الصمة :

فقمت إلى عيرانة عيدهية	مليح بأجواز الفلاة اهتبالها
فلما رأيت الجد منها وأنها	تجاهل لما حل عنها عقالها
ثنيت يمينى فى الزمام فما ثنى	لها الشأو حتى عاونتها شمالها
وحتى ثنى عرنينها حلق البرى	وناطح أعلى حنو رحلي قذالها
على مثلها فاستعمل الله يافتى	وغاول بها الحاجات يغنم غوالها
كأن انسلال الذيب أول ليلة	يبادر أسماك الحياض انسلالها[1]

وإذا كانت الناقة قد حظيت باهتمام شعراء بنى قشير لما لها من الأثر الكبير فى حياتهم الجادة فإن الظبية قد استهوت هؤلاء الشعراء لما لها من الأثر الكبير فى حياتهم العاطفية ؛ فالشاعر عندما يرى الظبية يتذكر محبوبته لما بين المحبوبة والظبية من الشبه فى بعض أجزاء الجسم ، فهذا ميمون بن عامر يصف ظبية ليقارن بينها وبين محبوبته يقول :

فما شادن يلوى إلى عرفجاته	له مكنس فى فيهن كنين
مليح المآقى أحور العين فارقت	به إلفة عجلى القيام شنون
تظل تراعيه بعين شفيقة	وتجمل طرف العين حيث يكون
بأملح من أسماء جيدا ومقلة	على إذاً يا عاذلىّ يمين[2]

(١) التعليقات والنوادر ورقة ١٤٣ .

(٢) المصدر السابق ٣٧ .

وإذا كان ميمون بن عامر قد رسم لنا هذه الصورة الرائعة للظبية فى مجال المقارنة بين هذه الظبية ومحبوبته؛ فإن الصمة بن عبد الله القشيرى قد رسم لنا صورة أخرى للظبية نجدها فى قوله :

وما أم أحوى الجدتين خلالها ... أراك من الأعراف أجنَى وأينعا
غدت من عليه تنفض الطل بعدما ... رأت حاجب الشمس استوى وترفعا
بأحسن من أم المحيا لجاءة ... إذا جيدها من كفة الستر أطلعا[1]

أليست هذه صورة رائعة لهذه الظبية التى ذرت عليها الشمس وهى تنفض الطل عن ثمر الأراك ! أين المصور البارع الذى يرسم لنا قرص الشمس وقد أرسل شعاعه فإذا هو يسطع على تلك الظبية التى تنفض الطل عن تلك الأراكة الزاهية بثمارها اليانعة ؟!

ولم يقتصر شعراء بنى قشير على وصف الناقة والظبية بل وصفوا غراب البين والرحيل ، فالمرىحى يصف لنا ذلك الغراب الأسود الذى ينذر بالشؤم عندما طاف بدار محبوبته ، وعندما طاف بهذه الدار علم الشاعر أن أهلها سيرحلون ، وقد رحل القوم عندما جاءهم خبر يقين عن مكان خصب . أما الشاعر فإنه نظر إلى هذا الرجل بعين يملؤها الحزن والأسى ، يقول الشاعر :

أقول لجون لونه شنج النسا ... أطاف بمغنى دارها ثم وقعا
كأنه أثر الظاعنين مقيد ... بقيدين يردى فيهما حين رجعا
أراعك أو الدار ودع أهلها ... لعمرى لذاك البين لى كان أروعا
أتاهم رويع لارعى المال بعدها ... فقال ألا لم تلحق اليوم مرتعا
فبات شواب القوم كالقرع بالعصا ... ولا يلبث القرع بالعصا أن تصدعا

(١) مجموعة أدب ورقة ١٤ .

وقد راعنى والله أكبر روعة ... أذين عمود الحى لما تضعضعا
إذا جيرة من جانب الصرم قوضت ... لبين وأخرى قد أبت أن ترفعا
وودع بعض الحى بعضا وليتنى ... على ذاك ممن كان حيا وودعا
وبرح بى ألا أشير عليهم ... وألا أرى فى نية الحى مطمعا[١]

وإذا كان المرجى قد أبدع فى وصف غراب البين والرحيل فإن مريزيق الغوانى قد أبدع فى وصف ماء القلتة،والقلتة هى النقرة فى الجبل يملؤها ماء المزن فتبقى بعيدة عما يكدر صفوها ، فالشاعر يقارن بين ماء هذه القلتة وثغر محبوبته يقول :

فما نطفة مما قرى المزن فى صفا ... منيع الذرا تردى الوعول حوالقه
مرتها الجنوب واستظلت ووقفت ... لحران قد أعيت عليه متاوقه
بأطيب من أنياب سعدى اختلاسة ... وقد غبق الغيران بالنوم غابقه[٢]

وإذا كان مريزيق الغوانى قد وصف لنا هذه القلتة وصفا رائعا ، فإنه يرسم لنا صورة أخرى تختلف كل الاختلاف عن صورة القلتة ، ذلك أن الشاعر رافق جماعة من لصوص بنى عقيل فتعجب من حياتهم التى تتمثل فى الرحيل المستمر والأسفار المتتابعة ، فهم إن رحلوا من مكان إلى آخر فإنما يرحلون بسرعة عجيبة وإبلهم تساعدهم على ذلك فهى نشيطة وسريعة ، يقول :

وصاحبت صرما من عقيل كأنه ... زواقيل جن حلها وارتحالها
إذا ظعنوا طاروا كما طير القطا ... على ضمر صهب بطىء كلالها[٣]

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ١٣٠ .

(٢) المصدر السابق ورقة ٣١ .

(٣) المصدر السابق ورقة ٦٢ .

وإذا كان شعراء بني قشير قد وصفوا بعض الحيوانات والطيور، فإن النخلة كان لها دور كبير في حياتهم. ومن البديهي أن يصفوا هذه الشجرة التي تقدم لهم أطيب الثمار، يقول ميمون بن عامر في وصف النخل :

جوازى لم يسمعن صوت محالة بقيظ ولم تشعب لهن الجداول
ضربن بأرسان طوال فأدركت بجرعاء من نجد قرارة ساحل
كأن النسور المضرحية علقت بأمطائها في روس تين هيا كل[1]

ويقول حبيب القشيري في وصف نخل كثر حمله ، فمنه ما تطول عذوقه ومنه ما يحمل هذه العذوق ويحتضنها :

من كل بائنة تبين عذوقها منها وحاضنة لها ميقار[2]

ويقول بهيج بن سرور في وصف نخلة اشتدت خضرتها وضخم عسيبها :

لعمرى لقد هاجت هواك حمامة تغنت على خضراء جثل عسيبها
نفى السيل عنها الدمن حتى كأنها بوعساء رمل مال عنها كثيبها
تغنى عليها بالعشى وبالضحى مطوقة أزرى بجسمى نحيبها
كأنى وإياها اصطبحنا مدامة معتقة في الدن مزا صبيبها[3]

وإذا كان بهيج بن سرور قد وصف لنا هذه النخلة التي تتمتع بالخضرة ، فإنه أيضا قد وصف هذه الحمامة التي اتخذت من ذلك العسيب الأخضر مكانا لنحيبها وبكائها ، فهي ترتاد ذلك المكان في العشي وفي الضحى. ووصف الحمامة

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٧٤ .
(٢) مجالس ثعلب ١/٤٨٠ .
(٣) التعليقات والنوادر ورقة ٢٠٩ .

التي تتغنى على الغصن الأخضر أكثر منه الشعراء، ولكن منهم من أتقن الوصف كما قال ابن الطثرية :

أأن هتفت ورقاء في رونق الضحى　　على فنن غض النبات من الرند[١]

فابن الطثرية حين يصف لنا هذه الحمامة التي تهتف بصوتها في أول الضحى على ذلك الغصن الطرى من تلك الشجرة الطيبة الرائحة ، حشد لنا ألفاظا شاعرية جذابة في هذا البيت وهي (هتفت) (رونق) (فنن) (رند) ومن هنا جاء وصفه لهذه الحمامة جميلا وشائقا . ويزيد بن الطثرية من الشعراء الذين يجيدون الوصف عند ما يصفون ، فهو عند ما يصف القطا فإنما يصفه وصفا دقيقا ورائعا ، يقول :

ومن دون ليلى سبسب متماحل　　يجيب صداه البوم حين يصيح
يظل به سرب القطا متحيرا　　إذا ماج بحر الآل وهو يلوح
تجوب من البيداء كدراء جونة　　سماوية عجلى النجاء طموح
تبادر جونا تنسج الريح متنه　　له حبب في جانبيه يسيح
عليه دفاق في الغديات وارد　　وآخر في برد العشى يروح
فعبت وعب السرب حتى إذا ارتوت　　ذكرن فراخا دونهن طروح
ملأن أداوى لم يشنهن خارز　　بسير ولا يلفى بهن جروح
فطرن يبادرن الضياء تقدمت　　عليهن مغلاة النجاء طموح
إلى ابن ثلاث بالفلاة كأنما　　بجنبيه من لفح السموم جروح
فظلت تسقيه نطاف إداوة　　له غبقة من فضلها وصبوح[٢]

---

(١) الأغانى ٥/٢٣٤ .

(٢) الأشباه والنظائر ٢/٣١٦ .

ففى هذه الأبيات نلاحظ أنه وصف أولا ذلك القفر الذى ليس فيه إلا البوم ، وإذا صوّت ذلك البوم فإن الصدى هو الذى يجيب؛لأن هذا القفر ليس فيه أنيس ، هذا القفر إذا طار فيه القطا فإنه يتحير ولا يعرف طريقه ؛ لأنه لا يرى فى هذه الصحراء الواسعة إلا السراب الممتد ، وبعد أن وصف الشاعر هذا القفر انتقل إلى وصف القطا :

تجوب من البيداء كدراء جونة   سماوية عجلى النجـــاء طمـــوح

وبعد أن وصف القطاة بهذا الوصف الدقيق انتقل إلى وصف الماء الذى طار إليه القطا بقوله :

تبادر جـــونا تنسج الريح متنـــه   له حبب فى جانبيه يسيح

وبعد أن وصف الماء ذكر لنا أن ذلك الماء يتدفق عليه الطير والوحش فى الصباح وفى المساء :

عليه دفاق فى الغديات وارد   وآخر فى برد العشى يروح

وبعد أن وصف الماء وما يرد عليه من الوحش والطير عاد إلى القطاة ليصف شربها :

فعبت وعب السرب حتى إذا ارتوت   ذكرن فراخا دونهن طروح

وبعد أن شرب القطا ذكر فراخه التى لابد أن تشرب ، فما عليه إذاً إلا أن يحمل الماء إلى تلك الفراخ ، ولكن فى أى شىء يحمله ؟ إنه يحمله فى تلك الإداوة المتقنة التى لم تكن من صنع الخارز :

مـــلأن أداوى لم يشنهن خارز   بســـير ولا يلفى بهن جـــروح

وبعد أن ملأن هذه الأداوى طرن إلى أفراخهن :

فطرن يبادرن الضياء تقدمت   عليهن مغلاة النجاء طموح

ثم يصف لنا الشاعر فرخ القطا بقوله :

إلى ابن ثلاث بالفـــلاة كأنما بجنبيه من لفح السمـــوم جـــروح

ثم يصف لنا الطريقة التى تسقيه بها أمه المـاء الذى جلبته من ذلك المنهل البعيد :

فظلت تسقيه نطـاف إداوة له غبقة من فضلها وصبوح

ومهارة ابن الطثرية فى الوصف لاتقف عند ناحية دون غيرها ؛ فهو عندما وصف لمته التى حلقها أخوه ثور وصفها وصفا دقيقا بقوله :

أقول لثور وهو يحلق لمتى بعقفاء مردود عليها نصابها

ترفق بها يا ثور ليس ثوابهـــا بهـــذا ولـكن عند ربى ثوابها

ألا ربما يا ثور فرق بينها أنامل رخصات حديث خضابها

فيهلك مدرى العاج فى مدلهمة إذا لم تفرج مات غما صؤابها

فجاء بها ثور ترف كأنها سلاسل برق لينها وانسكابها

ورحت برأس كالصخيرة أشرفت عليها عقاب ثم طارت عقابها

خدارية كالشربة الفرد جادها من الصيف أنواء مطير سحابها[1]

وإذا كان شعراء بنى قشير قد وصفوا ما حولهم من الحيوان والطير والنبات فإن وصف المرأة المحبوبة يأتى فى مقدمة ما قال هؤلاء الشعراء فى الوصف ، فهذا مزيد بن حارث يصف محبوبته حما بقوله :

لعمرك ما حما بدنا قصيرة ولا بالتى إن جالستك تحنت

ولـكن حما وهنة عند بيتهـا وإن نهضت نحو الصلاة ارجحنت

ترى البيض يألفن البراقع غيرها ولـكنها بالحسن منها أدلت

---

(١) الـكامل ٢/٥٢٤ .

كأن سماط المسك خالط ريقها إذا نبهت بعد الكرى فاستقلت[١]

أما يزيد بن الطثرية فيصف محبوبته بعذوبة الثغر وضمور الخصر واستواء القامة يقول :

عهدى بها زمن الجميع برامة شنباء طيبة اللثام برودا
يشفى الضجيع من الصداع نسيمها وهنا إذا لحف الوساد خدودا
ومدلة عنـــد التبذل يعترى منها الوشاح مخصرا أملودا[٢]

ويصفها أحيانا بعظم العجيزة مع دقة الخصر يقول :

عقيلية أما ملاث إزارها فدعص وأما خصرها فبتيل[٣]

ويصف الصمة بن عبد الله القشيرى عينى محبوبته وجيدها بقوله :

تريك غداة البين مقلة شادن وجيد غزال فى القلادة أتلعا[٤]

ويصف فخذيها بالامتلاء ، وساقيها بالاعتدال والانتصاب ، أما خصرها فقد دق فى اعتدال ، أى أنه متناسق مع ما حوله ، فلا يتبادر إلى أذهاننا أنه دق مع عدم تناسق ، ويصف متنها بأنه ناصع البياض كسيوف الهند ، أما أسنانها فتنزل من فوقها المساويك ، ويأتى بعد ذلك ليصف لنا شعر محبوبته بأنه يشبه الليل الشديد السواد ، وقد تدلى ذلك الشعر على الصدر ، والكتفين ، فهو يشبه فى هذه الحالة عناقيد العنب المتدلية من أغصانها وقد ضربت إلى السواد لأنها قريبة القطف :

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٣٧
(٢) حماسة ابن الشجرى ٥٩ ، والأغانى ٨/١٦٩ .
(٣) شرح الحماسة للتبريزى ٣/١٦١ .
(٤) مجموعة أدب ورقة ١٤ .

ه فخذا بخنية بخترية وساق إذا قامت عليها اتمهلت
وخصران دقا فى اعتدال ومتنة كمتنة مصقول من الهند سلت
وعينا أحم المدريين ومضحك إذا ما جرت فيه المساويك زلت
وداج على اللبات وحف كأنه عناقيد جون من كروم تدلت[١]

وإذا كان الصمة قد وصف لنا محبوبته فى هذه الأبيات ، فإنه يصف وجده بهذه المحبوبة فى أبيات أخرى تعبر عن الأسى والحزن ، وإذا تتبعنا تلك الأبيات وجدنا أنه يمثل نفسه بعدة أشياء قاست من الحزن والألم الشىء الكثير ، فهو يمثل لنا نفسه بذلك الإنسان الذى قد علاه الشيب ، وليس له إلا ابن واحد فتخطفه يد المنون .

فوجدى بطيا وجد أشمط راعه بواحده داعى المنايا ألمت[٢]

ويأتى لنا بصورة أخرى تمثل الحزن وهى صورة تلك الفتاة التى فقدت أبويها :

ووجدى بطيا وجد بكر غريرة على والديها فارقاها فجنت[٣]

ويعرض علينا صورة ثالثة من صور الحزن ، فيصور لنا تلك الناقة التى فقدت الماء منذ خمسين وبعد ذلك ترى الماء فتأتى إليه مندفعة من شدة العطش ، ولكن صاحب الماء يرميها كلما اقتربت من الحوض ، فلم يكن منها إلا أن تذهب إلى ذلك المرتفع وتنظر إلى بريق الماء ، وتلوى رجلها اليسرى على رجلها اليمنى وترفع ذلك الصوت الرقيق الذى يعبر عن شدة الهيام :

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٢٧

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق .

ووجدى بطيا وجد هيماء خليت ... عن الماء كانت منذ خمسين ضلت
إذا سافت الأعطان أو شمت الثرى ... رماها ولى الماء عنه فولت
وإن أشرفت من آكم الماء ميفعا ... لوت رجلها اليسرى بالاخرى فحنت
فحنت حنينا يطرب الصب ذا الهوى ... وقد نهلت منه بيأس وعلت[1]

لقد استطاع الصمة أن يرسم لنا صورة دقيقة حيث صور لنا وقوف الناقة المبعدة عن الماء فى قوله (لوت رجلها اليسرى بالاخرى فحنت) فهل هناك أدق من هذه الصورة فى تمثيل الرغبة فى الشىء وعدم الحصول عليه ! وإذا كان الشاعر قد رسم لنا صورة تلك الناقة التى قد نحيت عن الماء فإنه يرسم لنا صورة أخرى يتمثل فيها الوجد والهيام والأسى والحزن ، وهى صورة تلك الناقة التى تدور حول طفلها . وفيما هى فى اطمئنان ودعة سمعت أصواتا جلبت لها الفزع والخوف فألهتها عن وحيدها، وعندما بحثت عنه لم تجده ، وإنما وجدت الفرث والدم ، فلم تملك نفسها عند ذلك،وأخذت ترفع الحنين توجدا على ابنها المفقود ، وفى هذه اللحظات الحرجة سمعت صويتا خفيا فزاد فزعها وخوفها وهى فى هذه الحالة آخذة فى البحث عن طفلها ، وقد وجدت بعض الأجزاء من وحيدها المفقود،ولكنها لم تقنع بذلك فظلت تراعيه تارة وتبحث عن غيره تارة أخرى، وعندما يئست أخذت ترفع الحنين فلا تكاد تنهيه حتى تستهله مرة أخرى :

ولا وجد بكر حرة أرحبية ... ترود حوالى طفلها قد أتمت
أتيح لها فيما تروح وتغتدى ... خشارم منه رعبها فاشمعلت
وجاءت مفجأة ترى فرث طفلها ... بسرحانة أظفارها قد تدمت
تهز من الوجد الحصيل وراءها ... صويت خفى خلفها فاقشعرت

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٢٧ .

فما وجدت من طفلها غير شـلوة   شماطيط لم تقنع بها حيث شمت
فظلت تراعى شلوها مستحنة   إذا سليت رجع الحنين استهلت[١]

ويستمر الصمة فى عرض تلك الصور التى تنبئ عن الحزن ، فيرسم لنا صورة ظبية عطفت على ابنها قبيل طلوع الشمس ، أو عندما ذر قرنها، وعندما شرب ذلك الشادن الدر وقف بجانب أمه قليلا يتأمل ما حوله ، ثم سار فى طريقه إلى المرعى ، وظلت أمه طول نهارها فى الرعى ، فلم تع إلا والظلام قد اقترب ، وفى هذه الأثناء سمعت صويتا خفيا فأخذت ترهف سمعها ، وتنصت لذلك الصوت ، وقد نصبت جيدها إمعانا فى التماس مصدر ذلك الصوت،وقد حاولت عبثا العثور على ابنها المفقود ولكنها فشلت فى ذلك ، فوقفت وقفة حزينة تنبئ عن الحيرة والألم :

ولا أم أحوى شادن عطفت له   قبيل طلوع الشمس أو حين ذرت
فلما سقته الدر أحجم قائما   إليها قليلا ثم ولى وولت
إلى مرتع قد عودته ومهمل   سليل فظلت يومها حين ظلت
فلما دنا الإظـلام أدرك سمعها   صويتا خفيا راعها فاحزألت
تمارت على جرس فنصت بجيدها   وكانت على طول الخلاء أدلت
ودارت بأدنى عهده ثم راجعت   أماقى ثكلى ما تجد ما أضلت[٢]

وينتقل الشاعر من الحيوان إلى الإنسان ليصف لنا حالة تلك الأعرابية التى قدر لها أن تتزوج رجلا حضريا فيضمها بين أربعة جدران لاترى الأفق الذى اعتادت عليه ، ولا الصحراء الواسعة الفسيحة ، فتتمنى فى هذه الحالة

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٢٧

(٢) التعليقات والنوادر ورقة ٢٧

أحاليب اللقاح ، وتتمنى أرض نجد، ولـكن هيهات أن يحصل لها ذلك وتتذكر هذه الأعرابية ماء موطنها الأول ، وبرد الحصى فى نجد فيزداد شوقها ، ويتضاعف وجدها فتستهل باكية علها تعبر عن الحزن العميق ، والألم الدفين :

ولا وجد أعرابية قذفت بها صروف النوى من حيث لم تك ظنت
يشد عليها الباب أحمر لازم عليها زقاق قربه قد أبنت
تمنت أحاليب اللقاح وضيمة بنجد فلم يقدر لها ما تمنت[1]

ويعرض علينا الشاعر صورة أخرى من صور الحزن والأسى ، صورة نادرة اختص بها الصمة ، وهذه الصورة هى صورة ذلك الجمل الذى رعى فى نجد سنين طويلة ثم قذفت به الأقدار حتى أوصلته تهامة،وقد وضع القيد فى يديه، فإذا تذكر مراعيه الأولى التفت نحو نجد فتصد بصره تلك الجبال العالية التى لا يطمع صاحب القيد فى اجتيازها فتعود نظراته بالحزن العميق :

فما وجد علوى الهوى حن واجتوى بلوذ الشرى والغور ماء ومرتعا
تذكر لما عضه القيد واجتوى مراتعه من بين قف وأجرعا
ورام بعينيه جبالا محيطـة وما أن يرى فيها أخو القيد مطلعا[2]

وشاعرنا يعيش مع أولئك الذين يشاركونه آلامه وأحزانه ، فنجده يعيد صورة تلك الناقة التى فقدت ابنها فى أكثر من قصيدة ، فإذا كان قد عرض علينا صورة تلك الناقة التى أخذت تحن عندما فقدت ابنها فإنه يعيد هذه الصورة مرة أخرى :

وما بكرة بكر رأت من حوارها مجرا حديثا مستبينا ومصرعا

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٢٧ .

(٢) أمالى اليزيدى ١٤٨ .

إذا رجعت فى آخر الليل حنة فذكر حديث أبكت البزل أجمعا[1]

ومن خلال هذه الصور المتقدمة يتضح لنا أن الشاعر ينتقى تلك الصور التى تدور حول الحزن والأسى ، فهو يتابعها فى بعض قصائده وينتقل من صورة إلى أخرى وهو بانتقاء هذه الصور يعبر عن وجده وهيامه بمحبوبته ، ويرى أن ذكر مثل هؤلاء يخفف بعض آلامه إذا تذكر أن هذا الوجود فيه من مرت عليه آلام مبرحة ، وأحزان عميقة ، فهل هناك أشد لوعة من أم فقدت ابنها ، وأخذت تحن إليه ، وترتعد فرائصها بسبب الفزع والخوف؟ وهل هناك أكثر حزنا من منظر فتاة فقدت أبويها دفعة واحدة وأخذت تصيح عليهما وتعول ؟ ثم هل هناك أكثر وجدا من فتاة تربت فى البادية ثم قدر لها أن تعيش بين أزقة قرية فى وسط بيت لم تألف الجلوس فيه ، ولا العيش بين جدرانه ؟ إن هذه الصور المنتقاة لتدل على أن الشاعر لا ينظر فى هذا الوجود إلا إلى أولئك الذين يعانون من الآلام والأحزان الشىء الكثير .

وإذا تتبعنا شعر بنى قشير فإننا سنجد فى هذا الشعر وصفا للرجل الذى تتمثل فيه الرجولية ، فهذا يزيد بن الطثرية يصف ذلك الرجل بالمضاء وخدمة الرفاق والشمم والرفعة ، وطول القامة ، والكرم والحلم ، كما يصفه بالكسب والإنفاق ، وكثرة الأسفار :

وأبيض مثل السيف خادم رفقة أشم ترى سرباله قد تقددا
إذا انشق عنه السابرى رأيته هضيم الحشا صلت الجبين عمردا
كريم على غراته لو شتمته لحياك رسلا لا تراه مزندا
مفيد ومتلاف وطلاع أنجد إذا النكس أعيا صمة فترددا

(١) مجموعة أدب ورقة ١٤ .

يعجل للقوم الشواء يجره بأقصى عصاه مصهبا ومرمدا
حلوف لقد أنضجت وهو ملهوج بنصفين او حركته لتقصدا
يجيب بلبيه إذا ما دعوته ويحسب ما يدعى له الدهر أرشدا[1]

وأما زينب بنت الطثرية فإنها تصف أخاها بهذه الصفات التى تجمع الرجولة الكاملة ، فهو قدقد السيف فى امتشاقه ومضائه ، وهو ليس مترهل الجسم كثير الإقامة فى مكانه بل كثير الحروب والأسفار ، وإذا احتاج إليه ابن عمه فإنه خير من يعينه على نوائب الدهر ، ثم تصف الشاعرة أخاها بعدم الظلم وبالكرم والشجاعة وطلاقة المحيا :

فتى قدقد السيف لا متضائل ولا رهل لباته وبآدله
فتى لا ترى قد القميص بخصره ولكنما توهى القميص كواهله
فتى ليس لابن العم كالذئب إن رأى بصاحبه يوما دما فهو آكله
يسرك مظلوما ويرضيك ظالما وكل الذى حملته فهو حامله
إذا نزل الأضياف كان عذورا على الحى حتى تستقل مراجله
إذا أماطها للقوم كان كأنه حمى وكانت شيمة لا تزايله
إذا القوم أموا بيته فهو عامد لأحسن ماظنوا به فهو فاعله
إذا جد عند الجد أرضاك جده وذو باطل إن شئت أرضاك باطله

ثم تقول :

فتى كان يروى المشرفى بكفه ويبلغ أقصى حجرة الحى نائله
أشم إذا ماجئت للعرف طالبا حباك بما تحنو عليه أنامله
ولو لم يكن فى كفه غير روحه لجاد بها فليتق الله سائله

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٣٧ ، والشعر والشعراء ١/٤٢٧ .

كريم إذا لاقيته متبسما وإما تولى أشعث الرأس جافله
ترى جازريه يرعدان وناره عليها عداميل المشيم وصامله[١]

هذه هى الصفات التى تمثل الرجولة الحقة جمعتها الشاعرة فى هذه الأبيات . ومن خلال أبيات يزيد بن الطثرية السابقة ثم أبيات أخته زينب نكون قد تعرفنا على الصفات المطلوبة فى الرجل عند بنى قشير .

هذا هو الوصف عند شعراء بنى قشير ، صور رائعة ودقة متناهية ، والتفات إلى ما يحيط بهؤلاء الشعراء حتى استطاع أولئك الشعراء أن يصوروا بيئتهم خير تصوير .

٣ ــ الحنين إلى الوطن :

الانتقال من مكان إلى آخر من طبيعة حياة البادية ، وشعراء بنى قشير معظمهم من البادية ، فهم يحلون فى المكان إذا أخصب وأعشب وكثرت مياهه ، أما إذا صوح النبت وجف العود وقلت المياه فى الصحراء، فإنهم ينتقلون إلى ضواحى القرى والواحات ، حيث الماء الوفير والثمار اليانعة ، فيقضون صيفهم فى ظل ظليل ، أما إذا انقضى الصيف فإنهم يرحلون بحثا عن الماء والكلأ فى الصحراء ، حياة كلها انتقال وارتحال وبحث عن الرزق فى مظانه ، وإذا كانت حياة البادية فى رحلة مستمرة فإن الأماكن التى سيحلون فيها ستكون متعددة ، صحيح أنهم يتجولون فى منطقة معينة ولكن هذه المنطقة واسعة يختارون منها ما يشاءون ، فإذا أخصب جانب من تلك البلاد رحلوا إليه ، وإذا أجدب تركوه ورحلوا إلى مكان آخر ، وربما حل القوم فى مكان قد حلوا

(١) الأمالى ٢/٨٣ ، ووفيات الأعيان ٦/٣٦٧ .

به منذ سنوات ، وعندما حلوا بذلك المكان كان معهم جيرة لهم . أما هذه المرة فالجيرة قد نزحوا إلى مكان آخر، وفى هذه الحالة يتجدد الشوق وتهيج الذكرى الأحزان الدفينة ، وفى هذه الحالة يترجم الشعراء ذلك إلى قصيدة رقيقة ، وربما مر القوم فى انتقالهم بأماكن قد حلوا فيها فتهيج لهم الأحزان ويتذكرون أيامهم التى مرت عليهم فى تلك البلاد ، أما إذا كانت تلك الأماكن من الأماكن التى قضى فيها الشاعر أيام صباه وشطرا من شبابه فإن الشوق إليها يكون شديدا ، والحنين إلى الوطن إنما تهيجه الذكريات وخصوصا فى وقت الصبا والشباب ، وقد علل ابن الرومى الحنين إلى الوطن فقال :

وحبب أوطان الرجال إليهم ... مآرب قضاها الشباب هنالكا

إذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم ... عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا[1]

وكيف لا يحن الإنسان إلى بلاد قضى فيها شطرا من عمره ، إن البلاد تضم الأحباب والأهل والأقارب ، كما تضم رفاق الصبا وإخوان الشباب ، كل حجر فيها يحتفظ بذكرى وكل بقعة تنبىء عن ماض قد انقضى ، وبما أن الإنسان لا يستطيع إعادة ما مضى فإنه يخفف عن نفسه عندما يستنطق الرسوم ويسائل الأطلال ، هذا يزيد بن الطثرية يقف على دار محبوبته فلا يجد إلا الأطلال والطنب الباقية ، ومربط الأفلاء ، والحوض المتهدم الذى أصبح يشبه الهلال ، ثم يتساءل بعد ذلك : هل سيعود عصر المنيفة ؟! وهل ستعود ليالينا بتعشار ؟! وعندما يقف على فراض الوشم تنهمر الدموع من عينيه وكأنها الجمان المتحدر من سلكه :

ألا حييا الأطلال والمتطنبا ... ومربط أفلاء وخيما منصبا

---

(١) ديوان ابن الرومى ص ١٣ .

وأشمث مهدوم السراة كأنه هلال توفى عدة الشهر أحدبا
ألا لا أرى عصر المنيفة راجعا ولا كلياليناً بتعشار مطلبا

ثم يقول :

ويوم فراض الوشم أذريت عبرة كما ضيع السلك الجمان المثقبا[١]

ويتذكر يزيد بن الطثرية آثار ديار قد بعد عهده بها. ولكنه يخص بالتحية ربوة الربعين ويطلب السقيا لهذه الربوة :

سقى دمنتين ليس لى بهما عهد بحيث التقى الدارات والجرع الكبد
فياربوة الربعين حييت ربوة على النأى منا واستهل بك الرعد[٢]

ويقف يزيد بن الطثرية على الفيض ودجلة وقرن المواسل وعاقل، فيجد هذه الأماكن خالية من أهلها الذين كانوا يحلونها :

خلا الفيض ممن حله فالخمائل فدجلة ذى الأرطى فقرن المواسل
وقد كان محتلا وفى العيش غرة لأسماء مفضى ذى سليل وعاقل[٣]

وهذا الصمة بن عبد الله القشيرى يحيى تلك الرسوم التى مر بها فى القبيبة بعد أن غيرتها الريح وكادت تطمس آثارها، ولم يبق من تلك الرسوم إلا الحجارة التى صمدت أمام تلك الرياح العاتية ، ويبحث الصمة عن آثار الأحبة فلا يجد إلا الأثافى الثلاث اللاتى يشبهن ثلاث حمامات تقابلن على الأرض :

خليلى عوجا منكما اليوم أودعا نحيي رسوما بالقبيبة بلقعا
أربت بها الأرواح حتى تنسفت معارفها إلا الصفيح الموضعا

---

(١) مجالس ثعلب ٢/٥٤٢ .

(٢) الأشباه والنظائر ٢/١٨٥ .

(٣) معجم البلدان ٢/٤٤٢ (دجلة) .

وغير ثلاث في الديار كأنها ثلاث حمامات تقابلن وقعا
أمن أجل دار بالرقاشين أعصفت عليها رياح الصيف بدءا ورجعا[١]

ومن شعراء بني قشير الذين وقفوا على الأطـــلال . وبكوا الديار المختار ابن وهب فقد وقف على دار محبوبته ، فلم يجد من آثار هذه الدار إلا خطا في الأرض ينبىء عن النؤى ، وحجارة حول مكان النار :

ما هيج العين على ابتدارها في دمنة لم يبق من آثارها
غير محط النؤى في ديارها أو ركد حول مغاني نارها[٢]

ويتذكر الشاعر دار سلمى، تلك الدار الواقعة بين الغرابات والمصرم فيطلب السقيا لتلك الدار :

يا دار سلمى بالكثيب الأهيم بين الغرابات وبين المصرم
أسقيت دارات الغمام السجم كل هزيم أشر التبشم
كأن في ريقـــــه المقـــــدم هضب الشرى في جنح ليل مظلم[٣]

ومما يهيج الحنين إلى الأوطان هبوب الرياح نحـــو تلك الديار أو مجىء الرياح من تلك الديار ، أو لمع البرق إذا كان ذلك البرق على ديار الشاعر ، يقول يزيد بن الطثرية :

إذا ما الريح نحو الأثل هبت وجدت الريح طيبة جنوبا[٤]

---

(١) مجموعة أدب ورقة ١٤ والمنازل والديار ١٧٨ .

(٢) التعليقات والنوادر ورقة ٣٣ .

(٣) المصدر السابق ورقة ٣٢ .

(٤) الزهرة ١/٢٢١ .

ويحن الشاعر إلى نجد إذا هبت الصبا :

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد لقد زادنى مسراك وجداً على وجد

ومما يهيج الحنين إلى الأوطان ترنم الحمام بأصواته العذبة :

أأن هتفت ورقاء فى رونق الضحى على فنن غض النبات من الرند
بكيت كما يبكى الحزين صبابة وذبت من الحزن المبرح والجهد
ألا هل من البين المفرق من بد وهل لليال قد تسلفن من رد
وهل مثل أيامى بنعف سويقة رواجع أيام كما كن بالسعد
وهل أخواى اليوم إن قلت عرجا على الأثل من ودان والمشرب البرد[1]

ومما يهيج الحنين إلى الأوطان البرق حين يلمع ، فهذا الأقرع بن معاذ القشيرى يرى بارقا نحو حمة فيذكره تلك الديار :

حى المنازل بين حمة فاللوى إن كنت مشتغلا بهن عميدا
يا برق حمة ما فعلت على البلى لا زلت يصحبك الغمام سديدا
فلئن بكيت لأبكين صبابة ولئن صبرت لأصبرن جليدا[2]

ومما يهيج الحنين إلى الأوطان للحب ، فالشاعر عند ما تكون محبوبته فى بلد ما فإنه سيحن إلى ذلك البلد ؛ فهذا مصعب بن الطفيل القشيرى يحن إلى أكمة لأن محبوبته فى تلك البلدة يقول :

أما تنسيك عالية الليالى وإن بعدت ولا ما تستفيد
إذا ما أهل أكمة ذدت عنهم قلوصى ذادهم ما لا أذود

(١) ذيل الأمالى ١٠٣ ، والأغانى ٥/٢٣٤ .
(٢) المنازل والديار ٢٢ .

قواف كالجهـــام مشردات تطالع أهل أكمة من بعيد[1]

ويطيل هذا الشاعر الحنين إلى أكمة ، فكلما طلعت الشمس اتجه بصره نحو تلك البلدة :

كأنى لجمدى إذا كان أهله بأكمة من دون الرفاق خليل
فإن التفـــاتى نحو أكمة كلما غدا الشرق فى أعلامها لطويل[2]

ويقف هذا الشاعر على ديار الأحبة بناصفة العمقين ، وبرقة اللوى فلا يجد إلا الأطلال والآثار . أما خيرة تلك المحبوبة التى كانت تقيم فى تلك الأماكن فقد نزحت ، وقد غيرت الجنوب منازل الأحباب وحولتها إلى قفر ، يقول شاعرنا :

ألا حبذا يا خير أطلال دمنة بحيث سقى ذات السلام رقيبها
إذ العين لم تبرح ترى من مكانها منـــازل قفر نازعتها جنوبها
بناصفـــة العمقين أو برقة اللوى على النأى والهجران شب شبوبها[3]

وإذا كان ابن الرومى فى البيتين المتقدمين قد علل لنا حنين الإنسان إلى وطنه ، وأنه قد قضى شبابه فى ذلك الوطن ، والشباب له مآرب ، فلا شك أن الصمة بن عبد الله القشيرى واحد من أولئك الذين أمضوا صباهم وشبابهم فى أوطانهم ثم افتقدوا ذلك الوطن ، وبالتالى فقدوا الأحبة ، فهل يلام الصمة على حنينه إلى وطن ترك فيه محبوبته ، وأسرته ، وقبيلته ، ؟ لقد أكثر الصمة من الحنين إلى ذلك الوطن ، فهل هذا الحنين إلى ريا محبوبة الشاعر وإلى الوطن

---

(١) معجم البلدان ٢٤١/١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق ٢٥٢/٥ .

الذى تسكنه ، أم أنه حنين إلى وطن فيه الأهل والأقارب ، وفيه معاهد الصبا ومدارج الطفولة ؟ لو أردنا أن ندرس نفسية الصمة فى هذا الحنين لوجدنا أن الدافع الأول هو حب ريا ، فقد أحب الصمة ابنة عمه حبا طغى على كل حب آخر ، فقد أحب الوطن الذى تسكنه ، والمرابع التى كانت تنزلها ، فهو حين يقـــول :

قفا ودعا نجدا ومن حل بالحمى   وقل لنجد عندنا أن تودعا(١)

فإنما يعبر عن الحب العميق لمحبوبته ريا التى تسكن هذا المكان من بلاد نجد ،فهو لم يحب نجدا إلا لأن محبوبته تسكن فى هذا المكان ، فقد أحب ريا نجد ، وأحب جو نجد :

بنفسى تلك الأرض ما أطيب الربا   وما أحسن المصطاف والمتربع(٢)

ويتمثل لنا حب الصمة لبلاده فى هذين البيتين :

وأذكر أيام الحمى ثم أنثنى   على كبدى من خشية أن تصدعا

فليست عشيات الحمى برواجع   عليك ولكن خل عينيك تدمعا(٣)

هل هناك أروع من هذا الحنين إلى أيام الحمى ؟ وهل هناك شاعر استطاع أن يعبر عن حنينه إلى وطنه بمثل هذين البيتين ؟ إن الصمة يحن إلى تلك الأيام، ويحن إلى تلك الأمسيات ، فأمسيات الحمى كان فيها دواء شاف لشاعرنا ؛ ففى هذه الأمسيات كان يجتمع بمحبوبته لأن من عادة الأعراب أن يقضوا أول الليل فى سمر بعد أن يجتمع الرعاة ، وتنتهى جولة النهار فى الروابى والوهاد

(١) مجموعة أدب ورقة ١٤ .

(٢) المثل السائر ١/٤٢٤ .

(٣) مجموعة أدب ورقة ١٤ .

ما أجمل تلك الأمسيات ، فى نفس الصمة عندما يرهف السمع لحديث محبوبته ، وعندما تكون أشعة القمر قد أرسلت خيوطها الفضية فى ذلك الفضاء الواسع ، إن مثل تلك الذكريات ، لتهيج فى شاعرنا الشوق فيحن إلى الحى وإلى ساكن الحى ، فهل نلومه عندما يقول : (ثم أنثنى على كبدى) إن مثل هذه الذكريات التى تنقل شاعرنا إلى الماضى ، وتجعله يعيش تلك الأيام السالفة لتثير فى نفسه لواعج الشوق الدفين ، ويأتى اسم ريا مقترنا باسم تلك الأماكن المحببة إلى نفسه :

نظرت وطرف العين يتبع الهوى   بشرقى بصرى نظرة المتطاول
لأبصر نارا أوقدت بعد هجعة   لريا بذات الرمث من بطن حائل[1]

فالشاعر فى هذين البيتين يحاول أن يرى تلك النار لأنها نار محبوبته ، وهو يذكر تلك الأماكن لأن ريا تسكن فيها ، ويستعرض الشاعر فى خياله تلك الأماكن التى مر بها فلا يفتأ يتذكر بلدة محبوبته ، فيزيد شوقه وينهمر دمعه :

فلله درى أى نظرة ذى هوى   نظرت ضحى والشمس يستن آلهـا
إلى رأس طود من جفاف كأنه   قرا فرس تنصيبها واحزلالها
فكبرت لمـا أن بدت لى بلدة   بها سكنت طيا وطال احتلالها
وكفكفت دمعى ساعة وزجرته   بأجفان عينى ثم خلاه جالها[2]

ويكرر الشاعر ذكر حائل لأن محبوبته تسكنها :

يا صاحبى أطال الله رشدكما   عوجا على صدور الأبغل السنن
ثم ارفعا الطرف هل تبدو لنا ظعن   بحائل يا عناء النفس من ظعن

(١) معجم البلدان ٢ / ٢٠٨ .

(٢) التعليقات والنوادر ورقة ١٤٣ .

أحب بهن لو أن الدار جامعة ... وبالبلاد التى يسكن من وطن[1]

يتمنى الشاعر فى هذه الأبيات رؤية حائل ، ويحن إليها ، وكيف لا يحن إلى تلك البلاد التى تضم الأحباب ؟ فإذا حب الصمة لوطنه إنما هـو مرتبط بحبه لمحبوبته أى أن حبه لوطنه ناتج عن حبه لمحبوبته ريا. ولـكن لنفرض أن الشاعر نزح عن هذا الوطن وهو لم يترك فيه حبيبا ، أيحن إليه فى هذه الحالة ؟ فيما تقدم معنا بينا أن الحنين إلى الوطن يرجع إلى عوامل عدة منها الحب ، وهذا يتضح فى بيتى ابن الرومى المتقدمين ، والصمة وإن كان أساس حبه لوطنه ريا إلا أنه يحب هذا الوطن لعوامل أخرى غير محبوبته ، فذلك الوطن فيه أسرته ، وأقاربه وقومه ، ولا شك أنه يحن إليهم ويتمنى الاجتماع بهم ، وفى الأبيات التالية ما يؤيد ذلك :

فيا أهل نجـــد لاشقيتم ولقيت ... ركابكم رشدا وحلت ذنوبها
إذا ما أتيتم أهـــل نجد وعريت ... قلائص أدتـكم وقـد طال دوبها
فحيوا عليهم فاقــرءون تحية ... يخص بها شبان قـــومى وشيبها
تحــــية مشتاق إلى أن يراهم ... ورجع أماثيل يفدى عريبها[2]

ففى هذه الأبيات يبرز الحنين إلى الوطن على أشده ، وخصوصا فى قوله : (لاشقيتم) فهو يتمنى لأهل نجد السعادة والهناء وعدم الشقاء . ويردف هـذا الدعاء بتحية يرسلها إلى أهل نجد عامة ولـكنه يخص شبان قومه وشيبهم ، وهذا يدل على رغبته الملحة فى الاجتماع بأولئك القوم ، والاستماع إليهم ؛ لأنه يصرح بهذا الشوق فى البيت الأخير حيث يقول (تحية مشتاق) فهل نشك بعد ذلك

(١) معجم البلدان ٥ / ٢٧٢ (ط السعادة) .

(٢) التعليقات والنوادر ورقة ١١٢ .

فى حبه لقومه وقبيلته ؟ إنه قد اشتاق إلى تلك الأيام الماضية ، ولكن هيهات أن تعود ! وإذا كان الشاعر يحن إلى قومه فإنه يحن إلى حياته السابقة التى ألفها ردحا من الزمن ، فيتذكر تلك الأماكن التى كان يمر بها وهو يحدو إبله ، فيزداد شوقه ، ويتمنى المبيت فى تلك الأماكن ولو ليلة واحدة :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ... بسعد ولما تخل من أهلها سعد
وهل أقبلن النجد أعناق أينق ... وقد سار مسيا ثم صبحها النجد
وهل أخبطن القوم والريح طلة ... فروع ألاء حفة عقد جعد[1]

فهل تتحقق رغبة شاعرنا فى المبيت بسعد ؟ إن ذلك أقصى ما يطمح إليه ، ولكن أنى لجندى يقطع المفاوز فى خراسان أن يبيت فى قرية فى وسط نجد ؟ إن ذلك من الأشياء البعيدة التى يصعب تحقيقها . والشاعر إن حن إلى حياته الماضية فإنه يحن أيضا إلى أيام صباه الأولى ، فيشتاق إلى تلك الأماكن التى رآها لأول مرة فى هذه الدنيا ، ولاشك أن هذا عامل له أهميته من بين العوامل التى تدفعه إلى الحنين إلى الوطن ، وفى حب شاعرنا لبلدته التى نشأ فيها مايؤيد حنينه إلى مرابع نشأته الأولى ، فقد سكب الدموع الحرى عندماتذكر شعبعب تلك القرية التى درج على ترابها ، وتردد بين أعطان الإبل فيها ووقف على ذلك الحوض الذى كثيراً ما وردت عليه إبله ، إنها الأيام ترمى بالإنسان إلى حيث لا يريد :

ياليت شعرىَ والأقدار غالبة ... والعين تذرف أحيانا من الحزن
هل أجعلن يدى للخد مرفقة ... على شعبعب بين الحوض والعطن[2]

(١) معجم البلدان ٦ / ٩٤ .

(٢) معجم البلدان ٥ / ٢٧٢ .

إنه الوجد والشوق يدفعان صاحبنا إلى تصور تلك المواقع عندما يجعل يده تحت خده وهو ينظر إلى إبله وهى تشرب من ذلك الحوض المحبب إلى نفسه ولكن الأقدار غالبة بل قاهرة فتجعل الإنسان يسير فى غير طريقه ، وإذا كان لابد من السير فى هذا الطريق فليس أمام الشاعر إلا أن يسكب الدموع على تلك الأماكن التى فقدها. هى هذه بواعث الحنين إلى الوطن عند الصمة : حب لريا وحب لقومه وحب الأماكن التى أمضى فيها أيام طفولته وشبابه ، فإذا قلنا إنه أحب وطنه من أجل ريا فقط فإننا لا نقول الواقع، وإذا قلنا إنه أحب وطنه لأن فيه قومه فإن هذا صحيح ، ولكن أحب فى هذا الوطن محبوبته أيضاً ، وإذا قلنا إنه أحب وطنه من أجل أيام طفولته فإننا لانقول الحقيقة إذ الصمة حن وطنه لأن فيه محبوبته وقومه ومعاهد صباه ، فهذه العوامل مجتمعة هى التى جعلت شاعرنا يجود بمثل هذا الشعر الرقيق ، وفى أكثر أبيات الصمة نجد هذه العوامل الثلاثة مختلطة بحيث يصعب فصلها عن بعضها ، فإذا تذكر تلك الأماكن ذكرته محبوبته ، أليس المجنون يرى جبل التوباد فيذكره بليلى ، بحيث أصبح الفصل بين ليلى وجبل التوباد أمرا صعبا. فالأماكن لها دور كبير فى تهييج الشوق ، والصمة ليس بعيدا عن المجنون ، فإنه يتذكر تلك الأماكن فيزداد شوقه يتذكر الحى ، ويتذكر النير فيتذكر محبوبته فتكون النتيجة انهمار الدموع :

ألا من لعين لا ترى قلل الحمَى ولا جبل الأوشال إلا استهلت

ولا النير إلا أسبلت وكأنها على ربد باتت عليه وظلت

لجوج إذا لجت بكىٌّ إذا بكت بكت فأدقت فى البكا وأجلت

كما هتنت طرفاء ناشت غصونها جنوب وقد كانت من الليل طلت

ألا قاتل الله الحمى من محـــلة وقاتل دنيانا بهـــا كيف ولت[١]

فى هذه الأبيات يمتزج حب الصمة لوطنه بحبه لمحبوبته بحيث لا نستطيع أن نفرق بينهما ، فهو يرى تلك الأماكن أو يتذكرها فتذكره محبوبته ، فلا تفتأ عيناه حتى تنهمرا بالدمع . وليت عين الصمة يكفيها البكاء القليل ، وإنما تستمر فى هذا البكاء فتنهمر الدمـوع منها بغزارة كما ينهمر الطل من شجرة حركتها ريح الجنوب فى الصباح فتساقط ما عليها من الطل . وبعد ذلك يتوجه باللـوم إلى الحمى ، ولـكن هل يسمع الحمى هذا اللوم ؟ ويتمنى الشاعر تلك الأيام التى قد انقضت فى الحمى ، ويتعجب من زوالها بهذه السرعة ، إنه الحب العميق فى نفس الشاعر لذلك الوطن ، ولمن يسكن ذلك الوطن . ويصف لنا الشاعر مقامه فى وطنه فيقول :

غنينا زمانا بالحمى ثم أصبحت عراض الحمى من أهلها قد تخلت[٢]

ويقول أيضا :

ألا ياحبذا نفحات نجـــد وريـــا روضه بعد القطار
وأهلك إذ يحل الحى نجـــدا وأنت على زمانك غـــير زار
شهور ينقضين وما شعرنا بأنصاف لهـــن ولاسرار
فأما ليلهن فخير ليـــل وأقصر ما يكون من النهـــار[٣]

وهذه هى حال شاعرنا قبل نزوحه ، لقد أمضى تلك الأيام وهـو لا يشعر بمرورها ، فهل نلومه عندما يشتاق إلى نجد ونفحاته ؟ وريا روضة عندما تـكون

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٢٦ .
(٢) المصدر السابق .
(٣) معاهد التنصيص ٣ / ٢٥٠ .

تلك الأوراق قد ابتلت بالطل ، إنه يتذكر تلك الأيام الماضية عندما كان يحل في بلاد نجد ، وهو غير زار على زمانه بل ينعم بذلك الزمان ، فهل عرف في ذلك الوقت أنه سيفقد ماهو فيه ، إن الإنسان لايشعر بالمتعة مادام لم ينعم بها وإنما يشعر بها عندما يفقدها ، إنها النفس الإنسانية لاتشعر بقيمة الشيء إلا بعد فقده ، لقد كانت الشهور تنقضي فلا يفكر شاعرنا في أول الشهر ولا في آخره وإنما هو لاه عن الأيام وتعدادها . ويتذكر الشاعر ليل تلك الأيام التي مرت به ، ويبحث عن وصف يلائم ذلك الليل الذي نعم فيه بقرب الأحباب والإقامة في الوطن فلا يجد أجمل من قوله (خير ليل) والخير يجمع كل الحسن ، أما نهار تلك الأيام فهو قصير جدا . وهل تكون الأيام قصيرة أو طويلة؟ ولكن الفرح والسرور والانشغال عن الزمن تجعل الإنسان بعيداعن التفكير في الوقت فيمضي بدون أن يشعر به . ويعلل لنا الصمة بعد ذلك نزوحه عن نجد فيقول :

فما من قلى للنجد أصبحت هاهنا إلى جبل الأوشال مستخبيا بردا
ولكن حاجات الفتى قذفت به إذا لم يجد من أن يطالبها بدا[1]

لقد أوضح لنا في هذين البيتين أنه لم ينتقل من نجد لأجل بغض ولكن الإنسان يتبع حاجاته دائما ، وكيف لشاعرنا أن يقلى نجدا وهو الذي يحن إليها دائما ، إن حاجات الإنسان هي التي تدفعه إلى أماكن لا يرغب الإقامة فيها ، ولكن إذا كان لابد من السير خلف هذه الحاجات ، فليصبر الإنسان على مايصيبه في سبيلها . والشاعر في هذه القصيدة التي بين أيدينا مشوش الذهن مضطرب النفس ، يحن إلى نجد تارة لأنه يتذكر أيامه الحلوة ، وماضيه السعيد ، ويحمل عليها تارة علة ينساها ، أو يسلي نفسه بأنها لاتصلح مقاما . وبالتالي يستقر ذلك

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٤٨ .

فى نفسه ويستريح من ذلك التذكر المستمر ، وتتمثل حملته على نجد فى هذين البيتين :

دعونى من نجد فإن سنينه لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا
لحا الله نجدا كيف يترك ذاالندى بخيلا وحر القوم تحسبه عبدا(١)

هل هناك أعنف من هذه الحملة على نجد ؟ ذلك البلد المحبب إلى نفسه فكيف يقول (دعونى من نجد) ؟ ثم كيف تلعب به السنون فى نجد أشيبَ وهو قد غادرها شابا ولكن الشاعر فى قوله (لعبن بنا شيبا) يعبر عن قومه عامة ، ويردف بالبيت الثانى ليشدد هذه الحملة فيقول : إن نجدا يترك الكريم بخيلا لأنه لا يجد ما ينفق ، ويجعل سيد القوم عبدا إذا وطأته السنون ، فإذا كانت هذه حالة نجد وهذه حالة أهلها فلماذا الحنين ؟ ولماذا الوجد على تلك البلاد ؟ ولكن هل يستمر فى هذه الحملة ؟ هل يستطيع ذلك إنه فى صراع نفسى مستمر نحو نجد ، لن يستطيع الاستمرار فى حملته وإنما سيتراجع عن قريب ، إن قلبه يشده إلى نجد من حيث لا يشعر :

ونجدا إذا جادت به رهم الحيا رأيت به المكنان والنفل والجعدا
سقى الله نجدا من ربيع وصيف وماذا ترجى من ربيع سقى نجدا
بلى إنه قد كان للعيش قرة وللبيض والفتيان منزلة حمدا(٢)

بعد أن حمل على نجد فى الأبيات المتقدمة أحس أنه ظلم هذه البلاد ، فأخذ يتراجع فى هذه الأبيات ، ويبين لنا أن نجدا إذا أصابها الغيث ، وتتابعت عليها سنوات الخصب ، فإن أهلها ينعمون بإقامة طيبة ، وبعد ذلك يدعو لهذه البلاد

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٤٨ .

(٢) المصدر السابق .

بالخير العميم الذى يصيبها فى الربيع والصيف ، ولـكنه يتساءل بعد ذلك: ولماذا تدعو لهذه البلاد وأنت نازح عنها ؟ (وماذا ترجى من ربيع سقى نجدا) ؟ ولـكن الشاعر بعد ذلك يقول : إن نجدا كانت مقرا للعيش الرغيد ، وإن البيض والفتيان نعموا فيها زمنا ، ألا تستحق منى الدعاء لها بالسقيا ، مادامت كذلك إنها تستحق أكثر مما دعوت لها . إن هذه القصيدة لتوقفنا على اضطراب نفس شاعرنا نحو وطنه ونحـــو قومه فهو فى جهاد نفسى مستمر ، يفـكر فى نجد وفى سكان نجد ، ويتمنى الرجوع إلى تلك البـــلاد ، ويستعرض حياته الماضية فيجد فيها الحسن وغير الحسن ، فتزداد نفسه اضطرابا نحو هذه البلاد ، إنها النفس البشرية لا يقر لها قرار ، ولا تثبت على شىء ، فـكيف بنفس قد أضناها الحب وآلمها الفراق ؟ وإذا أردنا أن نقف على حنين الشاعر إلى بلاد نجد فلنستمع إليه فى هذه الأبيات :

خليلى قوما أشرفا القصر فانظرا ... بأعيانـكم هل تونسان لنا نجدا
وإنى لأخشى إن علونا علوة ... ونشرف أن تزداد ويحكما بعدا
نظرت وأصحابى بذروة نظرة ... فلو لم تفض عيناى أبصرتا نجدا
إذا مر ركب مصعدين فليتنى ... مع الرائحين المصعدين لهم عبدا[1]

إنه يتمنى أن يكون عبدا لأولئك القوم الذين اتجهوا إلى نجد ، فهل هناك أشد من هذا الشوق ؟ لقد ودع الشاعر تلك الأماكن وهو فى طريقه إلى الشام فـكان لا يلتفت إلى جبل أو فلاة إلا وتحـدث فى قلبه صدوعا ، ولذلك فإن هذه الأماكن تـكررت فى شعره كثيرا ، وعندما نقرأ الأبيات التالية نرى مدى تأثير هذه الأماكن فى نفس شاعرنا :

---

(١) معجم البلدان ٤ / ١٩٤ (ذروة) .

أقول لمياش صحبنا وجابر ... وقد حال دونى هضب عارمة الفرد
قفا فانظرا نحو الحمى اليوم نظرة ... فإن غداة اليوم من عهده العهد
فلما رأينا قـــلة البشر أعرضت ... لنا وجبال الحـــزن غيبها البعد
وأعرض ركن من سواج كأنه ... لعينيك فى آل الضحى فرس ورد
أصاب جهول القوم تتثيم مابه ... فحن ولم يملكه ذو القوة الجلد[1]

لقد حن الصمة منذ أن فارق هذه البلاد ، لقد أوقف صاحبه عندما رأى أن هضب عارمة قد حال دونه ، لقد أراد أن يلقى النظرة الأخيرة على الحمى ذلك المكان المحبب من قلبه ، ولكن هل يقف الركب ؟ وهل تقف الجبال فى أماكنها ؟ إنها تغيب عن نظر شاعرنا شيئا فشيئا ، وعندما رأى ذلك حاول أن يتجلد ، ولكن هيهات أن يستطيع ذلك ، لقد حن إلى تلك الأماكن ، وهل هناك أكثر صراحة من شاعرنا فى قوله (فحن) لقد أخرجها زفرة من قلبه المقروح . ويتذكر مسيره بين تلك الأماكن فيقول :

أقول لصاحبى والعيس تهوى ... بنا بين المنيفة فالضمار
تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار[2]

لقد بقيت هذه الأماكن : المنيفة ، الضمار مرتسمة فى ذهنه ، وبقيت شجيرات العرار تتراقص أمام عينيه ، يالله لصاحبنا لقد اتجه إلى صاحبه فى الرحلة يأمره بالتمتع بتلك النفحات العطرة التى تجود بها شجيرات العرار ، لقد قال لصاحبه (فما بعد العشية من عرار) إنها آخر ليلة لنا نتمتع فيها بشم العرار ، املأ رئتيك أيها الزميل ؛ إنك لن تجد عرارا بعد اليوم ، ولماذا يوجه الشاعر النصح لزميله

(١) معجم البلدان ٦ / ٩٤ ، وشرح الحماسة للتبريزى ٢ / ١٦٠ .
(٢) معاهد التنصيص ٣ / ٢٥٠ .

وينسى نفسه ؟ هل ملأ الشاعر رئتيه من شميم العرار ؟ أم أنه لايحس بما حوله بسبب الآلام النفسية التى يعانيها فأراد أن لا يفوتهما جميعا شم العرار ؟ إن هذين البيتين ليعبران عن ذلك القلب الذى قد ملأه حب نجد والحنين إلى نجد .

وقد حظى هذا البيت :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

بالتمثيل به فى مواقف كثيرة ، فمن ذلك أن على بن عيسى الربعى النحوى ، وكان يرمى بالجنون — مر يوما بسكران ملقى على قارعة الطريق فحل الربعى سراويله وجلس على أنف السكران ، وجعل يضرط ، ويشمه ويقول :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

وقد ألقى هذا البيت بين يدى صلاح الدين الأيوبى عندما كان يجمع جنده خارج القاهرة ليتجه إلى الشام ، فقد كان صلاح الدين الأيوبى يستمع من الأعيان كلمات الوداع ، وما قيل فى الفراق ، فجاء معلم أولاده فقال :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

فعندما سمع السلطان هذا البيت انقبض ، وتطير الناس من ذلك ، وقد خرج صلاح الدين إلى بلاد الشام وانشغل بها ، ولم يرجع بعد ذلك مصر ، فقال المتشائمون : لقد صدق معلم الصبيان ، عندما قال : فما بعد العشية من عرار ، وقد ضمنه أبو جعفر الأندلسى فقال :

لقد كر العذار بوجنتيه كما كر الظلام على النهار

فغابت شمس وجنته وجاءت

على مهل عشيات العرار

فقلت لناظرى لما رآها وقد خلط السواد بالاحمرار

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار[1]

وإذا كنا قد أبعدنا عما نحن فيه فلنعد سريعا ونقول : إن الأماكن التى مر بها الصمة فى طريقة إلى الشام كان لها الدور الكبير فى تهييج الذكرى ، ولذلك فإنها بقيت فى ذهنه لأنها آخر مارأت عيناه من بلاد نجد ، غير أن هناك ثلاثة أماكن حظيت من شعر الصمة بالتكرار المستمر ، وهذه الأماكن هى :

١ ـ نجد : لقد تكرر هذا الاسم فى شعر الصمة ، وهذا يدل على أن بلاد نجد لاتفارق شاعرنا فهو يتذكرها باستمرار ، وبلاد نجد تغنى بها كثير من الشعراء ، ولكن لانجد شاعرا قد كرر هذه البلاد فى شعره مثلما كررها الصمة ، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على الحنين المستمر لهذه البلاد ، والإنسان لايذكر الشيء باستمرار إلا إذا كان قد ارتسم فى ذهنه . وعندما نستعرض شعر الصمة نجد أنه ذكر بلاد نجد فى معظم قصائده ومقطوعاته ؛ يقول :

فيا أهل نجد لاشقيتم ولقيت ركابكم رشدا وحلت ذنوبها[2]

ويقول فى تائيته :

تمنت أحاليب القلاح وضيمة بنجد فلم يقدر لها ما تمنت
إذا ذكرت ماء العظاة وطيبه وبرد الحصى من أرض نجد أرنت[3]

ونأتى إلى هذه القصيدة فنجده قد كرر نجدا فى معظم أبياتها :

سلا عبد الاعلى حيث أوفى عشية خزازى ومد الطرف هل آنس النجدا
فما عن قلى للنجد أصبحت ها هنا إلى جبل الأوشال مستخبيا بردا

---

(١) معاهد التنصيص ٣ / ٢٥١ .
(٢) التعليقات والنوادر ورقة ١١٢ .
(٣) التعليقات والنودار ورقة ٢٧ .

ثم يقول :

دعونى من نجد فإن سنينه لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا

لحا الله نجدا كيف يترك ذا الندى بخيلا وحر القوم تحسبه عبدا

على أن نجدا قد كسانى حلة إذا ما رآنى جاهل ظننى عبدا

سوادا وأخلاقا من الصوف بعدما أرانى بنجد ناعما لابسا بردا

ونجدا إذا جادت به رهم الحيا رأيت به المكنان والنفل الجعدا

سقى الله نجدا من ربيع وصيف وماذا ترجى من ربيع سقى نجدا

ثم يقول :

ألم تر أن الليل يقصر طوله بنجد ويزداد النطاف به بردا[١]

ويقول أيضا :

خليلى قوما أشرفا القصر فانظرا بأعيانكم هل تونسان لنا نجدا

ثم يقول :

نظرت وأصحابى بذروة نظرة فلو لم تفض عيناى أبصرتا نجدا[٢]

ويقول فى مقطوعة أخرى :

وهل أقبلن النجد أعناق أينق وقد سار مسيا ثم صبحها النجد

ثم يقول :

وكنت أرى نجدا وريا من الهوى فما من هوائى اليوم ريا ولا نجد

فدعنى من ريا ونجد كليهما ولكننى غاد إذا ما غدا الجند[٣]

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٤٨ ، والمقاصد النحوية ١ / ١٧٠ .

(٢) معجم البلدان ٤/١٩٤ (ذروة) .

(٣) معجم البلدان ٥/٨٣ (ط السعادة) .

ويقول وهو فى طريقه إلى الشام :

تمتع من شميم عرار نجد فما بعد العشية من عرار

ألا ياحبذا نفحات نجد وريا روضه بعد القطار

وأهلك إذ يحل الحى نجدا وأنت على زمانك غير زار(١)

ويقول فى عينيته :

قفا ودعا نجدا ومن حل بالحمى وقل لنجد عندنا أن تودعا(٢)

فهل هناك أكثر من هذا الوفاء لهذه البلاد التى نشأ بها شاعرنا؟وتفتحت عيناه على جبالها ووهادها وعرارها وقيصومها ؟ .

٢ ـ الحمى : لقد كان الحمى أيضا من الأماكن التى يتذكرها شاعرنا باستمرار فتهيج فى قلبه الشوق ، وقد كرر ذكر الحمى فى قوله :

ألا من لعين لا ترى قلل الحمى ولاجبل الأوشال إلا استهلت

ويقول بعد ذلك :

ألا قاتل الله الحمى من محلة وقاتل دنيانا بها كيف ولت

غنينا زمانا بالحمى ثم أصبحت عراض الحمى من أهلها قد تخلت(٣)

ويقول :

قفا فانظرا نحو الحمى اليوم نظرة فإن غداة اليوم من عهده العهد(٤)

---

(١) معاهد التنصيص ٣/٢٥٠ .

(٢) مجموعة أدب ورقة ١٤ .

(٣) التعليقات والنوادر ورقة ٢٦

(٤) معجم البلدان ٦/٩٤ .

ويقول فى قصيدة أخرى :

وإن كنت قد علقت من ساكن الحمى ... مكذبة وعدى صدوقا وعيدها[١]

ويقول :

هل تجزينى العامرية موقفى ... على نسوة بين الحمى وغضى الجر[٢]

ولم ينس الحمى وهو فى الرمق الأخير :

تعز بصبر لا وجدك لا ترى ... بشام الحمى أخرى الليالى الغوابر

كأن فؤادى من تذكره الحمى ... وأهل الحمى يهفو به ريش طائر[٣]

ويقول فى عينيته :

قفا ودعا نجدا ومن حل بالحمى ... وقل لنجد عندنا أن تودعا

ثم يقول :

وأذكر أيام الحمى ثم أنثنى ... على كبدى من خشية أن تصدعا

فليست عشيات الحمى براجع ... عليك ولكن خلّ عينيك تدمعا[٤]

ويقول فى هذه القصيدة :

فقلت سقى الله الحمى ديم الحيا ... فقلن سقاك الله بالسم منقعا

وقلت عليكن السلام فلا أرى ... لنفسى من دون الحمى اليوم مقنعا[٥]

---

(١) الأشباه والنظائر ٢/١٤٠ .
(٢) الأغانى ٦/٣ .
(٣) الأغانى ٦/٤ .
(٤) مجموعة أدب ورقة ١٤ .
(٥) الأشباه والنظائر ٢/٢٦ .

ويقول أيضا :

ألا تسألان الله أن يسقى الحمى   بلى فسقى الله الحمى والمطاليا
وأسأل من لاقيت هل مطر الحمى   فهل يسألن عنى الحمى كيف حاليا[1]

٣ ـ النير : والنير أيضا من الأماكن التى احتلت محل الصدارة فى شعر الصمة ، فقد كان جبل النير بأوديته وهضابه وقننه وشماريخه من الأماكن التى تدفع صاحبنا إلى التذكر المستمر، ولذلك فإن هذا الجبل حظى من الصمة بالذكر المستمر ، وهذا يدل على أن لشاعرنا ماضياً فى هذا الجبل وما حوله ، يقول فى النـــير :

خليلى إنى واقف فمسلم   على النير فارتاحا قليلا فسلما
فإنى أحب النـير والبرق التى   بها النير حبا خالط اللحم والدما
فلو زال هضب النير عن سكناته   لميمت من وجد به حيث يمما
ولو كلمت صم الجبال بموطن   صديقا لحيانا إذاً وتكلما[2]

ويقول فى عينيته :

ولما رأيت النـير قد حال بيننا
وجالت بنات الشوق فى الصدر نزعا[3]

ويقول أيضا :

فلما رأينا قلة النير أعرضت   لنا وجبال الحزن غيبها البعد[4]

---

(١) الأغانى ٦/٣ .
(٢) الأشباه والنظائر ٢/١٣٨ .
(٣) الأغانى ٦/٥ .
(٤) معجم البلدان ٦/٩٤ .

لقد أحب الصمة النير حبا خالط اللحم والدم كما ذكر فى المقطوعة السابقة ، إنه الحنين إلى الوطن يتمثل فى هـذه المقطوعة ، لقد أعطى الصمة وطنه كل ما يملك من حب ، والصمة وإن ذكر مواضع كثيرة فى شعره إلا أن هذه الأماكن تميزت عن غيرها بكثرة حنينه إليها فهى لم تمر عرضا ، وإنما يذكرها وقلبه يتفطر شوقا إليها ، ونجد يشتمل على النير وعلى الحمى ، فالحمى كما تقدم معنا أرض واسعة فى عالية نجد ، والنير جبل فى عالية نجد أيضا .

هذا هو الحنين إلى الوطن فى شعر بنى قشير يتمثل لنا فى شعر الصمة بن عبد الله القشيرى أكثر من غيره من الشعراء الذين حنوا إلى بلادهم ، ذلك أن الصمة نزح عن هذه البلاد التى نشأ فيها واكتوى بنار الفرقة والبعد ، وعاش بقية حياته فى الشام ثم فى خراسان فيئس من الرجوع إلى بلاد نجد ، أما يزيد ابن الطثرية والأقرع بن معاذ والمختار بن وهب ومصعب بن الطفيل فإنهم لم ينزحوا عن بلادهم ، وإنما ينتقلون من مكان إلى مكان آخر فى هـذه البلاد الواسعـــة .

٤ — الهجاء :

المجتمع العربى مجتمع يحترم القيم الاجتماعية أيا كانت هذه القيم ، سواء كانت قيماً خيرة أم قيماً سيئة ، كان ذلك هو السائد فى المجتمع الجاهلى وبقيت رواسبه فى العصر الإسلامى . ولا شك أن المنزلة الاجتماعية لأى شخص كان مربوطة بهذه القيم ، فإذا تمسك الشخص بالقيم الخيرة وابتعد عن العادات السيئة فإنه سيكون له مكانة مرموقة فى مجتمعه وبين قومه ، ومهمة شاعر الهجاء هى تجريد المهجو من الصفات الحميدة ما أمكنه ذلك ، وقد يكون المهجو له مكانته

الاجتماعية المقتنع بها لدى الناس جميعا ، ولكن الشعر له أثره الكبير فى الحط من تلك المنزلة مهما كانت عالية ، لأن الشىء إذا قيل سار بين الناس ، وتناقلوه ، ولن يسألوا بعد ذلك عن صحته ، فكم من هجاء ألحق العار بقبائل وأشخاص لأن الشعر له سيرورته وسريانه بين الناس ، فهو سهل الحفظ ، قوى التأثير ، ومن ثم كان الشاعر الهجاء يخاف منه فى كل مكان ، ويحترم ظاهريا فى كل منزل ينزل به ، سلاحه لسانه ، وسهامه قوافيه . ويا ويل من أصابته تلك السهام ، وشعراء بنى قشير كغيرهم من شعراء القبائل الأخرى ، منهم شعراء اشتهروا بالهجاء كابن الثغاء ، وميمون بن عامر ، وجعفر بن الربيع ، ومنهم شعراء قالوا بعض القصائد أو المقطوعات فى الهجاء وإن لم يشتهروا كهجائين ، والهجاء عند بنى قشير ليس حرفة للشاعر يتخذه وسيلة لتخويف المهجو إذا لم يعطه ما يرضيه ، وإنما هو ناتج عن حالات نفسية معينة ، يفرضها ظرف معين ، كسيطرة رئيس فى حرب وعدم استجابته لمن هو دونه ، أو لتهديد حياة الشاعر فيجد نفسه ملزما بالدفاع عن كرامته ، أو لجور قريب على قريبه فلا يجد الشاعر بدا من هجاء ذلك القريب . والحالات كثيرة ومتنوعة ، ولكننا أردنا أن نذكر شيئاً منها ، والهجاء قد يوجه إلى قبيلة أو أسرة ، فمن ذلك قول نوال بن الثغاء اللبينى فى بنى ظالم بن نمير سكان قرقرى ، وقد خص الشاعر منهم زهير بن الأعنق ومفرج بن دويل ، فذكر أن ابن دويل لا يكرم الضيف ولا يكتسب مكرمة حميدة ، وإنما هو عبد كَسِيلٌ ، ثم وصف الشاعر هذه الأسرة بعدم التعاون ، فنصف هذه الأسرة فى فقر مدقع ونصفها الآخر فى ثراء فاحش ، ومع ذلك فإن الأغنياء لا يساعدون الفقراء ، وما دامت هذه حالهم فإن الثناء لن يصل إليهم أبدا ، وإنما سيحلق بهم العار

دائما ، ثم يتساءل الشاعر بعد ذلك : أما كان فى هذه الأسرة واحد يشترى لها المحامد ويبعد عنها العار ؟ وبعد ذلك هـدد الشاعر هذه الأسرة بأنه سيقول فيهم الهجاء المقذع ، ووصف قصائده بأنها كالإبل التى أصيبت بالجرب وأن هذه القصائد ستطير من الأفلاج إلى قرقرى بسرعة عجيبة كسرعة القطا :

وجدت زهيرا شر حى مدحته ... وفى ابن دويل ضربة بزواء
فليس بقوام إلى الضيف بالقرى ... ولـكنه عبد عليه عفاء
على ابن دويل بهلة الله كلما ... أهلّ حجيج محرم بحراء
وجدتهم نصفين هزلى ونصفهم ... سمان فما يبغون حسن ثناء
أما كان فيـكم واحد يشترى لـكم ... مديحا يغالى ويحكم برداء
ضمنت لـكم إن بنت عنـكم قصائدا ... بهـا جرب لم أطلها بهناء
قصائد من أفلاج يطابن قرقرى ... كسير القطا فى غـبرة وطهاء(١)

وهذا جعفر بن الربيع يهجو بنى شافع بن عقيل فيذكر أنهم يضربون ضيوفهم ، وأن القرى فيهم إحدى الرزيات ، وأن كلبهم ليس له مهمة إلا طرد الضيوف عن بيوت هؤلاء حتى لا يصل إليهم أى ضيف :

انهوا بنى شافع عن ضرب ضيفهم ... إن القرى فيهم إحدى الرزيات
وكلبهم عنقش يعدو بعنصله ... يطرد الضيف عنهم بالعشيات
إن البغال إذا أجدتها علفا ... شابهن حتى تقول الأعوجيات
لا يستوى سابق فى بيت مكرمة ... وأبغل فى رباط نخـو ريات
هودان أكرم من عون إذا نزلت ... أضياف ليل وأندى بالتحيات(٢)

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٧٠ .

(٢) المصدر السابق ورقة ٧٢ .

أما القارعة بنت معاوية القشيرية فإنها تدافع عن قومها فى يوم النسار وتذم بنى كلاب الذين شاطروا الأعداء سبيهم ، وتخص بالذكر ذا اللحية ابن عامر بن عوف بن أبى بكر بن كلاب ومسهر بن عبد قيس بن ربيعة ابن كعب بن عبد الله بن أبى بكر بن كلاب ، وترد الشاعرة مزاعم بنى كلاب التى تقول إنهم منعوا النساء ، فتقول الشاعرة إن بنى كلاب يختفون خلف ما يواريهم وبولهم يتقطر من الخوف وتستثنى الشاعرة بنى المجنون وهم من بنى كلاب ؛ تقول :

منـــا فوارس قاتلوا عن سبيهم ... يوم النسار وليس منـــا أشطر

ولبئس ما نصر العشيرة ذو لحى ... وحفيف نافجة بليل مسهر

ضبعا هراش تعفران استيهما ... فرأتهما أخرى فقامت تعفر

زعمت بزوخ بنى كلاب أنهم ... منعوا النساء وأن كعبا أدبروا

كذبت بزوخ بنى كلاب إنها ... تمشى الضراء وبولها يتقطر

حاشى بنى المجنون أن أباهم ... صات إذ سطع الغبار الأكدر

لولا بيوت بنى الحريش تقسمت ... سبى القبائل مازن والعنبر[1]

وقد يكون الهجاء لسكان منطقة معينة ، وهذا يتمثل فى أبيات حبيب ابن يزيد الذى يتأسف على خلو الريب من سكانه الأكارم وهم حبيل وبيهس ويقول الشاعر : إننى عندما أزور هذه البلاد فإننى لا أجد فيها إلا الموالى ذوى اللحاء الكبيرة :

أرى الريب أمسى من حبيل وبيهس ... وأهـر مغـبر الجوانب خاليا

(١) النقائض ١/٢٤٢ .

ثم يقول :

كفى حزنا أنى إذا جئت لا أرى   على تلك الاطواء إلا المواليـــا
قعودا عليها ينفضون لحاهم   كما نفضت خيل جياد مخاليـــا[٣]

وإذا كان الهجاء فيما تقدم موجها إلى أسرة أو قبيلة أو سكان منطقة فإنه قد يصدر من الشاعر إلى شخص معين لسبب من الأسباب ، من ذلك قول قعنب أحد بنى حبيب فى عبيد الله الطريد :

تمنى عبيد الله قتلي وليتـــه   منى لعبيد الله مان لقائيـــا
فجاح بمعزى الوايلية واحتلب   مكان تمنيك الرجال الدواهيا[١]

ففى هذين البيتين يحاول قعنب أن يقلل من شأن عبيد الله الطريد، وأنه ليس أهلا للقتل ، وإنما عمله يقتصر على السير خلف المعزى واحتلابها ، فسبب الهجاء فى هذين البيتين هو تهديد حياة الشاعر . وقد هجا يزيد بن الطثرية أبا لطيفة العقيلى فى أثناء الحرب التى خاضها يزيد ضد بنى حنيفة ؛ ذلك أن أبا لطيفة لم يقبل رأى الآخرين فى التخطيط لهذه الحرب ، فقال يزيد :

أبلغ أبا لطيفة المعانـــدا   المطعم الستة مدا واحدا[٢]

فقد وصفه بالعناد والبخل فى هذين البيتين. وقد هجا يزيد بن الطثرية أيضا فديك بن حنظلة الجرمى لأن فديكا هذا قد هجا يزيد بن الطثرية بسبب تعرض يزيد لبعض نساء فديك ، فرد عليه يزيد قائلا :

أنعت عيرا من عيور القهر   أقر من شر حمير قـــر

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٧٣ .
(٢) المصدر السابق ورقة ٥٩ .
(٣) شرح الحماسة للتبريزى ٣/١٦٣ .

صبح أبيات فديك يجـرى منزلة اللـؤم ودار الغدر
فلقيته عند باب المقـــر ينشطها والدرع عنـد الصدر
نشطك بالدلو قراح الحفر[٣]

فقد وصف الشاعر منزل فديك بأنه منزل لؤم وغدر ، ووصف نساءه بالفساد . وقد يكون سبب الهجاء جور ابن العم على ابن عمه ، فقد هجا نوال ابن الثغاء ابن عمه أحمد لأنه لا يساعده فى الملمات ، وقد وصف الشاعر ابن عمه هذا بأنه أعوام حطمة يقول :

ألا ليت لى بيعا بأحمد جحفـلا إذا ما ملمات الزمان ألمـت
ألا ليت لى بيعا بأحمـد جحفـلا ولو قطعت يمنى يدى فشلـت
أرى جحفلا يعطى الجزيل ابن عمه وأحمـد يعطى نعجة حين حلت
فأحمـد لابن العم أعوام حطمة وهذاك يندى روضة حين طلت[١]

وقد ذم الشاعر جحفلا هذا الذى ذكره فى هذه الأبيات وبين أنه روضة تندى ، ذمه بعد ذلك فقال :

وضعت مديحى فى قفا العير جحفل وكل مديح فى قفا العير ضائع
إذا رابنى منهم لئيم مدحتـه رددت مديحى مثل رد الودائع[٢]

ونأتى إلى ميمون بن عامر فنجد أن هجاءه إنما هو دفاع عن النفس ، فقد هجا الشاعر مدركا الحيدى لأن مدركا قد هجا ميمون بن عامر ، ومن هنا نجد أن هجاءه إنما هو دفاع عن كرامته ،وقد وضح شاعرنا فى الأبيات التالية أن ما قال مدرك إنما هو زور والزور سيفنى حتما :

(١) الأغانى ٨/١٧٣ .
(٢) التعليقات والنوادر ورقة ٤٥ .
(٣) المصدر السابق .

أما والراقصات ببطـــن جمـــع ... أطن تناضلا بحصا المتـــان
لو أن أبا رزام خليـــل نفسى ... أطاع الناصحين لما هجانى
ولـكن الأعادى لم يزالـوا ... بماجن سلحة حتى افتلانى
كحامى غيضة حسد عليـــه ... نجيع دم كلون الأرجـــوان
إذا ضرب الفرائض جاش منهـا ... سوافى الجوف إيزاغ الهجان
سلوا الأجناب عنا يابن خالى ... وجيران البيوت بنى أبان
وحيًّا من عطارد آل عوف ... إذا ما النقع قسطل كالدخان
ولاحت فى الأكف مشطبات ... من المندى أو قضب اليمانى
ونحن بمجلس يخشى رداه ... يذبب عن حريم المالـان
يطالع من خصاص البيت حبوا ... طلاع الوبر من خلل القنان
فأما ما تقول على زورا ... فإن الزور ياملمان فإن
ويبقى الحق مابقى الليالى ... وما عبد الصليب الراهبان(١)

وإذا كان الهجاء فى هذه القصيدة ليس قاسيا فإن لشاعرنا هجاء أشد وطأة على المهجو ، فقد وصف الشاعر مدركا بالعجوز الخبيثة ، ثم وصف شعر حاجبه المتدلى بأنه يشبه شعر الاست ؛ وقد ذكر الشاعر بعد ذلك أنه سيواصل هجاء مدرك هذا ومن يساعده ، حتى لايستطيعوا الحديث أمام الناس بسبب ما سيلحق بهم من العار :

مثل ابن خالى مدرك بهجائه ... لما قدحت ولم أكن مفحاما
مثل العجيز ترتقى فى حالق ... تبغى الخبيثة أن تصيد حماما
فهوت وطـار حمام شيق مشرف ... قد كان من ضلع الوعول مقاما

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٧٥ .

قبحا لحاجبه الأزب كأنه ... هلب است ناب تسلح الغلاما
أنى سأتركه ومن يرمى له ... لاينطقون مع الرجال كلاما
أنى رأيتهم عدمت وجوههم ... وشموا اللثات وضيعوا الأياما[(١)]

وقد استمر الشاعر فى هجاء مدرك هذا فنجده فى القصيدة التالية يحاول تجريد المهجو من الصفات الحميدة ، فيذكر أنه ليس ممن يستقبل الوفود وليس ممن يفد على الأمراء ، وإذا نال منه أحد فإنه لايستطيع الدفاع عن نفسه ثم ذكر أنه يتصف بالبخل والجبن :

فما بات وفد ليلة عند مدرك ... ولا ضرب القزاح باب أمير
ولا أدرك القزاح نيلا ولا نكا ... عدوا ولا يرجو نداه فقير
سوى شقحات ليس فيهن للعدا ... نكال ولا يرضى بهن سفير
كما نبح الكردى عن بيت أهله ... له بين أطناب البيوت هرير
سلوا الشم من فتيان قرة باللوى ... وللبيض فى أيدى الكماة خطير
وفتيان عوف عاقدون لواءهم ... لهم تحته بالمخاصات زئير
إذا حملوا لا قاهم كل شيظم ... بضرب دارك ليس فيه حبور
وسيف القرنبى فى اللحاق وقلبه ... غداة التقوا بالقاع غير وقور
وحالى ضبح مشرف فوق يافع ... يكاد حذار اللامعات يطير
كما طار يعسوب الجهام عشية ... حدته بصراد الشمال دبور[(٢)]

وإذا كان الهجاء فى الغالب يلحق بالرجال فإن من شعراء بنى قشير من هجا النساء ، فهذا بعض شعرائهم يذم امرأة ويقول : عند ماتسير إلى هذه المرأة فاركب حمارا ولا تركب جملا ، لأن هذه المرأة قذرة ، فالذباب يتهافت عليها كما يتهافت على اللحم الفاسد :

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٥١ .

(٢) المصدر السابق ورقة ٧٦ .

إذا زرتها فاركب حمارا ولا تضع   إليها هداك الله وخذ بعـير
فإن رسيم العير يذهب ضيمـة   وبئس مزار الحر حين يزور
عليها من الذبان فىء كأنما   يرين بها فى البيت لحم جزور[1]

ويقول الأقرع بن معاذ القشيرى فى ذم امرأة :

لعمرك إن المس من أم خالد   إلى وإن ضاجعتها لبغيض
إذا بز عنها ثوبها فكأنما   على الثوب نمل عاذم وبعوض[2]

فالشاعر يكره مضاجعة أم خالد لهـذه الأسباب التى أبداها ، وهى عدم اعتنائها بنظافة ثيابها وجسدها . أما الصمة بن عبد الله القشيرى فإنه قد هجا زوجته جبرة بنت وحشى بن الطفيل قائلا :

كلى التمر حتى تهرم النخـلى واضفرى
خطامك ما تدرين ما اليوم من أمس[3]

هذا هو الهجاء عند شعراء بنى قشير ، يوجه إلى القبيلة أحيانا وتارة إلى شخص معين ، وقد يكون الهجاء موجها للمرأة .

٥ — المـدح :

الإنسان بطبيعته ميال إلى التقدير والاحترام ، فهو يحب سماع كلمات الإطراء والمدح وخصوصا إذا كان أهلا لذلك ، والشعراء أقدر النـاس على التعرف على خفايا النفس الإنسانية ، فهم يبحثون عن الصفات الحميـدة التى تتوفر فى ذلك الممدح ليعلنوها على الملأ ، فإذا سمع الممدوح ذلك الإطراء من

(١) والتعليقات والنوادر ورقة ٤٦ .
(٢) الحيوان ٧/١٦٠ .
(٣) الأغانى ٦/٢ .

الشاعر هشت نفسه وجادت بالكثير من المال لذلك الشاعر . والصفات التى يختارها الشعراء دائما هى : الكرم ، والشجاعة ، والسياسة الحكيمة ، وعراقة الأصل ، وثبات المجد والسيادة ، وقضاء الحاجات ، وقد يمدح الشاعر ممدوحه إعجابا بشخصيته فى ناحية معينة لا طلبا للمال ، وقد يمدح الرجل ابنه إعجابا بذلك الابن ، فالمدح ليس للتكسب دائما ، وإذا كان شعر المدح قد اشتهر بأنه شعر تكسب ، فإن السبب فى ذلك هو بعض الشعراء الذين اتخذوا المدح وسيلة لجمع المال ، وشاعر المدح له دور كبير فى الحياة الاجتماعية ، فكثيرا ما دفع الشاعر عن قومه كثيراً من غوائل الدهر ، فتارة يمدح أميراً لفك أسرى قومه وتارة يمدح قائداً لدفع شره عن قومه : فالدور الذى يقوم به شاعر المدح إنما هو دور بارز وحيوى بالنسبة لأسرة ذلك الشاعر أو قبيلته ، وشعراء بنى قشير يتفاعلون مع الحياة الاجتماعية كغيرهم من الشعراء ، فلهم دور فى قومهم لا يستهان به ، فهذا منقذ بن عطاء يمدح جهم بن عقيدة لأنه تحمل كثيراً من الديات ، فهو يمدحه بهذه الصفة الكريمة التى تدل على الشهامة وتحمل المسئولية ، ولكن الشاعر لا يقف عند هذه الحادثة ، وإنما يمدح عقيدة بالكرم وإطعام الضيوف :

أقول لفتية شدوا عجالى ... على قلص ضوامر كالسمام
يجبن بنا الفلاة إلى ابن مزن ... كريم فى مواضعه همام
إلى جهم فتى كعب جميعا ... وأكرمها إذا عد الكرام
وحمال الديات إذا ظلمنا ... وضاق الأمر واشتد الحزام
ترى الضيفان حوله مثل شاء ... على ماء أطاف به حيام[1]

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٢٢٠ .

والكرم من الصفات التى يعشقها الجميع ، ولذلك فإن الشعراء يجعلون هذه الصفة فى مقدمة الصفات التى يصفون بها ممدوحهم ، فيزيد بن الطثرية عند ما مدح عمر بن ليث مدحه بالكرم المفرط وكثرة العطاء يقول :

حمراء تامكة السنام كأنها جمل بهودج أهله مظعون
جادت بها يوم الوداع يمينه كلتا يدى عمر الغداة يمين
ما إن يجود بمثلها فى مثله إلا كريم الخيم أو مجنون[1]

وعندما مدح يزيد أخاه ثورا مدحه بالكرم ، فيذكر لنا الشاعر أنه يجىء إلى ثور عند ما تلم به ملمة فيجد من أخيه الصبر على طلباته المستمرة والتى ليس لها نهاية ، ويقول الشاعر : إن هذا دأبى ما بقيت فى هذه الحياة وما بقى لثور بعير يمشى على وجه الأرض :

نجىء إلى ثور فنيم رحيلنا وثور علينا فى الحياة صبور
أشد على ثور وثور إذا رأى بنا خلة جزل العطاء غفور
فذلك دأبى ما بقيت وما مشى لثور على ظهر البلاد بعير[2]

وتارة يعمد الشاعر إلى جمع صفات عديدة ليصف بها ممدوحه كما فعل قدامة بن الأحرز القشيرى عند ما مدح عبد الله بن الحشرج ، فقد وصفه بالسيادة والتقدم فى معد كما وصفه بعراقة الأصل والكرم والشجاعة :

أخ وابن عم جاءكم متحرما بكم فارأبوا خلاته بابن حشرج
فأنت ابن ورد سدت غير مدافع معدا على رغم المنوط الملهج
فبرزت عفوا إذ جريت ابن حشرج وجاء سكيتا كل أعقد أفحج

(١) الحيوان ١٠٧/٣ .
(٢) الأغانى ١٦٨/٨ .

سبقت ابن ورد كل حاف وناعل بجد إذا حار الأضاميم ممعج
بورد بن عمرو فيهم إن مثله قليل ومن يشر المحامد يفلج
هو الواهب الأموال والمشترى اللها وضراب رأس المستميت المدجج[١]

ومن المدح الطريف ما قاله بعض شعراء بنى قشير فى ابن عاذوق، وابن عاذوق هذا من موالى قشير ، فقد وصفه الشاعر بالكرم والسيادة ، ويقول الشاعر أن ابن عاذوق لو كان صريح النسب لكانت له السيادة على الناس ولكنه مولى فساد الموالى أمثاله :

فديت ابن عاذوق الملامة إنه تبارى يداه المصفات السواريا
فلو كان من قوم صريح لسادهم ولكنه مولى فساد المواليا[٢]

وقد يكون المدح لجماعة وليس لشخص بعينه كما فعل ميمون بن عامر عندما مدح بنى حسان وقائدهم محمد بن عيسان ، فيقول الشاعر : إنى لقيت محمدا هذا فى عصبة من قومه وقد تقلدوا الرماح ، فهم يشبهون أسود الغاب فى شجاعتهم المتناهية ، إنهم يتقدمون نحو السيوف بدون خوف ولا وجل حتى تبين مواقف المبرزين :

ولقد لقيت محمدا فى عصبة كأسود غاب من بنى حسان
متقلدين صفائحا هندية لاينكلون إذا التقى الصفان
يدنون من أسل الرماح نفوسهم حتى يبين مواقف الفتيان[٣]

ومما يمدح به الرجل حسن السياسة فى قومه إذا كان من ذوى المنزلة

(١) الأغانى ١٢/٢٤ .
(٢) التعليقات والنوادر ورقة ٤٦ .
(٣) المصدر السابق ورقة ٦٠ .

الاجتماعية العالية ، فقد مدح الحسين بن جابر الريحى المختار بن وهب بحسن السياسة والتقريب بين الآراء ، ثم أشار الشاعر إلى أن الممدوح له أصل ثابت فى التقدم فى قومه ، فليس غريبا عليه أن يفعل ذلك :

غداة يسوس رأى بنى قشـير   أبو وهب ويأمر بالصواب
يدانى بينهم ويلين أريا   ليحملهم على قحم صعاب
عُبيدىّ الصميم عطاردى   تمكن من ربيعة فى الروابى
غذته جعفر وبنو قشير   كلا الجدين صح بغير عاب[1]

ومما يمدح به الرجل قضاء الحاجات ، فقد وفدت امرأة من بنى قشير على خالد بن عبد الله القسرى، فمدحته بقضاء حاجات الناس الذين يفدون عليـه ، فالناس مابين صادر ووارد على الممدوح ، فهم يشبهون الحجيج بكثرتهم،وخالد هذا له قدم ثابتة فى المجد ، وليس المجد القديم مثل المجد الجديد :

إليك يابن السادة الأماجد   يعمـد فى الحاجـة كل عامـد
فالناس بين صـادر ووارد   مثل حجيج البيت نحو خالد
أشبهت ياخالد خير والد   أشبهت عبد الله بالمحامد
ليس طريف المجد مثل التالد[2]

ومن شعراء بنى قشير من مدح ابنه مثل الأقرع بن معاذ القشيرى الذى مدح ابنه بالوفاء لأبيه ، فهو من الأبناء البررة الذين لايتطاولون على آبائهم وإنمايتصفون باللين ودماثة الخلق تجاه آبائهم ، وإن كانوا أشداء أقويا تجاه أعدائهم ، وبجانب هذه الشدة أمام الأعداء فابن الأقرع رجل كريم يهـتز للـكرم كما يهتز الغصن الرطب عندما تحركه الرياح :

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٥٢ .

(٢) أشعار النساء ٩٩ .

رأيت رياطا حـــين تم شبابـــه ... وولى شبابى ليس فى بره عتب
إذا كان أولاد الرجال حزازة ... فأنت الحلال الحلو والبارد العذب
لنا جانب منه دميث وجانب ... إذا رامه الأعـداء ممتنع صعب
وتأخذه عند المكارم هـــزة ... كما اهتز تحت البارح الغصن الرطب[1]

وإذا كان الأقرع بن معاذ قد مدح ابنه بهذه الأبيات فإن ضباعة بنت عامر بن قرط قد مدحت ابنها سلمة؛ من الرجال الكرماء وهو شجاع يشبه الأسد فى جرأته ، ومن أصابه سيفه فإن الحياة لن تـكتب له بعد ذلك :

اللهـــم رب الكعبة المحرمه ... انصر على كل عدو سلمه
له يدان فى الأمور المبهمه ... كف بها يعطى وكف منعمه
أجرأ من ضرغامة فى أجمه ... يحمى غداة الروع عند الملحمه
بسيفه عورة مرب المسلمه[2]

هذا هو المدح عند شعراء بنى قشير ، تشتمل معانيه على الكرم والشجاعة والسيادة ، ومن خلال ماتقدم من الأبيات التى عرضناها يتضح لنا أن هذا الغرض ليس من الأغراض التى توسع فيها شعراء بنى قشير ، فهؤلاء الشعراء لم يكونوا شعراء مدح محترفين ، وإنما يعبرون عن إعجابهم تجاه مايرون فى مواقف معينة تدفعهم إلى ذلك .

٦ — الفخـــر :

الفخر والتباهى بما يعمل الإنسان شىء متأصل فى نفسه ، فلو ألقينا نظرة سريعة على عدد من الناس لوجدنا أن كل واحد منهم يقول: عملت كذا وكذا والشعراء يعبرون عن أعمالهم بالشعر ؛ فيفخر الشاعر بعمله أو بقوة قبيلته أو

(١) شرح الحماسة للتبريزى ١/١٤٤ .
(٢) بلاغات النساء ١٧٨ .

بانتصاره على عدو أو بانتصار قبيلته فى حرب ، والفخر غالباً يكون بعد النصر فإن الشاعر بعد ما ينتصر فى عمل ما تأخذه نشوة النصر فيترجم ذلك فى قصيدة مؤثرة ، والمعانى التى يفتخر بها عادة الكرم ، والشجاعة ، وعراقة الأصل ، وكثرة الأسفار ، والجرأة والسير فى الظلام ، وعدم الصبر على الضيم ، والإقدام على الخير ، وسياسة الأمور سياسة حكيمة ، والصبر على حوادث الدهر ، هذه المعانى وغيرها نجدها تدور على ألسنة شعراء بنى قشير فى فخرهم ، فهذا يزيد بن الطثرية يفتخر بسرعة تقديمه الطعام لضيوفه عند ما نحر الإبل وشوى اللحم بسرعة عجيبة ، حتى إنه يطلب من صاحبه أن يجتز الشيح ولا يقتلع أصوله ليوقد به النار التى تنضج اللحم يقول :

وفتيان شويت لهم شــــواء سريع الشى كنت به نجيحا
فطرت بمنصلى فى يعمـــــلات دوامى الأيد يخبطن السريحـــا
فقلت لصاحبى لا تحبسانا بنزع أصـــوله وأجزّ شيحا[1]

وهذا المجنون القشيرى يفتخر بإنهابه ماله ، ويقول : لست بمجنون ولكنى كريم أجود بما عندى عند ما يمسك الناس أموالهم ، وقد رمى هذا الشـــاعر بالجنون لإفراطه فى الكرم يقول :

لست بمجنون ولكنى سمح
أجود بالمـال إذا قل القمح[2]

وتفتخر امرأة من بنى قشير بكرم قومها وأنهم يؤثرون الضيف بالطعام الجيد ، ويعطون من يفد عليهم العطاء الجزيل ، تقول :

(١) المقاصد النحوية ٤/٥٩١ .
(٢) المؤتلف والمختلف ٢٩٠ .

وتقفى وليد الحى إن كان جائعاً ونحسبه إن كان ليس بجائع[١]

وإكرام الضيف مقدم على كل شيء عند بنى قشير ، فعوسجة بن نصر المربحى يأمر زوجته أن تعد قرى للضيوف ، وتقدمه على أى عمل آخر ، ويقول إن أبى أوصانى بإكرام الضيوف ، وإن جدى أوصى أبى بذلك :

أعدى قرى يا أم نصر فعجلى لمن ضافنا ثم افرغى لعيالك
ألا إن جدى كان أوصى به أبى قديماً وأوصانى أبى مثل ذلك[٢]

ومما نخر به شعراء بنى قشير كثرة المال ، لأن كثرة المال تتيح لصاحبه الإنفاق المستمر ، فالأقرع بن معاذ يفتخر بكثرة إبله ، وأن هذه الإبل محبسة من أجل الضيوف ، ثم يذكر الشاعر أنه وقومه يتصفون بالحلم ، فإذا أوردوا إبلهم فإنهم لا يتهالكون على سرعة شربها ، يقول :

إن لنا صرمة تلفى محبسة فيها معاد وفى أربابها كرم
تسلف الجار شربا وهى حائمة ولا تبيت على أعناقها قسم
ولا تسفه عند الحوض عطشتها أحلامنا وشريب السوء يحتدم[٣]

ومما يفتخر به الكريم الإنفاق فى وقت الشدة ، فعائذ بن نمى يقول : إذا أردتم أن تعرفوا جودى وكرمى فاسألوا امرأتى : هل أنا جواد إذا هبت النكباء؟ وهل تنطلق أساريرى عند قدوم الضيوف ؟ إننى لا أسأل عن شيء من الزاد فى بيتى ، وإنما أصرف بسخاء :

سلوها فعرس المرء أدنى شهوده إذا هبت النكباء بالقزع السحم

---

(١) سمط اللآلى ٨٩٩ .

(٢) التعليقات والنوادر ورقة ٤١ .

(٣) شرح الحماسة للمرزوقى ٤/١٧٢٨ .

أأبيض بسام إذا طلب القرى   إذا نزل الأضياف أم برم فدم
لقد علمت ألا أكيل حتيتى   عليها ولا تخشى اطلاعى فى العكم
ولا أتغدى وهى غرثى ولا أرى   خوف قرى الأضياف فى عنة البهم[١]

وإذا كان الكرم فى مقدمة الصفات التى يفتخر بها المفتخر فإن الشجاعة ومصارعة الأقران والانتصار فى الحروب من أهم الأشياء التى يفتخر بها شعراء بنى قشير ، فهذا عياض بن كلثوم يفتخر بانتصار بنى قشير على بنى شيبان ، ذلك أن عمران بن مرة بن ذهل بن شيبان أغار على بنى نمير فأصاب منهم أموالا ونساء ، وعندما قفل عائدا مر على بنى قشير ، وكانت بنو قشير قد علمت بما عمل عمران فى بنى عمومتهم ، فاستنفر قرة بن هبيرة القشيرى من حوله من بنى قشير ، ولحقوا بعمران فدارت المعركة بين الفريقين وقتل قرة بن هبيرة عمران ابن مرة ، فقال عياض بن كلثوم هذين البيتين يفتخر بذلك :

وعمران بن مرة قد تركنا   نجيع دم للحيته خضابا
سقيناه بأهوى كأس حتف   تحساها مع العاق اللعابا[٢]

وإذا كان عياض بن كلثوم قد افتخر بانتصار بنى قشير على بنى شيبان فإن عبيد الله الطريد يفتخر بقتله قعنبا ، وقعنب هذا هو الذى قتل ربيعة أخا عبيد الله الطريد ، فعبيد الله يفتخر بأنه أخذ ثأره من قعنب ، ويصف الطريق الذى أوصله إلى قتل قعنب ، فيقول : إنى دبيت له بنعف عريقة ، وكان حسامى أصيلا وقاطعا يقول :

أبلغ ربيعة حيث أمسى قبره   أنى ثأرت عظامه من قعنب

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٣٥ .

(٢) النقائض ١/٤٠٦ .

أبى دبيت له بنعف عريقة … بعد الدياث بذى حسام مقضب[1]

وعبد الرحمن بن قشير يفتخر بأنه هو وقومه قد حموا فلجا ، وحموا اللهابة، وأنهم أذاقوا الأعداء ضربا شديدا :

أقمنا بفلج واللهابة للعــــدا … بضرب كإحراق اليراع المسند[2]

ومن الذين افتخروا بأمجاد قومهم كلثوم بن عياض القشيرى ، فهـو يذكر أن قومه عندما يلاقون الأعداء ينزل الخوف والفزع فى أعدائهم ، وإذا كان قوم الشاعر من الذين يخوضون المعارك العديدة فإنهم كرماء وخصوصا فى أيام الجدب وأيام البرد ؛ يقول :

قتلنا نصفهم يوم التقينا … وطير نصفهم فرق فطاروا

وقد علمت معد أن قومى … لهم عد المكارم والفخار

وأنا حين تمسى الشول حدبا … مطاعيم إذا حب القتار

فإن الخيل تعرفنا إذا ما … تطاير عن قوائمها الغبار

نقودها إلى الأعداء حتى … نواقعهم وإن بعد المغـار[3]

والمختار بن وهب من الذين فخروا أيضا بشجاعة قومه ، وصبرهم فى الحروب ؛ فهو يقول : إن قومى يلاقون الأعداء فى ديارهم ، فقد كانت لهم حروب مع هزان وجرم ، وكان مسرح تلك الحرب بلاد الخرج :

من مبلغ كعبا على أحجارها … ونأيها فى الدار واستخبارها

أنا نوازى الحـرب فى ديارها … صارت لنا هزان من أمصارها

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٥٩ .

(٢) بلاد العرب ٢٤٩ .

(٣) حماسة ابن الشجرى ٤٥ .

محشدة جرما على أوتارها وخيمت بالخرج فى عسكارها
حتى استقام الرأى فى ائتمارها أن يمتنا الجيش فى اختيارها
لـدة تجرى على مقدارها(١)

وهذا خليفة بن عاصم يفتخر بانتصار قومه على بنى نمير وقتلهم سعيدا النميرى ، فهو يقول : لقد زرنا سعيدا ونحن نحمل السيوف القاطعة حتى تركناه بأرض لا يزوره فيها إلا سباع الصحراء وطير السماء ، وبالرغم من وقوف بنى نمير مع سعيد هذا فإن قبيلته لم تنجه منا :

وزرنا سعيدا لم نزر بهدية سوى مخلصات ثلمتها الوقائع
تركنا سعيداً لايرى ضوء بارق ويا بعد من لا تزدهيه اللوامع
بمعترك والطير يعكفن حوله عرائده دعم السباع الجوائع
فلم تنجه منا نمير بن عامر ولا شرب يذهبن والنقع ساطع(٢)

وإذا كان شعراء بنى قشير يفخرون بالكرم والشجاعة فهم يفتخرون أيضا بعراقة الأصل ، فالأقرع بن معاذ القشيرى يفتخر بأنه خلق من أصل عريق ، فهو من أشراف بنى عامر ، ولذلك فإن الأعداء لايطمعون فيه ، وهو مع ذلك يبعد نفسه عن الدنس ، فهو دائما يسعى إلى المواقف المشرفة ؛ يقول :

خلقت من الأشراف من آل عامر كموقع أم الرأس فيه المسامع
فما طمع الأعداء منى بعثرة ولا دنستنى عند ذاك المطامع
وإنى على جودى أعين سماحتى بمنع إذا ما قيل هل أنت مانع(٣)

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٣٣ .
(٢) المصدر السابق ورقة ٧٢ .
(٣) مجموعة المعانى ٨٧ .

ومن الذين فخروا بأصولهم العريقة ، المختار بن وهب ؛ فهو يفتخر بانتسابه إلى كعب وكلاب ، لأن هذا الأصل يكون القمة العالية فى بنى عامر ، ويقول بعد ذلك : إن سيطرتنا لم تقتصر على البر وإنما امتدت إلى البحر ،ويفتخر بعظم البيوت التى يقيمون فيها ،فيقول : إنها كالصخرات العظيمة، وهذه البيوت شيدها جد الشاعر(سعر) فى قديم الزمان ، فمجد الأسرة ليس حديثاً وإنما هو قديم ، وإذا كان قوم الشاعر لهم قدم راسخة فى المجد؛ فهم شجعان يخوضون المعارك بدون خوف ولا وجل ، ويذكر الشاعر بعد ذلك أن من أراد أن يقف على عزتنا وشرفنا فما عليه إلا أن يوافينا فى موسم الحج ؛ يقول :

أنا ابن كعب نسبا لم يكتم ... وابن كلاب فى السنام الأكوم

وكم لنا من ريف بحر خضرم ... وغائط سهل وجد معلم

ومن بيوت كالرضام الجثم ... شيدها فى الجاهلى الأقــــدم

سعر بأطـــــراف القنا المقوم ... كم من عدو ذى زهاء مجرم

صبحته فى وردنا المستقدم ... يحمل كل بطل مستلئم

منتجب الخال كريم الأعم ... بل أيها الخاوص مالم تحكم

هلا توافى فى حجيج الموسم ... حتى ترى فى البشر الحرنجم

غرتنا من عدد أو ميسم (١)

ومما فخر به شعراء بنى قشير كثرة الأسفار ، فالأبرق الحرى يفتخر بجرأته واقتحامه للصحارى ، فهو يذكر أن الناقة التى اتخذها فى سفره قد تعبت تعبا شديداً حتى ألقت حوارها ، وبالرغم مما أصاب هذه الناقة فهو يأمرها باقتحام حوضى دلاميس تلك الصحراء الواسعة؛ يقول :

ياناقة مسلمة الجعدى إن تخدى ... فقد رميت بماضى الهم جواب

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٣٢ .

أتبي خداجا فلا إتمام واحتسبي

حوضى دلاميس واغدى أيها الناب[1]

وأما يزيد بن الطثرية فهو يفتخر بالسير فى الظلام الدامس ، وفى العجاج الذى يغطى كل شىء ، وفى مثل هذه الظروف يكلف ناقته السير ، تلك الناقة التى اعتادت على السير فى وقت الظهيرة وفى كل وقت شدة ، هذه الناقة تسير فى الظلام وكأنما عنقها السيف الذى جرد من غمده ، يقول :

وإذا الظلام تعرضت أهــواله وكسا العجاج يلامقا وبرودا

كلفته قلصا ترى بدفوفهــــا ماء المـــواجر ذائبا وعقيدا

يرقلن فيه كأنما أعناقهـــا بيض سلبن حمـائلا وغمودا[2]

ويزيد بن الطثرية يهوى كل عمـــل شاق ، فهو لا يرضى بشىء يقدر عليه عامة الناس ، وإنما يهوى الشىء الذى لا يصل إليه إلا أمثاله يقول :

أعاف الذى لاهول دون لقائه وأهوى من الشرب الحريز المنعا[3]

والشاعر يلاقى الأحقاد بالجلد ، ويعد لأعدائه كل رد مناسب على تلك الأحقاد ، فهو لا يتقى أحقاد الأعداء بالرقى كما يفعل أذلاء الناس ؛ يقول :

لا أتقى حسك الضغائن بالرقى فعل الذليل وإن بقيت وحيدا

لكن أجـــرد للضغائن مثلها حتى تموت وللحقود حقودا[4]

وإذا كان الشاعـــر يفتخر بعدم الصبر على الضيم فهو يفتخر بحسن درايته

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٦٨ .

(٢) حماسة ابن الشجرى ١٩٩ .

(٣) محاضرات الأدباء ٢/١٠٥ .

(٤) الأغانى ٨/١٧٠ .

وسياسته للأمور ، ويذكر بعد ذلك أنه كريم على الرغم من قلة ماله ؛ يقول :

إذا أرسلونى عند تقدير حاجة أمارس فيها كنت عين الممارس
ونفعى نفع الموسرين وإنما سوامى سوام المقترين المفالس(١)

ويزيد بن الطثرية يفتخر بسرعة إجابته للخير ، فيقول :

سلى عنى الندمان حين يقول لى
أخو الكأس مانى القوم فى الخير أورد(٢)

ومن أجمل مافخر به شعراء بنى قشير قول الأقرع بن معاذ فى صبره على حوادث الدهر ، فهو يقول : إننى قد اعتدت على الأحداث حتى إننى لا أجزع من مصيبة ولا أفرح لمسرة ، فإن أصابنى الموت فسيجدنى صابرا جلدا ، وإن بقيت حيا فسيجدنى العدو سما ناقعا أقف له بالمرصاد ، ويذكر الشاعر بعد ذلك أنه يواجه المشاكل بصدر رحب ، وأن أى مشكلة تعترض طريقه لابد أن يجد لها حلا ، ويردف بعد ذلك بأنه مهما انتصر على أعدائه فإنه سيبرز له عدو جديد وهذه طبيعة الحياة ، وإذا كان بعض الأعداء يظهرون عداوتهم علنا فإن هناك من يخفى عداوته ، والشاعر لايكترث لذلك العدو الجاهل لأنه أدرى بسياسته ، ويقول بعد ذلك : إن بعض الأقارب يتعرض لى بسوء ، وعلى الرغم من ذلك فأنا أحاول إخراجه من كثير من النوائب التى تحل به ، يقول الشاعر :

ألم ترى أن دهرا قد تغير بى فلم ترى فرحا منى ولا جزعا
فإن هلكت وريب الدهر متلفة فلم أكن عاجزا نكسا ولا ورعا
وإن بقيت فجلد ذو مناطحة أسقى العدو نقيع السم والسلما

(١) الحماسة شرح التبريزى ٤ / ١٢٢ .
(٢) معجم مقاييس اللغة ٥/٢٧٧ .

حاسد مطلع ضاقت ثنيته إلا وجدت وراء الضيق مطلعا
ولا رميت على خصم بقارعة إلا منيت بخصم فر لى جذعا
كم من عدو أخى ضغن يجاملنى يخفى عداوته ألا يرى طمعا
حملت منه على عوراء طائشة لم أسه عنها ولم أكثر لها فزعا
فكم تورعت عن مولى تعرض لى رفهت عنه ولو أتعبته ظلمـا
إذ لا أزال على أرجاء مهلكة يستخبر الملأ الأعلى ما صنعا [1]

ومن شعراء بنى قشير من افتخر بالشخصيات البارزة فى قبيلته ، فسوار بن أوفى يفتخر بالمجنون القشيرى لأنه أنهب الناس ماله فى موسم الحج ، فتفرق الناس بعد ذلك الموسم، وكل واحد منهم يتعجب من كرم ذلك القشيرى ، وقد غضبت قريش لذلك الفعل الذى قام به المجنون القشيرى ؛ وقالت : إن ذلك الرجل مجنون ، يقول سوار :

ومنا نهيك أنهب الناس ماله مئين ألوفا لاجواد يرومهـا
فطارت على أيدى الحجيج وأحفظت قريشا وظنت أن ذاك يليمها [2]

هذه هى الصفات التى يفخربها شعراء بنى قشير ، فهى قيم ثابتة فى ذلك المجتمع يعتز بها كل إنسان ، وهى سمة فخر وعلامة اعتزاز ، إذاً فلا غرابة أن يدعى أولئك الشعراء أن تلك الصفات ثابتة فيهم وأنهم أهل لها، ومن خلال ما تقدم يتضح لنا أن الفخر لم يطرقه إلا شعراء قلة من شعراء بنى قشير، ومعظمهم من علية القوم وسادتهم .

وإذا كنا قد ذكرنا أهم الأغراض التى طرقها شعراء بنى قشير فإن هناك

(١) مجالس ثعلب ١/٢٥٤ .
(٢) المؤتلف والمختلف ٢٩٠ .

أغراضاأخرى قال فيها بعض شعراء قشير قصائدأومقطوعات قليلة ولم يتوسعوا فيها مثل :

الرثاء :

فالرثاء هو إظهار اللوعة والحزن والأسى تجاه ذلك المفقود الذى لا يرجى رجوعه ، وإذا كان شاعر الرثاء يحس أن من حوله لايقره على ذلك الحزن العميق ، واللوعة المتأججة فإنه يرد عليهم بتعداد مآثر الميت ، ومناقبه ، وأنه ليس واحدا من الناس فقط وإنما له مزايا عديدة على غيره تجعله جديرا بذلك الحزن ، ومن أشهر شعراء الرثاء وشاعراته عند بنى قشير زينب بنت الطثرية التى رثت أخاها يزيدا بمرثية مؤثرة تهز الوجدان وتطرب الحزين ، إن زينب بنت الطثرية تمر على ذلك الأثل فى العقيق فتجده باقيا على حاله لم يتغير وتنظر إلى كل شىء حولها فتجده باقيا ، أما يزيد أخوها فقد غالته غوائل الدهر :

أرى الأثل من وادى العقيق مجاورى مقيما وقد غالت يزيد غوائله

ويزيد هذا من أجمل الرجال ، فقد قدقد السيف ، فهو حسن القوام ، بعيد عن الترهل واسترخاء الجسم ، وهو حسن الهندام لا يلبس الثياب البالية وإنما تبلى كواهله مايلبس من الثياب ، وإذا كان قوامه وهندامه حسنين فإن أخلاقه عالية ؛ فهو لاينتهز الفرص حتى يسلب ابن عمه ماله إذا رأى من ابن عمه ضعفا وإنما هو عون لذلك القريب دائما ، ومما يدل على حسن خلقه أنه عندما يظلم فإنه لايتمادى فى الحقد على من ظلمه ، وعندما يقدر على غيره فإنه لايتمادى فى ظلمه . وهو يتحمل أي مسئولية تناط به :

فتى قدقد السيف لا متضائل ولا رهــــل لباته وبآدله

فتى لا ترى قد القميص بخصره ولـكنما توهى القميص كواهله

فتى ليس لابن العم كالذئب إن رأى   بصاحبه يوما دما فهو آكله
يسرك مظلوما ويرضيك ظالما   وكل الذى حملته فهو حامله

وبعد أن ذكرت الشاعرة ما يتميز به من حسن قوام، وحسن أخلاق، أرادت أن تعرض عليها ما يتميز به أيضاً من جود وكرم، فعندما ينزل الضيوف بساحته لا يرتاح له بال حتى يهيء لهم الطعام، ويرى القدور قد وضعت فوق الأثافى، وهو يقدم ضيوفه على نفسه عندما يكون المال قليلا. أما طبعه وخلقه مع ضيوفه فهو لين الجانب حسن الحديث، وهو لا يبخل بشيء على ضيوفه مهما غلا ثمنه، ولذلك فإن الضيوف يرون من كرمه فوق ما يتصورون:

إذا نزل الأضياف كان عذورا   على الحى حتى تستقل مراجله
إذا ما طها للقوم كان كأنه   حمى وكانت شيمة لا تزايله
إذا القـوم أموا بيته فهو عامد   لأحسن ما ظنوا به فهو فاعله

وبعد أن وصفت لنا الشاعرة كرمه أرادت بعد ذلك أن تصف لنا شخصيته، فهو إذا جد فى الأمور أرضى من حوله بحسن تصرفه، وهو مع ذلك يهزل فى مواقف الهزل:

إذا جد عند الجد أرضاك جده   وذو باطل إن شئت أرضاك باطله

وتذكر الشاعرة ما ترك يزيد بعد وفاته، فتقول إنه لم يترك إلا درعا واسعة وسيفا طويل الحمائل، وتردف بعد ذلك قائلة: إن يزيد إذا خاض معركة من المعارك فإنه يروى حسامه من دم الأعداء، وإذا كان يتصف بالشجاعة فهو يتصف بالـكرم أيضاً:

مضى وورثناه دريس مفاضة   وأبيض هنديا طويلا حمائله
فتى كان يروى المشرفى بكفه   ويبلغ أقصى حجرة الحى نائله

وقد عادت الشاعرة مرة ثانية لتصف لنا كرم أخيها فهى تقول: إنه عالى النفس لا يبخل بشىء عندما يطلب منه ، ولو لم يكن عنده إلا روحه لجاد بهـا فليتق الله من يطلبه ، إنه مفرط فى كرمه ، ويزيد حسن المحيا يبتسم دائما ، أما إذا أدبر فهو أشعث الرأس لأن الأسفار والحروب قد صاغته على تلك الهيئة ، وتذكر الشاعرة أن نار أخيها توقد باستمرار لأن الضيوف لا يفارقونه ، وهو لا يذبح لضيوفه إلا النياق الكريمة :

أشم إذا ما جئت للعرف طالبا — حباك بما تحنو عليه أنامله
ولو لم يكن فى كفه غـير روحه — لجاد بها فليتق الله سائله
كريم إذا لاقيته متبسما — وإما تولى أشعث الرأس جافله
ترى جازريه يرعدان وناره — عليها عداميل الهشيم مصامله
يجران ثنيا خيرها عظم جاره — بصيرا بها لم تعد عنها مشاغله

ثم تصف الشاعرة معاملة أخيها لها فتقول : إننى آتية فأبوح إليه بحزنى ، وما يختلج فى نفسى من الهم فأجد عنده تقبلا لـكل ما أقول ، وتحاول الشاعرة أن تنسى همومها ولـكن أنى لها ذلك؛ إن قلبها يرق كلما ذكرت يزيد ، ولذلك فهى تريد أن تستبدل قلبها بقلب قوى لا يتأثر بما يمر عليه من مصائب الدهر ، وتقول أيضاً إن أقرباء يزيد سيذكرونه حتما فى مواقف القتال عندما يحمى الوطيس وتـكشر أنياب الحرب :

ولو كنت فى غل فبحت بلوعتى — إليه للانت لى ورقت سلاسله
ولما عصانى القلب أظهرت عولة — وقلت ألا قلب بقلبى أبادله
سيبكيه مولاه إذا ما ترفعت — عن الساق عند الروع يوما ذلاذله

وتختتم الشاعرة هذه القصيدة بقولها : إننى أساعد من يبكى على ميت قبل

فقدك يا أخى ، أما اليوم فقد شغلت العين بحزنك الذى ليس له نهاية :

وكنت أعير الدمع قبلك من بكى ... وأنت على من مات بعدك شاغله(١)

ومن شعراء الرثاء عند بنى قشير بحير بن عبد الله القشيرى الذى رثا هشام ابن المغيرة بقصيدته التى مطلعها :

ذرينى أصطبح يا هند إنى ... رأيت الدهر نقب عن هشام

فالشاعر يقول: دعينى يا هند أشرب الخمر مادمت حيا؛ فإن هذه الحياة لاتبقى على أحد ، ولو قدر لأحد أن يعيش لـكان هشام بن المغيرة أحق من غيره بالبقاء فى هذه الحياة، ولـكن الموت نقب عنه حتى صرعه ، وعندما حان وقت موته لم يطلب الموت سواه مع فضله وشرفه ؛ فهو من أشرف رجال تهامة ، ويخاطب الشاعر هندا فيقول إن الموت نقب عن أبيك مع ظرفه وحسن منادمته ، فيد الموت لا يردها راد ، وممن امتدت إليهم يد الموت عمرو بن هشام بن المغيرة الذى كان يعقد عليه قومه آمالهم العريضة ، يقول بحير :

تيممه ولم يطلب سواه ... ونعم المرء من رجل تهامى

ونقب عن أبيك وكان خرقا ... من الفتيان شراب المدام

وعن عمرو وعمرو كان قـدما ... يؤمل للملمات العظام

وكنت إذا ألاقيه كأنى ... إلى حرم وفى شهر حـرام

وفى البيت الأخير من هذه الأبيات الأربعة يصف الشاعر هيبة هشام وعظمته فيقول : إننى عندما ألاقيه أحس أننى فى حرم أو فى الأشهر الحرم ، لأن هذا الرجل العظيم لا يقترب منه أحد إلا ويحس بالأمان التام ، ويذكر الشاعر بعد

(١) الأمالى ٢ / ٨٣ ، والأغانى ٨/ ١٨٢ ، وحماسة البحترى ٤٣٣ ، ووفيات الأعيان ٦/٣٦٧ .

ذلك أن بنى المغيرة يتمنون بقاء هشام حتى لو كلفهم ذلك الشىء الكثير ، فهم يتمنون دفع ألف من رجالهم أو من سوامهم إلى الموت ويبقى هشام بن المغيرة حيا ، ولكن أنى للأمانى أن تتحقق ، يقول :

فود بنو المغيرة لو فدوه ... بألف من رجل أو سوام

وود بنو المغيرة لو فدوه ... بألف مقاتل وبألف رامى

وتوجه الشاعر بعد ذلك إلى امرأة هشام يأمرها بالبكاء المستمر ، لأن من تبكيه رجل عظيم يستحق ذلك البكاء الذى لاينقطع ، فهو كريم وكأنه غيث يعم الناس خيره ، ويقول بعد ذلك ـ موجها خطابه إلى ضباعة بنت عامر : إنك لو رأيت أشراف الناس كيف يتهافتون على الموت لحمدتنى على شرب المدام أو لم تلومينى على شربى الخمر ، يقول :

فبكيه ضباع ولا تملى ... هشاما إنه غيث الأنام

فإنك لو شهدت أبا عقيل ... وأصحاب الثنية من نقام

إذاً لحمدتنى أو لم تلومى ... على كأس أشدّ بها عظامى [1]

وممن رثا هشام بن المغيرة من بنى قشير زوجته ضباعة بنت عامر بن قرط ، فقد وصفت زوجها بالصفات التى مرت معنا فى قصيدة بحير ، فهى تقول : إنك لو لجأت إلى هشام أمنت فكأنك قد دخلت الحرم ، وتذكر بعد ذلك أن هشاما هذا كريم الخلق يلجأ إليه اليتامى والمحتاجون ، فهو ربيع للناس ، وبالإضافة إلى كرمه فهو حسن القوام حسن الهندام لايرضى بالضيم ولا يلحقه العار ، أما رأيه فهو سديد لأنه لا يقول إلا الحق ، وإذا قال شيئا فإنه لن ينكص على رأيه ، وإذا أعطى أحدا عطاء فإنه لايلحقه منه ، وشجاعة هشام

(١) الوحشيات ٢٥٧ ، والمؤتلف والمختلف ٧٦ ، والاشتقاق ١٠١ .

معروفة لدى الناس جميعا ، وهو على شجاعته لا يلوم أحدا ، وطبيعة هشام وسجيته البعد عن السوء والبعد عن القول الفاحش ، وهو إذا قدر فإنه لا يستغل قدرته ، وإنما يتأنى فى الأمور ويعطى كل ذى حق حقه ، وهو مع هذه الصفات الخيرة العديدة ، قد امتدت إليه يد الموت فأصبح الآن راقدا فى قبره ، وهكذا فإن الدهر لا يفجع إلا فى الرجل الشريف ، تقول ضباعة :

إنك لو وألت إلى هشام ... أمنت وكنت فى حرم مقيم

كرم الخيم خفاف حشاه ... ثمال لليتيمة واليتيم

ربيع الناس أروع هبرزى ... أبى الضيم ليس بذى وصوم

أصيل الرأى ليس بحيدرى ... ولا نكد العطاء ولا ذميم

ولا خذالة إن كان كون ... دميم فى الأمور ولا مليم

ولا متنزع بالسوء فيهم ... ولا قذع المقال ولا غشوم

فأصبح ثاويا بقرار رمس ... كذاك الدهر يفجع بالكريم(١)

ومن شعراء الرثاء عند بنى قشير محمد بن حكيم الذى رثا ميمون بن عامر ، وكان ميمون بن عامر قد لدغته حية فمات ، فقال محمد بن حكيم فى رثائه :

يابا سلامة من للقوم إذ جهلوا ... وخام عنهم جبان القوم أو شردا

يابا سلامة من للوفد إن نزلوا ... وضاق من كنت تكفيهم به بددا

يا حية قتلت من كان لى ثقة ... لقد فجعت بقلب صارم وندا

فلا سقى الله أرضاً أنت سا كنها ... حتى القيامة إلا مصقعا بردا(٢)

ونلاحظ أن الشاعر فى هذه الأبيات يريد أن يبرز الصفات الحميدة التى

(١) بلاغات النساء ١٧٨ .

(٢) التعليقات والنوادر ورقة ٧ .

يتصف بها ميمون بن عامر ، فهو يقول : من سيخلفك فى ملاقاة الأعداء عند ما يجبن البعض ويشرد البعض الآخر ؟ ومن سيخلفك فى الكرم وإطعام الضيوف ، إن الآخرين لن يسدوا مكانك ، ويتوجه الشاعر بدعائه على تلك الحية التى لدغت المرثى فيقول : أرجو ألا يسقى الله تلك الأرض التى عاشت فيها تلك الحية حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وإن أصابها شىء من الغيث فأرجو أن يكون صقيعا وبردا .

وقد رثا محمد بن حكيم ميمون بن عامر بمرثية أخرى يطلب فيها الشاعر أن يصيب الغيث ذلك القبر الموجود فى الدفان ، وهو قبر ميمون بن عامر ، ثم يطلب الشاعر بعد ذلك أن يعم الغيث تلك المنطقة بجبالها وسهولها ، ويتساءل الشاعر بعد ذلك فيقول : من سيطعم الضيوف بعد ميمون عند ما يفدون على دياره ، وقد جاءوا من ديار بعيدة ، وقد تعبت إبلهم من السير المتواصل ، ومن سيطعم اليتامى الذين تجمعوا من أماكن عديدة يطلبون نوال ميمون بن عامر ؟ إننى لا أرى من يحل محل ذلك الرجل الكريم ، يقول الشاعر :

سقى القبر قبرا بالدفان محله ... من الرعد ربان الذباب وكوف
وبالأجبل اللاتى تقابلن أقبر ... وبالأقبر اللاتى تلين شريف
فمن لبغاة الخير بعد ابن معرض ... وقد مل عيس سيرهن وجيف
ومن ليتامى من شتيت تجمعوا ... فأموا ذرا ابن الكلام عطوف[1]

ومن شعراء الرثاء أيضاً عند بنى قشير الأقرع بن معاذ الذى رثى صديقه

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٦٧ .

جعفر بن علبة الحارثى ، وكان قد قتل صبرا بسبب دم طلب به لبنى عقيل فقال :

أبا جعفر سلم بنجران واحتسب ... أبا عارم والمنفسات العواليا
وقدت قلوصا أتلف السيف ربها ... بغير دم فى القوم ألا تماريا
إذا ذكرته معصر حارثية ... ترى دمع عينيها على الخد جاريا(١)

فالشاعر يخاطب أبا المقتول ويقول: لقد أسلمت ابنك أبا عارم للرماح الماضية وتركته بنجران للأعداء ، وأخذت ناقته تقودها ، وقد أتلف السيف صاحبها بغير حجة واضحة ولا بينة سليمة ، ويقول بعد ذلك: إن نساء بنى حارث سيبكين جعفر مدى الدهر ، فكلما ذكرته فتاة انهمر دمعها على خديها . ويقول الأقرع ابن معاذ القشيرى فى رثاء صديقه أيضا :

أبا جعفر أسلمت للقوم جعفرا ... وخلى فى بهو من الأرض واسع(٢)

ومن الأغراض التى طرقها شعراء بنى قشير ولم يتوسعوا فيها :

إظهار الضعف وسوء الحال :

فبعض الشعراء يتقدم به العمر ويبقى عاجزا عند بيته لا يستشار فى أمر ولا يسير مع القوم عندما تنوب النوائب ، فيبقى متحسرا على نفسه ، ناقما على الدهر الذى أوصله إلى هذه الحالة المزرية ، ومن الذين عبروا عن سوء حالهم من شعراء بنى قشير : قشير بن عطى العبيدى الذى يقول :

كفى حزنا ألا أرد مطيتى ... لرحلى ولا أغدو مع القوم فى وفد
وإن أمرعت قريان نجد ونورت ... من البقل لم أنظر بعينى فى نجد

---

(١) معجم الشعراء ٢٩١ .

(٢) المصدر السابق .

وأن أسأل الأوغاد ما كان شأنهم ولا أشهد الشورى لغى ولا رشد
وقد كنت أعطى السيف فى الروع حقه
حياء إذا جردت سيفى من الغمد[١]

فهو يقول فى هذه الأبيات : إننى عندما أحزن فأنا جدير بالحزن ، وكيف لايحزن من لايستطيع أن يرد مطيته ، ولا يسير مع قومه لحل قضية أو إبرام أمر ! وكيف لا أحزن وأنا لا أستطيع رؤية النبات الزاهى والأزهار المشرقة ؟ إننى الآن لاأستطيع أن أحمى الخائف ولاأستشار فى أمر من الأمور، سواء كان ذلك الأمر صغيرا أو كبيرا . ويتذكر الشاعر أيامه الماضية فيقول : لقد كنت شجاعا لا أخاف منازلة الأبطال ولا مصارعة الشجعان ، فإذا جردت سيفى من غمده فإننى لا أتراجع عن الحرب ولا أجبن فى المواقف .

هذه هى الأغراض التى طرقهـا شعراء بنى قشير ، ذكرناها مرتبة حسب كثرة الأشعار التى قالها الشعراء فى تلك الأغراض .

* * *

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٧٢ .

الفصل الخامس

الخصائص المشتركة لشعر بنى قشير

---

١ ـ الخصائص المعنوية :

عندما نتتبع شعر بنى قشير فإننا سنجده شعرا يعبر عن الحياة التى يحياها الشعراء أجمل تعبير وأصدقه ، فهو شعر ينبع من الطبع وترسله السجية متى كانت الظروف مواتية لذلك ، فشعراء بنى قشير ليس فيهم شاعر محترف اتخذ الشعر صنعة وقصر حياته على ذلك ، كما نجــد ذلك عند زهير أو الحطيئة أو الفرزدق ، والشاعر المحترف لابد أن يقول الشعر رضى أم أبى ، ومن ثم فإننا سنجد له إنتاجا شعريا كثيرا ، أما الشاعر الذى يجعل شعره صورة لحياته ، ومعبرا عن عواطفه فى حالات النفس المتغيرة ، فإن شعره سيكون قليلا ، وهذه هى الحال عند شعراء بنى قشير ؛ فأكثر هؤلاء الشعراء هم من الشعراء المقلين ، وإذا كان شعر بنى قشير يعبر عن حياتهم التى يعيشونها فإن طابع هذه الحياة فى العصر الجاهلى إنما هو الحرب، ولذلك جاء شعرهم حماسيا فى هذا العصر ، يفخر بشجاعة الأبطال ، ومنازلة الأقران ، والانتصار على الأعداء ، والانتقاص من الهارب ، وبما أن اللغة لغة حرب فلابد أن يكون هذا الشعر قويا ومؤثرا وهذا هو ما نجده فى شعر بنى قشير فى العصر الجاهلى ، وأما شعرهم الإسلامى فهو شعر غزل فى معظمه ، فإذا نظرنا فى شعر يزيد بن الطثرية أو شعر الصمة ابن عبد الله القشيرى أو غير هذين الشاعرين من شعراء بنى قشير فإننا سنجد

معظم شعرهم من الشعر الغزلى الذى يذوب على ألسنتهم رقة وحلاوة، فهو ينحدر من أفواههم كما ينحدر الماء فى الجدول ، وهذا الشعر يصل إلى أذن السامع كما تصل إليها الموسيقى الهادئة بدون جلبة ولا ضوضاء ، وإذا كانت الأذن بوابة للقلب فإن هذا الشعر سيجد طريقه إلى القلب فى يسر وسهولة ، وكيف لا يصل إلى القلب مثل قول ابن الطثرية :

فياجنة الدنيا ويامنتهى المنى ويانور عينى هل إليك سبيل[(١)]

وقول الصمة :

وأذكر أيام الحمى ثم أنثنى على كبدى من خشية أن تصدعا
فليست عشيات الحمى برواجع عليك ولكن خل عينيك تدمعا[(٢)]

والشعر الإسلامى عند بنى قشير تبرز فيه المعانى الإسلامية فى الغالب كما فى قول محرز بن قرة :

يارب إن أزمعت خباء مظلمتى وأنكرت بعد تزويج وإقرار
فسق لها واليا يشقى معيشتها ثم اجعلن مؤداها إلى النار[(٣)]

وقول بشر بن سليمان بن قشير :

ولم أرمثل الخير يتركه امرؤ ولا الشر يأتيه امرؤ وهو طائع
ولا كاتقاء الله خيرا بقية وأحسن صوتا حين يسمع سامع[(٤)]

وإذا كان الشعر صورة لهذه الحياة التى يحياها الشعراء كما قدمنا فإن حياة

---

(١) زهر الآداب ٢/٨٥٤ .

(٢) أمالى اليزيدى ١٤٨ .

(٣) التعليقات والنوادر ورقة ٤٧ .

(٤) مجموعة المعانى ٣ .

التنقل ومفارقة الأوطان قد أثرت فى شعرهم إلى حد بعيد ، فالشاعر يحشد لنا كثيرا من الأماكن فى شعره كما نجد فى قصيدة الصمة التالية :

إلى الله أشكو نية يوم قرقرى — مفرقة الأهواء شتى شعوبها
ويوما بحصن الباهلى ظللته — أكفكف عبرات تفيض غروبها
ويوما على تبراك أيقنت بالذى — تحاذره نفسى فشب شبوبها
ويوما بقاع الأخربين جرى لنا — بنحس ظباء الأخربين وذيبها
ويوما على ماء المدية قال لى — صحابى طب نفسا وكيف أطيبها
ويوما بمطلوب وجدت حرارة — طويلا بأعواذ الفؤاد نشوبها
ويوما على ماء المحلق طـــيره — أحدث نفسا صبـــة ما يكيبها
ويوما بترن قرن نخلة راجعت — بنفسك زفرات بنجد طبيبها
ويوما لدى البيت الحرام تجددت — لك النفس إكراها على ما يريبها
فيا أهل نجـد لا شقيتم ولقيت — ركابكم رشدا وحلت ذنوبها[1]

فهذا النموذج من شعر بنى قشير يعرض علينا أثر الأماكن فى نفس الشاعر ، وأمثال هذا النص الكثير من النصوص التى تذكر فيها الأماكن بكثرة .

ومما يتميز به شعر بنى قشير الصدق ، فالشاعر صادق فيما يقول ، وأبياته تترجم مافى وجدانه ، فإذا سمعنا قائد بن منذر يقول :

هل الوجـــد إلا أن قلبى لو دنا — من الجمر قيد الرمح لاحترق الجمر
فإن كنت مطبوبا فلا زلت هكذا — وإن كنت مسحورا فلا برأ السحر
أفى الحق أنى مغرم بك هـــائم — وأنك لا خل هواك ولا خمر[2]

---

(١) التمليئات والنوادر ورقة ١١٢ .

(٢) شرح الشواهد ٣ / ٨١ .

فنحن نحس بالصدق فى هـذه الأبيات يندفع من وجدان الشاعر بغض النظر عن مطابقة قوله للواقع ، ومثل هذه الأبيات قول الأقرع بن معـاذ القشيرى :

أقول لمفت ذات يوم لقيته ... بمكة والأنضـاء ملقى رحالها
بحقك أخبرنى أما تأثم التى ... أضر بجسمى منذ مر خيالها
فقال بلى والله أو سيصيبها ... من الله بلوى فى الزمان تنالها
فقلت ولم أملك سوابق عبرة ... سريع على جيب القميص انهمالها
عفا الله عنها كل ذنب ولقيت ... مناها وإن كانت قليلا نوالها(١)

فالصدق يبرز واضحا فى هـذه الأبيات بدليل انهمار دموع الشاعر عند ما سمع قول ذلك المفتى فى محبوبته .

ومما يتميز به شعر بنى قشـير وحدة الغرض فى القصيدة أو المقطوعة ، فاتجاه الشاعر واضح ، وهدفه فى الأبيات جلى ، ولا يشـذ عن ذلك إلا القليل النادر من أشعارهم ، أما وحدة القصيدة من ناحية المعنى بحيث يسير المعنى حسب تدرج الأبيات ، فهذا شىء مفقود عند شعراء بنى قشير ، وإذا وجد فهو قليل ، كما فى قول معروف بن قدامة :

إذا حلت منيعة بطن بول ... وأهلك بالرعان من السواد
وحاربت الجعادب غير شك ... وسعر حاربت وبنو مصاد
فأهد مع الرياح لها سلاما ... وعز النفس عن تلك البلاد(٢)

فتسلسل المعنى فى هذه الأبيات واضح ، فهو يسير مع الأبيات بانتظام .

---

(١) المستطرف ٢ / ١٨٢ .

(٢) التعليقات والنوادر ورقة ٣٤ .

ومن مميزات شعر بنى قشير استقصاء المعنى ، فالشاعر عند مايعبر عن معنى من المعانى فإنه يذكر جزئيات ذلك المعنى كما فى قول الصمة :

لجوج إذا لجت بكى إذا بكت بكت فأدقت فى البكا وأجلت[1]

وقوله :

صهيباء الشراب خبى حـــول حولا أوقرت مدرا وقارا[2]

وقوله :

تلفت نحو الحى حتى وجـــدتنى وجعت من الإصغاء ليتا وأخدعا[3]

فالصمة فى هذه الأبيات لا يكفى بالتعبير العابر ، وإنما يستقصى معناه ، فهو عند ما عبر عن بكاء عينه قال : (فأدقت فى البكا وأجلت) وعندما عبر عن مرور الحول قال (حولا) وعندما عبر عن الالتفات قال (وجعت من الإصغاء ليتا وأخدعا) ونجد ذلك أيضاً فى قول ابن الطثرية :

يظل به سرب القطا متحيرا إذا ماج بحر الآل وهـو يلوح

ويقول فى هذه القصيدة :

ملأن أداوى لم يشنهن خارز بسير ولا يلفى بهن جروح

ثم يقول :

فظلت تسقيه نطاف أدارة له غبقة من فضلها وصبوح[4]

فالشاعر فى البيت الأول لم يكتف بقوله (إذا ماج بحر الآل) وإنما أردف

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٢٦ .

(٢) التعليقات والنوادر ورقة ١٤٥ .

(٣) الأشباه والنظائر ٢ / ٢٦ .

(٤) الأشباه والنظائر ٢ / ٣١٦ .

بقوله : (وهو يلوح) وفى البيت الثانى عندما عبر عن المعنى فى الشطر الأول فهم لدى السامع، ولكنه أراد أن يستقصى معناه فقال : (بسير ولا يلفى بهن جروح) وفى البيت الثالث عبر عن معناه مجملا فى الشطر الأول ثم بين جزئيات ذلك المعنى فى الشطر الثانى فقال : (له غبقة من فضلها وصبوح) ويقول ابن الطثرية فى قصيدة أخرى وهو يصف الشادن :

له ظل أرطاة بأعوج مائل إذا شاء أصغى خده فتوسدا
له أبرداها بالعشى وبالضحى يدور إلى أيهما كان أجودا[١]

ففى البيت الأول لم يكتف بقوله (بأعوج) وإنما أردف بقوله (مائل) وفى البيت الثانى يفهم المعنى من الشطر الأول ، ولكن الشاعر أراد أن يوضح معناه أكثر فقال (يدور إلى أيهما كان أجودا) .

ومما يميز شعر بنى قشير الوضوح فى أداء المعنى ، وعدم التكلف ، وإرسال الشعر على السجية والطبع ، والبعد عن المبالغة ، نجد ذلك فى قول حبيب بن يزيد بن قشير :

إنى بليت بجمل وهى ناشئة ثم ابتليت بجمل أم صبيان
إنى تمنيت مما قد لقيت بها حتى تمنيت أن الناس عميان
تعمى قلوبهم عنا وأعينهم وأنهم بعدما يعمون صمان
حتى أكلم جملا لا ينغصنى تكليمها آخر الأيام إنسان
حتى أداوى قلبا هائما صديا كما يداوى ببرد الماء حران[٢]

فالمعنى فى هذه الأبيات واضح كل الوضوح ، نحس فيه بالبساطة وعدم التكلف . فالشاعر لا يبالغ فى ما يقول ، ولا يفكر فى معناه طويلا ، وإنما

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٣٧ .

(٢) التعليقات والنوادر ورقة ٣١ .

هى خطرات نفس يترجمها اللسان إلى أبيات مسموعة ، ومثل هذه الأبيات فى وضوحها وبساطتها قول منقذ بن عليج اللبينى :

لا تطردا غنم العوجاء إن وردت   وبالعذاب من الأحساء فاسقوها
إنى على حسن عينيها لأمدحها   حتى الممات وأهجو من يحلّيها
قولا لمريم إن كانت تكلمها   تقرا السلام عليها حين تأتيها
عديد ما بيننا من قطرة وقعت   أو تربة خلقت والريح تذريها[1]

فهذا شاعر آخر من شعراء بنى قشير عبر عن معناه فى بساطة متناهية بوضوح كامل ، ونجد البعد عن المبالغة فى قول الأقوع بن معاذ القشيرى :

سلام على من لا يمل كلامه   وإن عاشرته النفس عصرا إلى عصر
فما الشمس وافت يوم دجن فأشرقت   ولا البدر وافى أسعدا ليلة البدر
بأحسن منها أو تزيد ملاحة   على ذاك أو راءى المحب فما أدرى[2]

فنلاحظ فى البيت الأخير أن الشاعر قال (أو راءى المحب فما أدرى) لأنه عندما قال :

فما الشمس وافت يوم دجن فأشرقت   ولا البدر وافى أسعدا ليلة البدر

(بأحسن منها أو تزيد ملاحة) عندما قال ذلك خشى أن السامع سينتقده فى مبالغته ، فتراجع سريعا وقال (أو راءى المحب فما أدرى) ويقول الشاعر فى قصيدة أخرى :

ما سد مطلع ضاقت ثنيته   إلا وجدت وراء الضيق مطلعا
ولا رميت على خصم بقارعة   إلا منيت بخصم فر لى جذعا[3]

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٣٢ .

(٢) لباب الآداب ٤١٠ .

(٣) مجالس ثعلب ١ / ٢٥٤ .

ففى هذين البيتين نرى أن الشاعر ينظر إلى الحياة بالنظرة الواقعية من غير مبالغة ولا تعال ، فإن انسد طريق وجدت مخرجا مع طريق آخر ، وإن انتصرت على عدو فلا تفتخر بذلك لأنك ربما منيت بخصم أقوى وأعظم .

وإذا كان الوضوح فى أداء المعنى هو الشىء السائد عند شعراء بنى قشير فإننا قد نجد القلق ، والاضطراب فى تأدية الفكرة فى بعض القصائد ، من ذلك قول الصمة :

فما من قلى للنجد أصبحت هاهنا	إلى جبل الأوشال مستخبيا بردا
ولكن حاجات الفتى قذف به	إذا لم يجد من أن يطالبها بدا
دعونى من نجد فإن سنينه	لعبن بنا شيبا وشيبننا مردا
لحا الله نجدا كيف يترك ذى الندى	بخيلا وحر القوم تحسبه عبدا
سوادا وأخلاقا من الصوف بعدما	أرانى بنجد ناعما لابسا بردا
ونجـــدا إذا جادت به رهم الحيا	رأيت به المكنان والنفل الجعدا
سقى الله نجدا من ربيع وصيف	وماذا ترجى من ربيع سقى نجدا
ألم تر أن الليل يقصر طوله	بنجد ويزداد النطاف به بردا
بلى إنه قد كان للعيش قـــرة	وللبيض والفتيان منزلة حمدا[1]

فالشاعر فى هذه الأبيات موزع الفكر مضطرب النفس،فتارة يعلل نزوحه من نجد ، وتارة يحمل على نجد ويذمه ، وأخيراً يطلب السقيا لنجد .

ومن مميزات شعر بنى قشير التعبير عن المعنى فى صور متعددة ، وخير شاهد على ذلك تائية الصمة ، فقد عرض الشاعر حبه لمحبوبته وحزنه على تلك المحبوبة فى أثواب مختلفة ، فمرة يضعه فى صورة ذلك المسن الذى فقد ابنه الوحيد ؛ وثانية

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٤٨ والمقاصد النحوية ١ / ١٧٠ .

يضعه فى صورة فتاة فقدت أبويها ، وثالثة يضعها فى صورة ناقة قد عطشت ووردت المـاء ، ولـكنها صدت عن ذلك الماء ، ورابعة فى صورة تلك الناقة التى فقدت طفلها ، وخامسة فى صـورة تلك الظبية التى فقدت شادنها ، وسادسة فى صورة تلك الفتاة التى رمت بها الأقدار حتى تزوجت من رجل حضرى وضعها فى قريته ، وأغلق عليها الأبواب ، فهى تتمنى حياتها الأولى ، كل هذه الصور نجدها فى الأبيات التالية :

فوجدى بطيا وجـــد أشمط راعه ... بواحدة داعى المنايا ألمت
ووجدى بطيا وجد بكر غريرة ... على والديها فارقاها فجنت
ووجدى بطيا وجد هيماء خليت ... عن المـاء كانت منذ خمسين ضلت
إذا سافت الأعطان أو شمت الثرى ... رماها ولى المـاء عنه فولت
وإن أشرفت من آكم المـاء ميفعا ... لوت رجلها اليسرى بالاخرى لحنت
لحنت حنينا يطرب الصب ذا الهوى ... وقد نهلت منـــه بيأس وعلت
ولا وجد بكر حرة أرحبيـة ... ترود حوالى طفلها قد أتمت
أتيح لها فيا تروح وتغتدى ... خشارم منـه رعبها فاشمعلت
وجاءت منجاة ترى فرث طفلها ... بسرحانة أظفارها قد تدمت
تهز من الوجد الحصيل وراءها ... صويت خفى خلفها فاقشعرت
فما وجدت من طفلها غير شلوه ... شماطيط لم تقنع بها حيث شمت
فظلت تراعى شلوها مستحنة ... إذا سليت رجع الحنين استهلت
ولا أم أحوى شادن عطفت له ... قبيل طلوع الشمس أو حين ذرت
فلما سقته الدر أحجم قائما ... إليها قليـــلا ثم ولى وولت
إلى مرتع قد عودته ومهمل ... سليل فظلت يومها حين ظلت
فلما دنا الإظلام أدرك سمعها ... صويتا خفيا راعها فاحزألت

تمارت على جرس فنصت بجيدها ... وكانت على طول الحلاء أدلت

ودارت بأدنى عهـــده ثم راجعت ... أما فى ثـكلى ما تجد ما أضلت

ولا وجد أعرابية قذفت بها ... صروف النوى من حيث لم تك ظنت

يشـد عليها الباب أحمر لازم ... عليها زقاق قربة قد أبنت

تمنت أحاليب اللقاح وضيمة ... بنجد فلم يقدر لها ما تمنت

إذا ذكرت ماء العظاة وطيبه ... وبرد الحصى من أرض نجد أرنت

بأكبر من وجد بطيا وجدته ... غداة ارتحلنا غدوة واطمأنت(١)

ومن مميزات شعر بنى قشير حصر المعنى الكثير فى اللفظ القليل فيزيد بن الطثرية استطاع أن يعـبر عن الصفات المرغوبة فى المرأة فى بيت واحد حيث يقـول :

عقيلية أما ملاث إزارها ... فدعص وأما خصرها فبتيل(٢)

فقد وصف هذه المرأة بعظم العجيزة مع دقة الخصر ، والمرأة عندما تتوافر فيها هاتان الصفتان تـكون قد جمعت الحسن كله .

ومن مميزات شعر بنى قشير إنهاء القصيدة ببيت يشعر بذلك ، فإذا قرأنا عينية الصمة التى مطلعها :

خليلى عوجا منكما اليوم أودعا ... نحيى رسوما بالقبيبة بلقعا

فإننا نجد الشاعر قد ختم هذه القصيدة ببيت يشعر بذلك هو قوله :

كأنا خلقنا للنوى وكأنما ... حرام على الأيام أن تتجمعا(٣)

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٢٦ .

(٢) شرح الحماسة للتبريزى ٣ / ١٦١ .

(٣) المنازل والديار ١٧٨ ومجموعة أدب ورقة ١٤ .

ونجد ذلك أيضا فى شعر ابن الطثرية ، فقصيدته التى مطلعها :

ألا طرقت ليلى فأحزن ذكرها   وكم قد طوانا طيف ليلى فأحزنا

ختمها بقوله :

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى   فصادف قلبى خاليا فتمكنا(١)

فهذا البيت أنهى هذه القصيدة بخاتمة مناسبة لما قبلها ، وإذا أخذنا قصيدة أخرى لابن الطثرية فإننا سنجد البيت الأخير مشعرا بانتهاء القصيدة ، فقصيدته التى مطلعها :

عقيلية أما ملاث إزارها   فدعص وأما خصرها فبتيل

ختمها بقوله :

صحائف عندى للعتاب طويتها   ستنشر يوما والعتاب طويل(٢)

وهكذا نجد البيت الأخير فى هذه القصائد الثلاث يختم القصيدة كأحسن ما يكون الختام .

ومما يميز شعر بنى قشير الاعتدال فى المدح والهجاء والفخر ، فالشاعر إن مدح ذكر ما فى ممدوحه من الصفات الحسنة دون أن يبعد عن الواقع كثيرا ، وإن هجا ذكر ما فى مهجوه من الصفات السيئة ولم يحاول الإفراط فى الإساءة ، وإن فخر ذكر محاسنه مجردة من الزيادة ، فهذا رجل من بنى قشير أعجب بكرم ابن عاذوق فقال فيه :

فديت ابن عاذوق الملامة إنه   تبارى يداه المعصفات السواريا

فلو كان من قوم صريح لسادهم   ولكنه مولى فساد المواليا(٣)

(١) ذيل الأمالى ٧٦ والزهرة ٢١ .

(٢) شرح الحماسة للتبريزى ٣ / ١٦١ .

(٣) التعليقات والنوادر ورقة ٤٦ .

فالشاعر قد مدح ابن عاذوق فى هــذين البيتين مدحا معتدلا بعيدا عن الإفراط ؛ فالممدوح مولى ولذلك فإن سيادته على الموالى . وأمثال ذلك كثير فى مدح شعراء بنى قشير . وعندما نأتى إلى الهجاء نجد ميمون بن عامر يهجو مدركا الحيدى هجاء فيه عتاب ، يقول :

أما والراقصات ببطن جمع ... أطن تناضلا بحصى المتان
لو أن أبا رزام خليل نفسى ... أطاع الناصحين لما هجانى
ولـكن الأعادى لم يزالوا ... بعاجن سلحة حتى افتلانى

ثم يقول فى هذه القصيدة :

يطالع من خصاص البيت حبوا ... طلاع الوبر من خلل القنان
فأما ما تقول على زورا ... فإن الزور يا ملمان فان[1]

فنلاحظ أن هذا الهجاء ليس من الهجاء الجارح وإنمــا هو هجاء فيه معاتبة .

وأما الاعتدال فى الفخر فنجده فى قول الأقرع بن معاذ القشيرى :

خلقت من الأشراف من آل عامر ... كموقع أم الرأس فيه المسامع
فما طمع الأعداء منى بعثرة ... ولا دنستنى عند ذاك المطامع
وأنى على جودى أعين سماحتى ... بمنع إذا ما قيل هل أنت مانع[2]

فهذه النماذج تعرض علينا جانبا من شعر بنى قشير فى المدح ، والهجاء ، والفخر ، وأمثال هذه النماذج كثيرة فى أشعار بنى قشير ، ولـكننا أردنا أن نعرض هذه النماذج لنقف على اعتدال الشعراء فى مدحهم وهجائهم وفخرهم .

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٧٥ .

(٢) مجموعة المعانى ٨٧ .

هذه هى الخصائص المعنوية لشعر بنى قشير، حاولنا أن نقرنها بنماذج من أشعارهم حتى يكون الدليل على ما نقول واضحا وجليا ، فالنماذج التى أوردناها شواهد من أشعارهم على تلك الخصائص التى استنبطناها من شعر بنى قشير . وإذا كنا قد استوفينا الخصائص المعنوية لشعر بنى قشير فلنأت بعد ذلك إلى الخصائص الأسلوبية .

٢ — الخصائص الأسلوبية :

إذا نظرنا فى نماذج متعددة من شعر بنى قشير فإننا سنجد أسلوب الشاعر من الأساليب الممتعة ، فشاعر بنى قشير يجود بشعره على السليقة بدون تكلف ، فيأتى أسلوبه معبرا عن معناه أحسن تعبير ، وتتكاتف الألفاظ والتراكيب فى بناء البيت ومن ثم الأبيات ، فلا نشعر إلا ونحن نسير مع القصيدة فى يسر وسهولة كما يسير الماء الرقراق فى جدوله المنحدر ، فأول ما يميز هذا الأسلوب الرقة ، وعدم الجفاء ؛ فهو أسلوب رقيق يصل إلى القلب فى يسر وسهولة؛ فإذا قرأنا هذه الأبيات لابن الطثرية :

فيا خلة النفس التى ليس فوقها ... لنا من أخلاء الصفاء خليل
ويا من كتمنا حبه لم يطع به ... عدو ولم يؤمن عليه دخيل
أما من مقام أشتكى غربة النوى ... وخوف العدا فيه إليك سبيل[1]

إذا قرأنا هذه الأبيات بتمعن وتفحص فإننا نجد أسلوبها من الأساليب الرقيقة الممتعة ، ومما تظهر فيه حلاوة الأسلوب ورقته قول الأقرع بن معاذ :

أقول لمفت ذات يوم لقيته ... بمكة والأنضاء ملقى رحالها
بحقك أخبرنى أما تأثم التى ... أضر بجسمى منذ مر خيالها

(١) شرح الحماسة للتبريزى ٣/ ١٦١ .

فقال بلى والله أو سيصيبها ... من الله بلوى فى الزمان تنالها
فقلت ولم أملك سوابق عبرة ... سريع على جيب القميص انهمالها
عفا الله عنها كل ذنب ولقيت ... مناها وإن كانت قليلا نوالها[١]

فالأسلوب فى هذه الأبيات عبر عن المعنى من غير جلبة ولا ضوضاء بل يسير مع الأبيات فى هدوء تام ، وإذا كان الشىء الغالب فى أسلوب بنى قشير السهولة فإن مجىء هذا الأسلوب على الطبيعة بدون إعداد مسبق يجعلنا نجد فى ألفاظه السهل كما نجد بعض الألفاظ الغريبة ، ومما نجد فيه بعض الألفاظ الغريبة قول ابن الثغاء :

ترى كلا مقلاق الوشاح مشيحة ... بغرب على زور أجم سحالها[٢]

وقول مسلم بن عسكر اللبينى :

يجبن دجى الظلماء ثم يصلنها ... بهاجمة يستن فى البيداء آلها
غوادى حدبا بعد أون ورعية ... يمج دما أخفافها ونقالها[٣]

فابن الثغاء فى البيت الأول يصف نساء بنى قرط ، وأنهن يستنين على البثار ، وإذا نظرنا فى ألفاظ البيت وجدنا فيها السهل وفيها الصعب ، وفى بيتى مسلم ابن عسكر اللذين يصف فيهما الإبل نجد بعض الألفاظ الغريبة وخصوصا فى البيت الثانى ، وأما رجز بنى قشير فيتميز بغرابة الألفاظ ، فقصيدة المختار ابن وهب التى مطلعها :

يا دار سلمى بالكثيب الأهيم ... بين الغرابات وبين المصرم

(١) المستطرف ٢ / ١٨٢ .

(٢) التعليقات والنوادر ورقة ٤٥ .

(٣) المصدر السابق ورقة ١٣١ .

فيها كثير من الألفاظ الغريبة فهو يقول فى هذه القصيدة :

أسقيت دارات الغمام السجم كل هزيم أشر التبسم

كأن فى ريقه المقدم هضب الشرى فى جنح ليل مظلم(١)

وإذا أخذنا قصيدة أخرى لشاعر آخر فإننا سنجد ألفاظها غريبة أيضاً ،

يقول ابن الوهل المريحى :

يعجبنى لغاطة البرام فى كل يوم باكر الجهام

نعم مدلى أنمـــــل القلام كأن فيها زهم النعام

أو كسر الماوية الحطــــــام فيها غناة عن بنى الأعمام(٢)

ومما يميز أسلوب شعراء بنى قشير تكرار الألفاظ نجد ذلك كثيرا فى أشعارهم؛ فبائية الصمة بن عبد الله القشيرى التى مطلعها :

ألا من لعين لا ترى قلل الحمى ولا جبل الأوشال إلا استهلت(٣)

تكررت فيها لفظة (وجدى) كثيرا وكذلك (طيا) . وقصيدته التى مطلعها :

إلى الله أشكو نية يوم قرقرى مفرقة الأهواء شتى شعوبها(٤)

كرر الشاعر فيها كلمة (يوم) سبع مرات ، وإذا نظرنا فى شعر حبيب ابن يزيد وجدنا أن الشاعر يكرر اسم محبوبته جمــل فى كثير من أبياته مثل قوله :

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٣٢ .

(٢) المصدر السابق ورقة ٦٥ .

(٣) المصدر السابق ورقة ٢٦ .

(٤) المصدر السابق ورقة ١١٢ .

قضتك جديد الصرم جمل ولم تكن إذا داينت يقضى وفاء غـــريمها
كتمت هوى جمل ليخفى فبينت به للعدا عين طويل سجومها[١]

ولكن هذا التكرار لا يجعل القارئ يمل وإنما يشوقه إلى القراءة ، لأن الشاعر عندما يبرز معناه فى ثياب مختلفة من التعبير ، ويكرر بعض الألفاظ فإن القارئ يتابع تلك المعانى المتشابهة ، وهذا نجده فى تائية الصمة ، وإذا كرر الشاعر اسم محبوبته قرن ذلك بحالته النفسية المتغيرة . فيظل القارئ يتلهف إلى هذا الجديد من حالة الشاعر تجـــاه تلك المحبوبة . وشعراء بنى قشير ينتقون الألفاظ المعبرة عن المعنى أجمل تعبير ، ويظهر ذلك فى شعر يزيد بن الطثرية أكثر من شعراء بنى قشير ، فإذا استمعنا إلى قوله :

ألا ياصبا نجد متى هجت من نجد لقد زادنى مسراك وجدا على وجد
أ إن هتفت ورقاء فى رونق الضحى على فنن غض النبات من الرند
بكيت كما يبكى الحزين صبابة وذبت من الحزن المبرح والجهد[٢]

فهذه الأبيات تشتمل على ألفاظ شاعرية ومعبرة مثل (صبا) (هجت) (وجد) (هتفت) (ورقاء) (رونق) (غض) (رند) (صبابة) (ذبت) (المبرح) ولذلك نجد أن هذه الألفاظ قد نفثت السحر الشعرى فى هذه الأبيات الثلاثة وجعلت منها نغما حلوا يطرب له السمع ويهواه القلب .

ومما يتميز به أسلوب شعراء بنى قشير التشبيه البديع ، كقول الصمة ابن عبد الله القشيرى :

وغير ثلاث فى الديار كأنها ثلاث حمامات تقابلن وقعا[٣]

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٣٩ .
(٢) الأغانى ٥ / ٢٣٤ .
(٣) المنازل والديار ١٧٨ .

وقوله :

وكفكفت دمعى ساعة وزجرته ... بأجفان عينى ثم خلاه جالهـــا

كما أخضلت بالماء أعراض بشة ... هزيم السكلى لما تدانى ابتلالها(١)

وقوله :

لجوج إذا لجت بكى إذا بكت ... بكت فأدقت فى البكا وأجلت

كما هتنت طرفاء ناشت غصونها ... جنوب وقد كانت من الليل طلت(٢)

وقوله أيضا :

ولـكنما الدنيا كفىء غمامـــة ... أظلت بغيم ساعة واضمحلت(٣)

وقوله فى وصف شعر محبوبته :

وداج على اللبات وحف كأنه ... عناقيد جون من كروم تدلت(٤)

ويقول ابن الطثرية :

فرى نائبات الدهر بينى وبينها ... وصرف الليالى مثل مافرى البرد(٥)

ويقول مريزيق الغوانى :

وعاذلة فى حب سعدى تبرعت ... بلوم كما يبرى عن العظم عارقه(٦)

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ١٤٣ .

(٢) المصدر السابق ورقة ٢٦ .

(٣) المصدر السابق .

(٤) المصدر السابق .

(٥) الأشباه والنظائر ٢ / ١٨٥ .

(٦) التعليقات والنوادر ورقة ٣١ .

وتبدو روعة التشبيه فى قول ابن الطثرية :

إذا ما الثريا فى السماء كأنها جمان وهى من سلكه فتسرعا [1]

فهذه النماذج التى عرضناها تشتمل على تشبيهات أخاذة ، سواء كان ذلك فى قول الصمة حيث شبه الأثافى بثلاث حمامات وقعن على الأرض ، وهذا نجده فى البيت الأول من الأبيات التى ذكرناها للصمة ، وفى البيتين التاليين لذلك البيت شبه دمعه المنحدر بالماء الذى ينزف من شنة ملئت بالماء ، ثم عرضنا أيضا تشبيهه لدمعه بذلك الطل النازل من شجرة طرفاء حركتها الجنوب ، وقد شبه الصمة الدنيا بفىء الغمامة لأنه لا يمكث إلا قليلا ثم يزول . أما شعر محبوبته فقد شبهه بعناقيد الكروم السود . أما ابن الطثرية فقد شبه مافعله الدهر به تجاه محبوبته بشق البرد ، وقد شبه مر بزيق الغوانى لوم عاذلته، وأثره فى نفسه بذلك الذى ينهش اللحم عن عظمه حتى يجرده . أما ابن الطثرية فى بيته الأخير فقد شبه نجوم الثريا بالجمان الذى خانه سلكه . وإذا كان التشبيه الرائع والبديع يوجد بكثرة فى شعر بنى قشير فإن الاستعارة لها مكان فى هذا الشعر ولكنها ليست فى كثرة التشبيه ، ومع ذلك فإنها تأتى شائقة وممتعة ونادرة كما فى قول الصمة :

ولما تفاهبنا سقاط حديثها غشاشا ولان الطرف منها فأطمعا [2]

وأحيانا تتداخل الصور البيانية من تشبيه واستعارة ، فتكسب الكلام روعة وجمالا ، فهذا البيت المتقدم باستعارته النادرة يرتبط بالأبيات التى بعده بحيث يكون الكل تشبيها يبرز لنا صورة بيانية واضحة :

---

(١) الأغانى ١٧ / ١٣٠ .

(٢) مجموعة أدب ورقة ١٤ .

ولمـــا تفاهبنا سقاط حديثهـــا غشاشا ولان الطرف منها فأطمعا
فرشت بقول كاد يشفى من الجوى تلم به أكبادنا أن تصدعا
كما رشف الصادى وقائع مرتة رشاش تولى صوبها حين أقلعا [١]

وشعراء بنى قشير عندهم القدرة على تصوير الأشياء كما هى ، فالشاعر كأنه الرسام الذى يرسم صورة الشىء بحيث ينقلها من الأصل بجزئياتها ، نجد ذلك فى قول الأقرع بن معاذ القشيرى :

ياحاجة ما التى قامت تودعنى وقد ترقرق ماء العين أو دمعا [٢]

فعندما عبر الشاعر عن لحظة الوداع ، ونزول الدمع من العين ، رسم لنا هذه الصورة الرقيقة . ويقول أحد بنى لبينى فى وصف ناقته عندما تقطع الفيافى والقفار :

كأن حصى المغراء تحت أظلها إذا ألحقته رجلها حذف أعسرا [٣]

ففى هذا البيت استطاع الشاعر أن يرسم صورة دقيقة لسير ناقته السريع بحيث ترمى رجلها الحصى بسرعة عجيبة كما يرمى الأعسر بالحصاة . ويزيد بن الطثرية واحد من أولئك الشعراء الذين يرسمون الصور البارعة ، فقد رسم صورة شائقة لتلك الكلاب المسرورة بقدومه حيث يقول :

يا أم عمرو أنجزى الموعودا وارعى بذاك أمانة وعهودا
ولقد طرقت كلاب أهلك بالضحى حتى تركت عقورهن رقودا

---

(١) مجموعة أدب ورقة ١٤ .

(٢) مجالس ثعلب ١ / ٢٥٤ .

(٣) التعليقات والنوادر ورقة ٧٣ .

يضربن بالأذناب من فرح بنا   متوسدات أذرعا وخدودا[1]

وقد رسم يزيد بن الطثرية صورة بديعة لمحبوبته يتمثل فيها الشباب بكل رونقه من الدلال ، والتبذل ، واستواء القامة ونعومتها ، ودقة الخصر ، كل ذلك جمعه فى بيت واحد حيث يقول :

ومدلة عند التبذل يفـــترى   منها الوشاح مخصرا أملودا[2]

* * *

وموسيقى الشعر عند شعراء بنى قشير هادئة ليس فيها صخب ولا جلبة ، وهذا هو الشىء الغالب فى موسيقى هذا الشعر ، ولا يشذ عن ذلك إلا بعض القصائد الجاهلية التى تعبر عن الحماسة والقوة والشجاعة ، وبما أن البيئة لها أثر كبير فى أصحابها ، فقد تأثر بعض شعراء بنى قشير بحنين الإبل حتى إن هـذا الحنين ظهر جليا فى موسيقى عينية الصمـــة بن عبد الله القشيرى ، وهى أطول قصيدة فى شعر بنى قشير ، فقد اختار الصمة حرف العين ليكون رويا لقصيدته، فعند ما نقرأ هذه القصيدة نحس بالحنين الر كلما وصلنا إلى حرف الروى الذى هو العين ، ولنأخذ بعض أبيات هـــذه القصيدة لنقف على نوع الموسيقى ، يقول الصمة :

أتبكى على ريا ونفســـك باعدت   مزارك من ريا وشعبا كما معا

وما حسن أن تأتى الأمر طائعا   وتجزع أن داعى الصبابة أسمعا

كأنك لم تشهد وداع مفـــارق   ولم تر شعبى صاحبين تقطعــــا

ويقول فى هذه القصيدة :

قفا ودعا نجـــدا ومن حل بالحمى   وقل لنجد عنــــدنا أن تودعا

(١) الحيوان ١ / ٣٨٠ .

(٢) الأغانى ٨ / ١٦٩ .

بنفسى تلك الأرض ما أطيب الربا وما أحسن المصطاف والمتربعا

وأذكر أيام الحمى ثم أنثنى على كبدى من خشية أن تصدعا

فليست عشيات الحمى براجع عليك ولكن خل عينيك تدمعا[1]

هذه هى خصائص أسلوب بنى قشير استنبطناها من أشعارهم ، واستشهدنا على كل ما نقول بأبيات من أشعارهم .

* * *

(١) مجموعة أدب ورقة ١٤، والأغانى ٦/٨ ، وشرح الحماسة للتبريزى ٣/١١٢ .

الفصل السادس

دراسة شعراء بنى قشير

---

١ — يزيد بن الطثرية :

هو يزيد بن سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .

وقيل : هو يزيد بن الصمة أحد بنى سلمة الخير بن قشير .

وقيل : إنه من ولد الأعور بن قشير .

وقيل : هو يزيد بن المنتشر بن سلمة .

وقد ذكر محمد بن حبيب فى كتابه « من نسب إلى أمه من الشعراء » نسبا غريبا ليزيد ، فقال هو : ابن عبيد بن عمرو بن الحارث بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم . وقد غلب على الشاعر نسب أمه ، فأمه امرأة من طثر وطثر من جرم حى من اليمن . وقيل إن طثرا من عنز بن وائل بن قاسط بن هنب ابن أفصى بن دعمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار . وقيل : إن أم يزيد سميت بالطثرية ـ بفتح الطاء وتسكين الثاء وبفتح الطاء والثاء معا ـ سميت بذلك لأنها تخرج الطثرة ، وطثرة اللبن زبدته .

وكنية يزيد أبو المكشوح ، لأن على كشحه كى نار .

ولقبه مودق ، وقد لقب بذلك لحسن وجهه وحلاوة حديثه ، فكان يفتن النساء إذا جلس إليهن[١] .

وقد استغل هذا الخلاف فى نسب يزيد بعض الشعراء المناوئين له فقال مياد الجرمى مخاطبا يزيد :

لعمرك إن جمـــع بنى قشير لجرم فى يزيد لظالمونا
أليس الظلم أن أباك منـــا وأنك فى كتيبة آخرينا
أحالفة عليك بنو قشير يمين الصبر أم متحرجونا[٢]

وقال فديك بن حنظلة مخاطبا يزيد بن الطثرية أيضا :

وإنا لسيارون بالسنة التى أحلت وفينا جفوة حين نظلم
ومنا الذى لاقته أمك خاليا فلم تدرما أى الشهور المحرم[٣]

وحياة يزيد بن الطثرية يغلب عليها العبث ، واللهو ، فيزيد رجل مؤهل لذلك ، لأنه يستطيع الوصول إلى قلوب النساء فى يسر وسهولة ؛ فقد أقبل على مجلس نساء فقال :

---

(١) الأغانى ٨ / ١٥٥ ووفيات الأعيان ٦ / ٣٦٧ والشعر والشعراء ١ / ٤٢٧ ومعجم الأدباء ٢٠ / ٤٦ والكامل فى التاريخ ٥ / ٢٩٩ وطبقات فحول الشعراء ٢ / ٧٧٧وذيل الأمالى٧٦ وسمط اللآلى ٢ / ١٠٣ ورغبة الآمل ٥/١٤١ وكتاب من نسب إلى أمه من الشعراء ٨٩ وكتاب أسماء المغتالين ٢٤٧ وكنى الشعراء ٢٩٢ وألقاب الشعراء٣١٢ والاقتضاب ٤٦٥ والصحاح ٢/٧٢٣ وتهذيب الصحاح ١ / ٣٠٠ وجمهرة اللغة ٢/٣٨ وشرح الحماسة للتبريزى ٣ / ٤٦ والمبهج٤٧ والمزهر ٢ / ٤٤٧ وتاج العروس ٣ / ٣٥٦ والقاموس المحيط ٢ / ٧٧ .

(٢) الأغانى ٨ / ١٦٠ .

(٣) المصدر السابق ١٧٣ .

سلام عليكن الغداة فما لنا إليكن إلا أن تشأن سبيل

فخاطبته واحدة منهن وقالت : من أنت ؟ فقال :

أنا الهائم الصب الذى قاده الهوى إليك فأمسى فى حبالك مسلما

برته دواعى الحب حتى تركنه سقيما ولم يتركن لحما ولا دما[1]

وقصة يزيد بن الطثرية مع ميّاد الجرمى تدل على مهارته الفائقة فى الغزل ، ولنذكر هذه القصة كما وردت فى كتاب الأغانى ، فقد ذكر أبو الفرج الأصبهانى : (أن الناس أمحلوا حتى ذهبت الدقيقة من المال ونهكت الجليلة ، فأقبل صرم من جرم ساقته السنة والجدب من بلاده إلى بلاد بنى قشير ، وكان بينهم وبين بنى قشير حرب عظيمة ، فلم يجدوا بدا من رمى قشير بأنفسهم لما قد ساقهم من الجدب ، والمجاعة ، ودقة الأموال ، وما أشرفوا عليه من الملكة . ووقع الربيع فى بلاد بنى قشير فانتجعها الناس وطلبوها ، فلم يعد أن لقيت جرم قشيرا فنصبت قشير لهم الحرب . فقالت جرم : إنما جئنا مستجيرين غير محاربين . قالوا : مماذا ؟ قالوا : من السنة والجدب والملكة التى لا باقية لها . فأجارتهم قشير وسالمتهم وأرعتهم طرفا من بلادها . وكان فى جرم فتى يقال له مياد ، وكان غزلا حسن الوجه تام القامة آخذا بقلوب النساء . والغزل فى جرم جائز حسن ، وهو فى قشير نائرة . فلما نازلت جرم قشيرا وجاورتها أصبح مياد الجرمى فغدا إلى القشيريات يطلب منهن الغزل والصبا والحديث واستبراز الفتيات عند غيبة الرجال واشتغالهم بالسقى والرعية وما أشبه ذلك ، فدفعنه عنهن وأسمعنه ما يكره . وراحت رجالهن عليهن وهن مغضبات ، فقال عجائز منهن : والله ما ندرى أرعيتم جرما المرعى أم أرعيتموهم نساءكم ؟ فاشتد ذلك عليهم فقالوا : وما أدرا كنه ؟

(١) الأغانى ١٦٥ .

قلن : رجل منذ اليوم ظل مجحرا لنا ما يطلع منا رأس واحدة ، يدور بين بيوتنا. فقال بعضهم : بيتوا جرما فاصطلموها . وقال بعضهم : قبيح؛ قوم قد سقيتموهم مياهكم وأرعيتموهم مراعيكم وخلطتموهم بأنفسكم وأجرتموهم من القحط والسنة تفتاتون عليهم هذا الافتيات ! لا تفعلوا ، ولكن تصبحون وتقدمون إلى هؤلاء القوم فى هذا الرجل ، فإنه سفيه من سفهائهم فليأخذوا على يديه . فإن يفعلوا فأتموا لهم إحسانكم ، وإن يمتنعوا ويقروا ما كان منه يحل لكم البسط عليهم وتخرجوا من ذمتهم ، فأجمعوا على ذلك . فلما أصبحوا غدا نفر منهم إلى جرم فقالوا : ما هذه البدعة التى قد جاورتمونا بها ! إن كانت هذه البدعة سجية لكم فليس لكم عندنا إرعاء ولا إسقاء ، فبرزوا عنا أنفسكم وأذنوا بحرب . وإن كان افتنانا فغيروا على من فعله . وإنهم لم يعدوا أن قالوا لجرم ذلك . فقام رجال من جرم وقالوا : ما هذا الذى نالكم ؟ قالوا : رجل منكم أمس ظل يجر أذياله بين أبياتنا ما ندرى علام كان أمره ! فقهقهت جرم من جفاء القشيريين وعجرفتها وقالوا : إنكم لتحسون من نسائكم ببلاء ، ألا فابعثوا إلى بيوتنا رجلا ورجلا . فقالوا : والله ما نحس من نسائنا ببلاء ، وما نعرف منهن إلا العفة والكرم ، ولكن فيكم الذى قلتم . قالوا : فإنا نبعث رجلا إلى بيوتكم يا بنى قشير إذا غدت الرجال وأخلف النساء ، وتبعثون رجلا إلى البيوت ، ونتحالف أنه لا يتقدم رجل منا إلى زوجة ولا أخت ولا بنت ولا يعلمها بشىء مما دار بين القوم ، فيظل كلاهما فى بيوت أصحابه حتى يردا علينا عشيا الماء وتخلى لهما البيوت ، ولا تبرز عليهما امرأة ولا تصادق منهما واحدا فيقبل منهما صرف ولا عدل إلا بموثق يأخذه عليها وعلامة تكون معه منها . قالوا : اللهم نعم . فظلوا يومهم ذلك وباتوا ليلتهم ، حتى إذا كان من الغد غدوا إلى الماء وتحالفوا أنه لا يعود إلى البيوت منهم أحد دون الليل.

وغدا مياد الجرمى إلى القشيريات ، وغدا يزيد بن الطثرية القشيرى إلى الجرميات ، فظل عندهن بأكرم مظل لا يسير إلى واحدة منهن إلا افتتنت به وتابعته إلى المودة والإخاء وقبض منها رهنا وسألته ألا يدخل من بيوت جرم إلا بيتها ، فيقول لها : وأى شىء تخافين وقد أخذت منى المواثيق والعهود وليس لأحد فى قلبى نصيب غيرك ، حتى صليت العصر . فانصرف يزيد بفتخ كثير وذبل وبراقع ، وانصرف مدهونا مكحولا شبعان ريان مرجل اللمة . وظل مياد الجرمى يدور بين بيوت القشيريات مرجوما مقصى لا يقترب إلى بيت إلا استقبلته الولائد بالعمد والجندل ، فتهالك لهن وظن أنه ارتياد منهن له ، حتى أخذه ضرب كثير بالجندل ، ورأى البأس منهن ، وجهده العطش ، فانصرف حتى جاء إلى سمرة قريبة إلى نصف النهار ، فتوسد يده ونام تحتها نومة حتى أفرجت عنه الظهيرة وفاءت الأظلال وسكن بعض ما به من ألم الضرب وبرد عطشه قليلا ثم قرب إلى الماء حتى ورد على القوم قبل يزيد ، فوجد أمة تذود غنما فى بعض الظعن ، فأخذ برقعها فقال : هذا برقع واحدة من نسائكم ، فطرحه بين يدى القوم ، وجاءت الأمة تعدو فتعلقت ببرقعها فرد عليها ، وخجل مياد خجلا شديدا . وجاء يزيد ممسيا وقد كاد القوم أن يتفرقوا ، فنثر كمه بين يديه ملآن براقع وذبلا وفتخا ، وقد حلف القوم ألا يعرف رجل شيئا إلا رفعه . فلما نثر ما معه اسودت وجوه جرم وأمسكوا بأيديهم إمساكة فقالت : قشير : أنتم تعرفون ما كان بيننا أمس من العهود والمواثيق وتحرج الأموال والأهل ، فمن شاء أن ينصرف إلى حرام فليمسك يده فبسط كل رجل يده إلى ما عرف فأخذه . وتفرقوا عن حرب ، وقالوا : هذه مكيدة يا قشير . فقال فى ذلك يزيد بن الطثرية :

فإن شئت يا مياد زرنا وزرتم ... ولم ننفس الدنيا على من يصيبها

أيذهب ميّاد بألباب نسوتى ... ونسوة ميّاد صحيح قلوبهـا [(١)]

وهذه القصة التى أوردها أبو الفرج الأصبهانى تدل على حظوة يزيد عند النساء ، فهو يستطيع أن يجذب أى امرأة إليه ، وقد صادق يزيد فتاة من جرم يقال لها وحشية بل إنه أحب هذه الفتاة وتعلق بها حتى أصبح يزور بيتها بالرغم من الإحن بين الحيين جرم وقشير ، وقد علم فديك بن حنظلة الجرمى بعلاقة يزيد بوحشية فغضب لذلك غضبا شديدا ، ودخل على نسائه وجمعهن وقال : لقد علمت من أمر يزيد ما علمت وإننى أقسم بالله إن رأيت واحدة منكن تتصل به لأضربن عنقها بهذا السيف . وكان قد جرد سيفه من غمده فعمد إلى غلام له فضرب عنقه بين نسائه لينزل فى قلوبهن الرعب ، ولكن بالرغم مما فعل فديك فإن وحشية قد تعلقت بيزيد ، ولا تستطيع فراقه ، فإذا جن الليل خرجت إلى لقائه فى مكان كانا قد تعارفا عليه ، وقد علم فديك بأمر وحشية مع يزيد، وأنها تخرج إليه ليلا ، فأمر فديك عبيده بأن يحفروا حفرة فى طريق وحشية ويوقدوا النار فى هذه الحفرة ، وقد عمل العبيد ما أمروا به ، وبعد قليل خرجت وحشية فبينما هى سائرة فى طريقها إذ سقطت فى تلك الحفرة حتى أصابتها النار ، وعندما رأى فديك أن النار قد أصابت جسدها أمر بها فأخرجت من تلك الحفرة وحملت إلى بيت فديك ، وقد ارتاح فديك لذلك فقال :

شفى النفس من وحشية اليوم أنها ... تهادى وقد كانت سريعا عنيقها
فإن لاتدع خبط الموارد فى الدجى ... تكن قمنا من غشية لاتفيقهـا
دواء طبيب كان يعلم أنه ... يداوى المجانين المخلى طريقها

وقد عادت قبيلة جرم إلى بلادها وتركت بلاد بنى قشير ، ورحلت وحشية

---

(١) الأغانى ٨ / ١٦٠ .

مع قومها، فعز على يزيد فراق محبوبته، ولم تمض ليال حتى أصابه الهيام والمرض، ولم يقو على فراق تلك الفتاة التي أحبها. وعندما اشتد عليه المرض عرض أمره على ابن عمه خليفة بن بوزل فقال له خليفة: وكيف السبيل إلى وصول وحشية؟ إن الأمر صعب وفوق ما تتصور، ولكن يزيد ألح على ابن عمه فأجاب خليفة طلب يزيد، ورحل الاثنان في تجاه بلاد جرم. وكانا كلما دخلا بلاد قبيلة انتسبا إلى قبيلة أخرى حتى وصلا إلى بلاد جرم. فكمنا في جبل في تلك البلاد، وأخذ خليفة يسأل عن غنم فديك، ورعاته، حتى عثر على ضالته، وعندما قابل راعي الغنم سأله عن وحشية فقال: هي بشر منذ أن تركنا بلاد بني قشير، فقال خليفة: إن معي من يعرف داءها فأخبرها، فعاد الراعي في المساء وأخبر وحشية بالخبر، فطلبت من ذلك الرجل أن يأتي مع الغنم ويتجلل بشملة حتى لا يعرف ففعل يزيد ذلك، وقابل وحشية فسرت به سرورا عظيما، وجمعت عليه صويحباتها من الغد، أما خليفة بن بوزل فقد بقي في ذلك الجبل ينتظر يزيد حتى عاد إليه مسرورا، وبعد عودته سأله خليفة: كيف حالك مع وحشية؟ فأجابه يزيد بقوله:

لو أنك شاهدت الصبا يا بن بوزل ... بفرع الغضى إذ راجعتني غياطله
لشاهدت لهوا بعد شحط من النوى ... على سخط الأعداء حلوا شمائله [1]

وليست وحشية الجرمية هي المحبوبة الوحيدة ليزيد بن الطثرية، فهناك أسماء الجعفرية التي أحبها يزيد وأحبته، وهي التي يقول فيها:

خليلي بين المنحنى من مخمر ... وبين اللوى من عرفجاء المقابل

(١) الأغاني ٨ / ١٧١، ١٦١ ومعجم الأدباء ٢٠ / ٤٦، ورغبة الآمل ٥ / ١٤١.

قفا بين أعناق اللوى لمـــرية جنوب تداوى غل شوق مماطل
لكيما أرى أسماء أو لتمسنى رياح برياهـــا لذاذ الشمائل[١]

ومن خلال ماتقدم يتضح لنا أن يزيد بن الطثرية بأناقته ، وحسن جمته أصبح مصدرا لفتنة النساء حتى استاء كثير من الناس ، ورفعوا أمره إلى والى اليمامة ، فطلب الوالى من أخيه ثور أن يحلق لمته عقابا له فنفذ أخوه ثور أمر الوالى ، وحلق لمته ، فقال يزيد فى ذلك :

أقول لثور وهـــو يحلق لمتى بحجناء مردود عليها نصابها
ترفق بها ياثور ليس ثوابها بهذا ولكن غير هذا ثوابها
ألا ربما ياثور قد غل وسطها أنامل رخصات حديث خضابها
وتسلك مدرى العاج فى مدلهمة إذا لم تفرج مات غما صؤابها
فراح بهـــا ثور ترف كأنها سلاسل درع خيرها وانسكابها
منعمة كالشربة الفرد جادها نجـــاء الثريا هطلها وذهابها
فأصبـــح رأسى كالصخيرة أشرفت
عليها عقـــاب ثم طارت عقابها[٢]

وإذا كان يزيد بن الطثرية يتصف بالجمال،والأناقة، وحسن الوجه،والشعر ، فإنه يتصف بالكرم ، فهو يبذل ماله بسخاء.ومما يدل على كرمه المفرط أنه ذات يوم كان سائرا مع إبل أخيه ثور بعد أن شربت هذه الإبل ، وبينما هو سائر فى طريقه إذ مر على نسوة فى خباء فقلن : يايزيد أطعمنا لحما ، فقال لهن : أعطينني سكينا ، فأعطينه السكين ، فعمد إلى واحدة من إبل أخيه ثور فنحرها للنسوة، وعندما علم ثور بذلك غضب وشتم يزيد، فقال يزيد :

(١) الأغانى ٨ / ١٦٦ .

(٢) الأغانى ٨ / ١٧٨، والكامل فى اللغة ٢ / ٥٢٣، ورغبة الآمل ٥ / ١٤١.

يا ثور لا تشتمن عرضى فداك أبى … فإنما الشتم للقوم العواوير
ما عقر ناب لأمثال الدمى خرد … عين كرام وأبكار معاصير
عطفن حولى يسألن القرى أصلا … وليس يرضين منى بالمعاذير
هبهن ضيفا عراكم بعد هجعتكم … فى قطقط من سقيط الليل منثور
وليس قربكم شاء ولا لبن … أيرحل الضيف عنكم غير مجبور
ما خير واردة للماء صادرة … لا تنجلى عن عقير الرجل منحور[1]

ولإفراط يزيد فى الكرم كان يركبه الدين، فإذا كثر دينه قضاه عنه أخوه ثور ، فإذا لم يقضه فر وترك الدائنين، وأحيانا يدخل السجن بسبب ذلك الدين، فقد سجنه أمير العقيق عقبة بن شريك الحرشى لأن يزيد مدين للبربرى مولى عقبة ولم يستطع الوفاء بذلك الدين ، وقد طال مكث يزيد فى السجن ، فأشار عليه صاحب له بأن يخرج من السجن إن استطاع ، ويتوجه إلى الأمير وكان أمير العقيق إذا ذاك فى اليمامة ، فخرج يزيد من السجن ، وتوجه إلى عقبة فى اليمامة ، ومدحه بقوله :

يا عقب قد شذب اللحاء عن العصا … عنى وكنت مؤزرا محمودا
صل لى جناحى واتخذنى عدة … ترمى بى المتماشى الصنديدا

وعندما سمع أمير العقيق هذين البيتين برأه من دين البربرى[2] . ومن صفات يزيد بن الطثرية الشجاعة ، ومما يدل على شجاعته ثبوته بالراية فى حرب

---

(١) الأغانى ٨ / ١٧٦ .

(٢) الأغانى ٨ / ١٦٨ ومعجم الأدباء ٢٠ / ٤٦ والكامل للمبرد ٢ / ٥٢٣ ورغبة الآمل ٥ / ١٤١ .

بنى قشير مع بنى حنيفة[١] . ولكن هذه الشجاعة يتطرق إليها الشك ، فقد التقى يزيد بأعداء له وهو وحده ، فطلبه الأعداء فهرب منهم على ناقتـــه ، ولكنهم جدوا فى طلبه ، وعند ذلك هرب ، وترك راحلته للأعداء ، وقد قال فى تلك الحادثة :

ألا هل أتى ليلى على نأى دارها　　بأن لم أقاتل يوم صخـــر مذودا

وأنى أســـلمت الركاب فعقرت　　وقد كنت مقداما بسيفى مفردا

أثرت فلم أسطع قتـــالا ولا ترى　　أخا شيعة يوما كآخر أوحـــدا

فهل تصرمن الغانيات مودتى　　إذا قيل قد هاب المنون فعردا[٢]

وكانت شجاعة يزيد بن الطثرية سبباً فى قتله ، فقد أغارت بنو حنيفة على بنى عقيل فقتلوا رجلا منهم ورجلا من بنى قشير كان جارا للعقيليين ، وساق بنو حنيفة إبلا لبنى عقيل ، وعندما علم بنو عقيل بذلك لحقوا ببنى حنيفـــة وقاتلوهم فقتلوا منهم رجلا وعقروا ثلاثة أفراس ، وبعد هذه الحادثة بزمن انتجعت بنو عقيل بلاد تميم ، فعلمت بنو حنيفة بذلك فطلبت العقيليين ، ولكن بنى نمير أخبروا بنى عقيل بذلك ، فلم يتمكن بنو حنيفة من بنى عقيل ، وقد غضب بنو عقيل وتشاوروا فيما بينهم ، هل يغزون بنى حنيفة ؟ فأشار عليهم بعض رجالهم بأن غزو أولئك القوم فى ديارهم يحتوى على مخاطر عظيمة لأنهم سيحتمون ببيوتهم ، وتكون النتيجة أننا لا نتمكن منهم ، فتراجع العقيليون عن غزو بنى حنيفة ، ولكن هل يتراخى الحنفيون عن غزو بنى عقيل ؟ لا ! ان يكون ذلك ؛ فقد انحدر بنو حنيفة إلى الفلج يطلبون بنى عقيل ، وكان رئيس بنى حنيفة المندلف ، وجاء النذير إلى بنى عقيل يخبرهم بغزو بنى حنيفة ، فضاق

(١) أسماء المغتالين ٢٤٧ ووفيات الأعيان ٦ / ٣٦٧ .

(٢) الأغانى ٨ / ١٧١ .

أمير العقيق بهذا الخبر ، وكان أميرها أبا لطيفة بن مسلم العقيلى ، وقد أرسل الأمير إلى قبائل كعب ، فجاءته وفود قشير ، وجعدة ، والحريش ، وكان قد أرسل طليعة إلى بنى حنيفة ، فطلب من وفود القبائل أن ينظروا حتى يرى ما تعود به الطليعة ، وبعد ثلاثة أيام عادت الطليعة وأخبرته بكل شىء عن بنى حنيفة ، فخرج إلى الناس وقال : انصرفوا ، إن الأمر أقل مما كنا نتصور ، واقتصر أمير العقيق على قومه وبعض رجال القبائل الأخرى . وممن طلب منهم الأمير المشاركة فى القتال يزيد بن الطثرية ، مع أن يزيد لم يرض عن الخطة التى وضعها أمير العقيق لتلك الحرب ، وسارت بنو عقيل ومن معهم من القبائل الأخرى إلى بنى حنيفة ، فالتقوا بهم واشتدت الحرب ، وقطعت يد يزيد بن الطثرية فقال :

ولو ترانى وأخى عطاردا ... نذود من حنيفة المذاودا
نذود منها سرعانا واردا ... مثل الدبى تتبع المواردا
ألا فتى يسقى شرابا باردا ... أنشد كفا قطعت وساعدا
أنشدها ولا أرانى واجدا ... أبلغ أبا لطيفة المعاندا
المطعم الستة مدا واحدا[1]

وبالرغم من أن يده قد قطعت إلا أنه استمر فى القتال حتى تعلقت جبته بشجرة عشر فتعثر وسقط على الأرض فأسرع إليه القوم وقتلوه ، وكان مقتله فى السنة التى قتل فيها الوليد بن يزيد ، وهى سنة ست وعشرين ومائة[2] ، وذكر الزبيدى فى تاج العروس[3] ، أن يزيدا قتل فى الحرب التى قتل فيها الوليد

(١) شرح الحماسة للتبريزى ٣ / ١٦٣ .

(٢) وفيات الأعيان ٦ / ٣٦٧ والكامل فى التاريخ ٥ / ٢٩٩ والفخرى فى الآداب السلطانية ٩٨ ومروج الذهب ٣ / ٢٢٤ .

(٣) تاج العروس ٣ / ٣٥٦ .

ابن يزيد سنة ست وعشرين ومائة ، وذكر ياقوت في معجم الأدباء أن يزيد قتل مع الوليد بن يزيد بن عبد الملك سنة سبع وعشرين ومائة[١] ، أما أبو الفرج الأصبهاني فقد قال : إنه قتل في خلافة بني العباس[٢] . وقد ذكر الزبيدي في التاج وابن حجر في تبصير المنتبه أن يزيد كان مشهورا في خلافة معاوية[٣] . وكان القحيف العقيلي الشاعر مع يزيد في تلك الحروب لحزن على يزيد ورثاه بقوله :

ألا تبكى سراة بنى قشير ... على صنديدها وعلى فتاها

فإن يقتل يزيد فقد قتلنا ... سراتهم الكهول على لحاها

أبا المكشوح بعدك من يحامى ... ومن يزجى المطى على وجاها

وقال القحيف أيضا في رثاء يزيد :

إن تقتلوا منا شهيدا صابرا ... فقد تركنا منكم مجازرا

عشرين لما يدخلوا المقابرا ... قتلى أصيبت قعصا نحائرا

نعجا ترى أرجلها شواغرا

وقال القحيف في يزيد أيضاً :

يا عين بكى هملا على همل ... على يزيد ويزيد بن حمل

قتال أبطال وجرار حلل

وقد رثته أخته زينب بقصيدة مطلعها :

أرى الأثل من بطن العقيق مجاوري ... مقيما وقد غالت يزيد غوائله[٤]

ويزيد بن الطثرية من الشعراء المقلين ، فقد عده ابن سلام في كتابه

---

(١) معجم الأدباء ٢٠ / ٤٦ .

(٢) الأغانى ٨ / ١٨٠ .

(٣) التاج ٣ / ٣٥٦ وتبصير المنتبه ٣ / ٨٧١ .

(٤) الأغانى ٨ / ١٨٢ .

طبقات فحول الشعراء من شعراء الطبقة العاشرة[١] ، وقد جعله ابن النديم في الفهرست في طبقة بشار ، وابن هرمة ، وابن ميادة . وقال إن يزيد من مخضرمي الدولتين الأموية والعباسية ، وذكر أن أخبار يزيد وشعره موجودة في كتاب الباهر الذي ألفه يحيى بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم[٢] ، ولكن لم نطلع على هذا الكتاب ولم نعثر عليه . وقد عده صاحب جوهر الكنز نجم الدين أحمد بن إسماعيل بن الأثير الحلبي، عده من شعراء الدولة الأموية[٣]. وقد روى ديوان يزيد بن الطثرية أبو حاتم، رواه عن الأصمعي ورواه أبو الحسن علي بن عبد الله الطوسي ، رواه عن ابن الأعرابي وأبي عمرو الشيباني ، وكان أبي الفرج الأصبهاني قد جمع ديوان يزيد بن الطثرية[٤] ، ولكننا لم نطلع على شيء من ذلك . أما في عصرنا الحاضر فقد قام الأستاذ حمد الجاسر بجمع شعر يزيد ونشره في مجلته (العرب) التي تصدر في الرياض في العددين ١٠ ، ١١ من السنة الأولى ، ثم جمع شعر يزيد حاتم صالح الضامن وأخرجه في ديوان طبع في العراق سنة ثلاث وسبعين وتسعمائة وألف .

٢ — الصمة بن عبد الله القشيري :

هو الصمة بن عبد الله بن الطفيل بن قرة بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخير . وسلمة الخير هذا ابن لقشير بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية ابن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر ابن نزار . وسلسلة هذا النسب وردت في أكثر من موضع من الأغاني

(١) طبقات فحول الشعراء ٢ / ٧٦٩ .
(٢) الفهرست ٢١١ .
(٣) جوهر الكنز ٤٤٥ .
(٤) التنبيه ٦٠ وفيات الأعيان ٦ / ٣٦٧ .

عن الحديث عن الصمة ، وفى ترجمة النابغة الجعدى وليلى الأخيلية ويزيد بن الطثرية ، وأقصد بالسلسلة التى تبدأ من كعب ، أما قبل كعب فقد أورد الأصبهانى نسب الصمة عند ما أورد ترجمته[1] . ويورد السويدى فى سبائك الذهب سلسلة هذا النسب مع بعض الاختلاف فيقول : إن كعب بن ربيعة ابن عامر بن هلال بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن سلمة بن منصور ابن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان ابن أد بن أدد بن الهميسع بن سلامان بن بنت بن حمل بن قيدار بن إسماعيل ابن إبراهيم[2] .

وحياة شاعرنا الصمة حياة مليئة بالأحداث والمفاجآت ،ولكن هذه الحياة الغنية بأحداثها الفريدة من نوعها لم تحظ بالدراسة بل لم يلتفت إليها أحد من أولئك الذين يكتبون الكتب المطولة عن شعراء أقل قيمة من شاعرنا الصمة ، ذلك أن الصمة شاعر حب وهمس ، يبتعد عن الضجيج والضوضاء ويفضل الخلوة ومخاطبة النفس،والكاتب يستهويه الضجيج ، وتجذبه الأصوات ، وإذا كان معظم النقاد العرب يقيسون فحولة الشاعر بكثرة شعره بغض النظر عن جودة هذا الشعر ، فإن شعر شاعرنا الصمة ليس من الكثرة بحيث يلفت أنظار الباحثين إليه ، لقد امتلأت كتب الأخبار بأخبار أولئك الشعراء الذين يرتادون سوق المربد فى البصرة يوما بعد يوم ، ويطرقون أبواب الخليفة بقصائد المدح المطولة لأن هؤلاء الكتاب يعتبرون الوصول إلى الخليفة مقياسا لنباهة الشاعر وسيرورة ذكره ، أما وضع هذا الشاعر على محك النقد الصحيح ، وتصفية شعره الجيد ثم تصنيفه بعد ذلك فهذا شىء لم يحصل . وهذا هو السبب

(١) الأغانى ٦ / ١ .

(٢) سبائك الذهب ٤٥ .

الذى يجعلنا لانجد بين أيدينا من المصادر ما يسعفنا . لقد عاش هذا الشاعر حياة تمثل ملحمة من ملاحم الحب ، ومع ذلك لا نجـد فى كتب الأخبار والأدب تسجيلا لأحداث هذه الحياة ، لقد ذكر صاحب الفهرست أن هناك كتابا اسمه (كتاب الصمة بن عبد الله وريا) [(١)] ولـكننا لم نجد أثرا لهذا الـكتاب ، أما ما كتب عن الصمة فى كتب الأدب الموجودة لدينا ، فإنه لايعطينا إلا نتفا عن حياة هذا الشاعر وحبه، ولذلك فإن نشأة هذا الشاعر،وعلاقته الأولى بمحبوبته ريا غير واضحة تماما . وكل ما نعرفه عن الشاعر فى نشأته الأولى أنه نشأ فى بلاد قومه بنى قشير ، وترعرع ودرج على تلك الأرض التى شدته طيلة حياته، فتغنى بها وجعل من أسماء أعلامها قيثارة ينشد عليهـا شعره . ولا شك أن الثقافة العربية الموروثة من مروءة ونجـدة وعفة وإباء ، بالإضافة إلى تعاليم الإسلام الخالدة قد انغرست فى نفسه ، والعرب فى صحرائهـم وقراهم وإن لم تـكن عندهم المـدارس المنتظمة إلا أن كل والد يغرس فى ابنه منذ نشأته التعاليم التى تشتمل على العفة والإباء وعلو الهمة ، والاسم الذى أطلق على الصمة يدل على الشجاعة ، فالصمة فى اللغة الشجاع [(٢)] ، واسم الصمة هذا ليس متداولا عند العرب كثيرا ، وقد نشأ الصمة مع ابنة عمه ريا، وتمـكن حبها من قلبه مبكرا فخطبها من أبيها ، فطلب خمسين ناقة مهراً لها ، فأعطاه أبوه تسعا وأربعين ناقة . وامتنع عمه ألا أن تتم كما حددها ، ومن هنا حصل النزاع بين والده وعمه [(٣)] ،وهذهالقصة ترد بروايات متعددة ، فهناك رواية أخرى تقول :

---

(١) الفهرست ٤٣٩ ط الاستقامة .

(٢) القاموس المحيط ٤ / ١٤٢ (الصم) .

(٣) الحماسة شرح المرزوقى ٣ / ١٢٤٢ والخزانة ١ / ٤٦٤ .

بلماخطب ابنة عمه ريا العامرية، اشتط عليه أبوها في المهر فسأل الصمة أباه أن يعينه في مهرها فامتنع أبوه ، وعند ذلك لجأ الصمة إلى عشيرته فأعطوه المهر فأتى به إلى عمه فأبى أن يقبله ، وقال لا أقبله إلا من مال أبيك ، وقد رجع الصمة إلى أبيه وحاول معه أن يدفع الأموال لعمه فامتنع أبوه ، وعند ذلك قطع الصمة عقل الإبل حتى رجعت كل واحدة إلى صاحبها[١]. وهناك رواية أخرى تقول : عندما تمكن حب ريا من قلب الصمة ذهب إلى أبيه ، وأوضح له ما يحس به تجاه ابنة عمه وأعطاه تسعا وتسعين ناقة مهرا لابنة عمه ، فساق الصمة الإبل إلى عمه فلم يقبلها إلا أن تتم مائة ناقة ، فرجع الصمة إلى أبيه وطلب منه أن يكملها له مائة ناقة فامتنع أبوه[٢]. وهناك رواية رابعة تقول : إن الصمة هوى امرأة من بنى قومه يقال لها العامرية بنت غطيف بن حبيب بن قرة بن هبيرة فخطبها إلى أبيها على أن يزوجه إياها ، وخطبها عامر بن بشر بن أبى براء بن مالك ابن ملاعب الأسنة بن جعفر بن كلاب فزوجه إياها ، وكان عامر هذا قصيرا قبيحا فقال فيه الصمة :

فإن تنكحوها عامرا لاطلاعكم   إليه يدهدهكم برجليه عامر

وقد حزن الصمة حزنا شديدا على محبوبته ريا ، وعندما فقدها تزوج امرأة يقال لها جبرة بنت وحشى بن الطفيل بن قرة بن هبيرة ، ولكن هذه المرأة لم تشبع رغبة الصمة ، فغضب على قومه ورحل إلى الشام ، وقد قال فى امرأته هذه :

---

(١) سمط اللآلى ، ٤٦١ والأغانى ٦ / ٧ .

(٢) تزيين الأسواق ٩١ .

كلى التمر حتى تهرم النخل واضفرى

خطامك ما تدرين ما اليوم من أمس [١]

وفى طريقه إلى الشام أحس أنه ترك قلبه فى نجد فأخذ يلتفت يمينا وشمالا لينظر إلى أعلام نجد النظرة الأخيرة :

أقــول لعياش صحبنا وجابر   وقد حال دونى مضب عارمة الفرد
قفا فانظرا نحــو الحى اليوم نظرة   فإن غداة اليوم من عهده العهد
فلما رأينا قلة البشر أعرضت   لنا وجبال الحزن غيبها البعد
أصاب جهول القوم تتثيم ما به   فحن ولم يملـكه ذو القوة الجلد [٢]

وتخب به الإبل ، ويبتعد عن محبوبته شيئا فشيئا فيلتفت يمينا ويرى الجبال تغيب عنه الواحد بعد الآخر ، فيتنفس الصعداء ويستنشق رائحة العرار المحبب إلى نفسه فيقول :

أقول لصاحبى والعيس تهوى   بنــا بين المنيفة فالضمار
تمتع من شميم عرار نجــد   فما بعد العشية من عرار
ألا يا حبذا نفحات نجــد   وريا روضه بعد القطار
وأهلك إذ يحل الحى نجــدا   وأنت على زمانك غير زار
شهور ينقضين وما شعرنا   بأنصاف لهن ولا سرار
فأما ليلهن فخير ليــل   وأقصر ما يكون من النهار [٣]

ويستمر الشاعر فى طريقه مخترقا شمال نجد حتى يصل إلى جنوب الشام ،

---

(١) الأغانى ٦ / ٢

(٢) معجم البلدان ٦ / ٩٤ ط السعادة .

(٣) معاهد التنصيص ٣ / ٢٥٠ .

فيطأ أرض بصرى، ويحس أن نجدا أبعدت عنه، وأن ريا أصبحت هى الأخرى بعيدة أيضا فيهتاج قلبه وجدا فيقول :

نظرت وطرف العين يتبع الهوى ... بشرق بصرى نظرة المتطاول
لأبصر نارا أوقدت بعد هجعة ... لريا بذات الرمث من بطن حائل[1]

وبوصول الشاعر إلى بصرى يكون قد ودع نجدا الوداع الأخير، لأن بصرى أول بلاد الشام مما يلي نجدا :

قفا ودعا نجدا ومن حل بالحمى ... وقل لنجد عندنا أن تودعا
بنفسى تلك الأرض ما أطيب الربا ... وما أحسن المصطاف والمتربعا
وأذكر أيام الحمى ثم أنثنى ... على كبدى من خشية أن تصدعا
فليست عشيات الحمى برواجع ... عليك ولكن خل عينيك تدمعا[2]

وهكذا يودع الشاعر نجدا وداعه الأخير، وهو عازم على عدم العودة إلى نجد. وكيف يعود إليها وقد ترك أبوه وعمه غصة فى حلقه لا يمكن أن تزول بسبب تعنتهما، فأصبح شاعرنا هو الضحية، أما ريا محبوبته فإنها لم ترض بما فعل أبوه وعمه، وقد غضبت من فعلهما، والدليل على ذلك قولها عندما رأت عزم الصمة على الرحيل : تالله ما رأيت كاليوم رجلا باعته عشيرته بأبعرة[3]، ويستمر شاعرنا فى طريقه حتى يصل إلى دار الخلافة فيستقبله الخليفة أحسن استقبال، ويلحقه بالفرسان ويفرض له فرضا[4]. ولا شك أن وصول

(١) معجم البلدان ٢ / ٢٠٨ .
(٢) مجموعة أدب ورقة ١٤ وشرح الحماسة للتبريزى ٣ / ١١٢ .
(٣) الأغانى ٦ / ٧ .
(٤) الحماسة شرح المرزوقى ٣ / ١٢١٥ .

الشاعر إلى دار الخلافة يعتبر تحولا كبيرا فى حياته . والوصول إلى قصر الخلافة ليس بالأمر اليسير ، فالدولة تمتد شرقا وغربا آلاف الأميال ، والشعراء الذين يؤمون قصر الخلافة فى كل يوم كثيرون ، فكيف وصل شاعرنا إلى القصر ؟ وكيف سمح له بمقابلة الخليفة ؟ هذا ما لا يمكن الوصول إلى معرفته لأن المصادر التى بين أيدينا لم تسعفنا بما تستشرف نفوسنا إليه ، ولكن فيما يبدو أن جودة شعر الصمة هى التى شفعت له عند الخليفة، حتى أعجب به ، وجعله ضمن فرسانه وفرض له فرضا ، ولكن هل نعثر على هذه القصيدة التى قدمت الشاعر عند الخليفة ؟ لا نستطيع ذلك إن الذين يحظون بتدوين أخبارهم من الشعراء هم القلة النادرة أما الكثرة فإن أحداث حياتهم تذهب بدون تدوين ومنهم شاعرنا الصمة . وإذا كنا قد عرفنا أن الصمة قد أقام بالشام ، فإننا لا نعرف مقدار هذه الإقامة لأن ذلك لم يذكر فى شعره ولا فى غيره ، ويعتبر شعره هو المصدر الأساسى لدراسة حياته ، وهذا الشعر يقتصر فى الغالب على ذكر محبوبته ، وما يتعلق بها . وهذا هو الذى اهتم به الرواة ، أما القصائد الأخرى التى لا تسير فى هذا الخط ، والتى لو رويت لأعطتنا الكثير عن حياة الشاعر ، هذه القصائد لم نعثر عليها ، فبقيت فجوات لا نستطيع سدها فى حياة الشاعر ، وإذا كان شاعرنا قد تعلق قلبه بمحبوبته ريا فإنه يتذكرها فى كل مكان ، لقد أقام بالشام وطاب له المقام ، ولكن الذى ينغص عيشه تركه لمحبوبته ، فهو لا يزال يتذكرها دائما :

خليلى قوما أشرفا القصر فانظرا بأعيانكم هل تونسان لنا نجدا
وإنى لأخشى إن علونا علوه ونشرف أن نزداد ويحكما بعدا
نظرت وأصحابى بذروة نظرة فلو لم تفض عيناى أبصرتا نجدا

إذا ركب مصعدين فليتنى مع الرائحين المصعدين لهم عبدا[١]

لقد أقام الشاعر فى الشام ولكن قلبه فى نجد ، لقد حاول أن يسلو عن محبوبته ، ولكن هيهات أن يستطيع ذلك،لقد كانت ريا هى كل شيء فى حياته يفكر فيها ليل نهار،وإذا أراد أن يسلى نفسهفما عليه إلا أن يقول بعض الأبيات علها تخفف من آلامه :

لعمرى لئن كنتم على النأى والقلى بكم مثل مابى إنكم لصديق
إذا زفرات الحب صعدن فى الحشا رددن ولم تنهج لهن طريق[٢]

ويقول :

إذا ما أتتنا الريح من نحو أرضكم أتتنا بريا كم فطاب هبوبها
أتتنا بريح المسك خالط عنبرا وريح الخزامى باكرتها جنوبها[٣]

ويتذكر الحمى فيتفطر قلبه حزنا على تلك الأيام الماضية :

ألا تسألان الله أن يسقى الحمى بلى فسقى الله الحمى والمطاليا
وأسأل من لاقيت هل مطر الحمى فهل يسألن عنى الحمى كيف حاليا[٤]

كان الصمة يتذكر محبوبته باستمرار ، وليس له وسيلة للتعبير عما يحس به إلا هذه النفثات التى يخرجها من قلبه ملتهبة بلواعج الشوق ، لقد مر بالصمة رجل من بنى عقيل فوجده يبكى ، ويخاطب نفسه ويقول : لا والله ماصدقتك فيما قلت ، فرد عليه العقيلى وقال : من تعنى ويحك ؟ أجننت ! قال : أعنى التى أقول فيها :

---

(١) معجم البلدان ٤ / ١٩٤ .
(٢) الأغانى ٦ / ٣ .
(٣) المصدر السابق .
(٤) المصدر السابق .

أما وجلال الله لوتذكرينني كذكريك ما كفكفت للعين مدمعا
فقالت بلى والله ذكرا لو انه يصب على صم الصفا لتصدعا (١)

وقال بعد هذين البيتين مخاطبا العقيلى : أسلى نفسى عنها ، وأخبرها أنها لو ذكرتنى لكانت فى مثل حالى . هذه هى حالة شاعرنا مع محبوبته ريا ؛ تذكر مستمر وحنين لا ينقطع وآلام تتجدد ، أما حالة محبوبته بعد رحيله عنها فلا نعرف عنها شيئا ، لقد طوتها يد النسيان ، وطمرت الرمال أخبارها ، فهيهات أن نصل إلى ما نريد من أخبار ريا وحالها بعد رحيل ابن عمها إلى الشام ، لقد أقام الصمة بالشام فترة من عمره لا نستطيع تحديدها ، وفيما يبدو أن الصمة رغب فى القتال واللحاق بالجنود المجاهدة فى سبيل الله . لقد فقد كل شىء فى حياته ، وأصبح يتوق إلى الجهاد وإلى نشر الإسلام كغيره من الفتيان العرب الذين يتهافتون على ألوية الجهاد ، لقد اتجه شاعرنا شرقا وترك الجزيرة العربية والشام ، وأصبح من المجاهدين الذين نذروا أنفسهم للتضحية والفداء ، ولكن هل انخراط الصمة فى الجندية عن رغبة ملحة فى الجهاد أم أنه أراد أن يسلى نفسه ويبعدها عن موطنه الأول نجد ؟ وعن محبوبته ريا التى أصبح من المتعذر عليه الاتصال بها ، أو الزواج منها ، إذا أردنا أن نجيب على هذا السؤال فلابد أن نبحث فى شعره علّه يسعفنا ويمدنا بجواب واضح لهذا السؤال ، وسنجد الجواب واضحا وجليا فى قوله :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة بسعد ولما تخل من أهلها سعد
وهل أقبلن النجد أعناق أينق وقد سار مسيا ثم صبحها النجد
وهل أخبطن القوم والريح طلة فروع ألاء حفه عقد جعد

(١) الأغانى ٦ / ٦ .

وكنت أرى نجدا وريا من الهوى   فما من هوائى اليوم ريا ولانجد
فدعنى من ريا ونجـــد كليهما   ولـكننى غاد إذا ما غدا الجند[1]

نعم سنجد الجواب واضحا وجليا فى قوله :

فدعنى من ريا ونجد كليهما   ولـكننى غاد إذا ماغـــدا الجند

لقد طرأ تحول كبير إذاً فى حياة شاعرنا ، لقد أصبح مجاهدا لايأبه بنجد ولاريا ؛ ترك نجدا وترك ريا ، وعزم على الجهاد ، هذه هى الحياة الجديدة التى يحياها شاعرنا بعد أن انخرط فى الصفوف المحاربة ، أما ذلك الحب فإنه أصبح لايسيطر عليه السيطرة الـكاملة ، وفيما يبدو أنه لم يرجع من غزوه هـــذا بل استمر فيه حتى توفى . وليس الصمة هو الشاعر الوحيد الذى ابتعد عن وطنه ومات بعيدا عن الأماكن التى يألفها ، بل هناك شعراء سلـكوا هـذا السبيل وماتوا بعيدين عن أوطانهم،فمالك بن الريب يشبه شاعرنا فى المصير الذى وصل إليه كل منهما ، فقد خرج مالك بن الريب من الجزيرة العربية، وانخرط فى سلك الجندية ، وتوفى فى خراسان حيث قال أجمل قصائده وهى مرثيته الشهيرة . إذاً الصمة ليس هو الوحيد الذى تغرب عن بلاده وجاهد ومات بعيدا عن وطنه ، لقد خرج الصمة إلى الجهاد طائعا وقاتل محتسبا ، وكانت نهايته فى قتاله هذا : ولـكن هل نسى محبوبته عند نهايته ؟ هل كان صادقا فى قوله السابق : إنه ترك نجدا وترك ريا ؟ نعم كان صادقا عندما قال ذلك ولـكن عاده مرة أخرى إلى تذكر بلاده ومحبوبته . ونأتى إلى أبى الفرج الأصبهانى فنجده يسوق لنا قصة طريفة عن نهايته فيقول : بينما رجل من أهـل طبرستان كبير السن يمشى فى ضيعته التى قد كثرت فيها أشجار الفاكهة والزعفران وغير ذلك من الأشجار،

---

(١) معجم البلدان ٥ / ٨٣ .

إذا به يجد رجلا مطروحا على الأرض عليه أثواب خلقان . يقول الرجـــل الطبرستانى : فدنوت منه فإذا هو يتحرك ولا يتكلم، فأصغيت إليه فإذا هو يقول بصوت خفى :

تعز بصبر لاوجدك لاترى بشام الحمى أخرى الليالى الغوابر
كأن فؤادى من تذكره الحمى وأهل الحمى يهفو به ريش طائر

قال : فما زال يردد هذين البيتين حتى فاضت نفسه ، فسألت عنه فقيل لى : هذا الصمة بن عبد الله القشيرى(١) .

هذه هى الرواية الثابتة التى تروى لنا خروج الصمة من بلاده ؛ لأنه اتفق عليها أكثر من مصدر ، وهناك رواية أخـــرى تقول بخروجه إلى العراق ، ولكنى لاأستسيغ هذه الرواية لأن صاحب تزيين الأسواق انفرد بها ولكن لابأس من ذكرها أيضا ، فهذه الرواية تقول : إن الصمة خرج من بلاده إلى العراق فلما طال عليه الأمر تنازعه الشوق والشهامة المانعة له من العودة ، فمرض حتى أضناه السقم، فجاء كاهناً بالعراق فسأله عما أضمر له القدرفأخبره أنه لايتزوج بريا أبدا ، أما ريا فقد خطبها رجل يقال له غاوى بن رشيد بن طلابة المذحجى وأمهرها ثلاثمائة ناقة برعاتها ، فتزوجها، وحملها إلى مذحج ، وقد طال مرض الصمة بسبب حبه لريا ، وفى أثناء ذلك دخل عليه رجل كان يألفه، فعنفه وسلاه فأنشد الصمة قصيدته العينية :

أمن ذكر دار بالرقاشين أعصفت به بارحات الصيف بدءا ورجعا

ولما طال عليه المرض دعا له صاحبه العراقى بطبيب حاذق ، فلما تأمله قال : إنما تشكو العشق لاغيره ، وأرى أن يلزم النزهة فى البساتين ليتشاغل عما هو فيه

(١) الأغانى ٦/٤ .

بأخرجه صاحبه مع بعض الخدم إلى الثغور،فبينما هو يوما على شاطىء نهر ، وقد جد به الكرب إذ سمع امرأة تنادى ابنتها:ياريا فسقط مغشيا عليه فاحتملوه إلى فستان هناك وأضجعوه ، فلما أفاق أنشد :

تمز بصبر لا وجدك لاترى سنام الحمى إحدى الليالى الغوابر
كأن لسانى من تذكرى الحمى وأهل الحمى يهفو به ريش طائر

ولو يزل يرددها حتى قضى ، ولما وصل خبره إلى ريا داخلها من الوجد ما أمسكت معه عن الطعام والشراب ، وجعلت تبكى حتى ماتت[١] .

هذه هى رواية تزيين الأسواق فى خروجه حتى وفاته . ومن خلال تتبع هذه الرواية نجـــدها متهافتة ، حتى رواية الشعر الذى أورده صاحب تزيين الأسواق رواية لانقرها أيضا ، ولكننا أوردناها كما هى لنطلع اطلاعا كاملا على هذه النتف البسيطة التى كتبت عن حياة شاعرنا الصمة . وإذا كان الصمة قد توفى فى طبرستان ، فهل نستطيع تحديد سنة الوفاة ؟ لانستطيع ذلك لأن المصادر القديمة لاتسعفنا بشىء من ذلك،أما ماذكره الزركلى فى الأعلام من أن وفاة الصمة كانت فى سنة خمس وتسعين للهجرة[٢]؛فإن ذلك من باب التحرى لاالجزم ، ولكن الشىء الموثوق به أن الصمة عاش فى العصر الأموى ومات فى هذا العصر .

وشعر الصمة بن عبد الله القشيرى لم يجمع فى ديوان قط قبل أن أقـــوم بجمعه فهو مبثوث فى كتب التراث ، صحيح أن صاحب الفهرست ذكر أن هناك كتابا اسمه (كتاب الصمة بن عبد الله وريا) ولكننا لم نعثر على هـــذا

(١) تزيين الأسواق ٩١ .
(٢) الأعلام ٣/٣٠٠ .

الكتاب. وشعر الصمة ليس بالشعر الكثير، ولكن جودته تغنى عن كثرته؛ ففى كتاب الأغانى شهادة بجودة هذا الشعر تقول : أخبرنى أبو طالب بن الوشاء قال : قال لى إبراهيم بن محمد بن سليمان الأزدى : لوحلف حالف أن أحسن أبيات قيلت فى الجاهلية والإسلام فى الغزل قول الصمة القشيرى ماحنث :

حننت إلى ريا ونفسك باعدت   مزارك من ريا وشعبا كما معا
فما حسن أن تأتى الأمر طائعا   وتجزع أن داعى الصبابة أسمعا
بكت عينى اليمنى فلما زجرتها   عن الجهل بعد الحلم أسبلتا معا[1]

وشعر الصمة يسير فى طريق واحد هو الحنين إلى الوطن وذكر محبوبته ريا ، فالغرضان الأساسيان فى شعره هما الغزل والحنين إلى الوطن ، ويأتى الوصف بعد ذلك ، وإن كان ضمن الحنين إلى الوطن والغزل إلا إنه يكون غرضا ثالثا. وللصمة نظرات فى الحياة يأتى بها خاطفة لا تستحق الوقوف عندها ، ولذلك لا نستطيع أن نسميها حكمة أو فلسفة فى الحياة . هذه هى الأغراض البارزة فى شعره ؛ لأن الشاعر صنع هذا الشعر ذاتيا نابعا من وجدانه ، يهدف إلى تخفيف آلام نفسه فلم يصنعه للناس، ولذلك لم نجد له أبياتا فى الفخر أو المدح أو الاعتذار أو الغزل الماجن ، قد يقول قائل : ربما يكون له قصائد فى هذه الأغراض مثل غيره ولكنها ضاعت ، نقول : إن هذا ممكن ولكننا لا نحكم إلا على هذا الذى بين أيدينا ، فإذا وجد شىء من شعره أو عثر عليه فى المستقبل، ففى ذلك الوقت يتغير الحكم .

ويختلط شعر الصمة مع أشعار كثير من شعراء الغزل، مثل كثير والمجنون وقيس بن ذريح وابن الدمينة وابن الطثرية ، وأكثر مايقع الاختلاف فى العينية ، فهى أكثر شعر الصمة اختلافا .

(١) الأغانى ٦/٥ .

٣ ـ المختار بن وهب :

هو المختار بن وهب أحد بنى عبيدة ، ثم أحد بنى عطارد من معاوية بن قشير . كان رجلا نابها فى قومه بدلالة شعره، فهو يذكر خصومه فى هذا الشعر ، وينتخر بمكانة قومه يقول :

أنا ابن كعب نسبا لم يكتم   وابن كلاب فى السنام الأكوم
وكم لنا من ريف بحر خضرم   وغائط سهل وجد معلم
ومن بيوت كالرضام الجثم   شيدها فى الجاهلى الأقدم
سعر بأطراف القنا المقوم   كم من عدو ذى زهاء مجرم
صبحته فى وردنا المستقدم   يحمل كل بطل مستلئم (١)

ويقول فى قصيدة أخرى :

من مبلغ كعبا على إهجارها   ونأيها فى الدار واستخبارها
أنا نوازى الحرب فى ديارها   صارت لنا هزان من أمصارها (٢)

فالشاعر ينتسب إلى بنى قشيرمن ناحية الأب ، وينتسب إلى جعفر بن كلاب من ناحية الأم،وهذه الأبيات التى ذكرناها للشاعر تدل على مكانته الاجتماعية وتقدمه فى قومه؛فهو من زعماء بنى قشير ، ومما يدل على أن الشاعر من زعماء بنى قشير المعدودين أنه قد تزعم بنى قشير فى غزوة لهم على بنى سعد ، وقد مدحه الحسين بن جابر المريحى بقوله :

غداة يسوس رأى بنى قشير   أبو وهب ويأمر بالصواب
يدانى بينهم ويلين أريا   ليحملهم على قحم صعــاب

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٣٣ .

(٢) المصدر السابق ورقة ٣٤ .

عبيدى الصميم عطاردى	تمكن من ربيعة فى الروابى
غذته جعفر وبنو قشير	كلا الجدين صح بغير عاب[1]

والمختار بن وهب شاعر إسلامى ، ولكننا لا نستطيع تحديد سنة وفاته لأن المصادر تشح علينا بذلك .

* * *

٤ — ميمون بن عامر :

هو ميمون بن عامر من بنى معاوية بن قشير ، شاعر إسلامى مقل[2] وإذا أردنا أن نتعرف على هذا الشاعر فإن المصادر تشح علينا بأخبار حياته ، وقد توفى هذا الشاعر على أثر لدغة حية لم تمهله طويلا ، فقال فيه محمد بن حكيم يرثيه :

يابا سلامة من للقوم إذ جهلوا	وخام عنهم جبان القوم أو شردا
يابا سلامة من للوفد إن نزلوا	وضاق من كنت تكفيهم به بددا
يا حية قتلت من كان لى ثقة	لقد فجعت بقلب صارم وندا
فلا سقى الله أرضا أنت ساكنها	حتى القيامة إلا مصقما بردا[3]

وقال أيضاً :

سقى القبر قبرا بالدفان محله	من الرعد ريان الذباب وكوف
وبالأجبل اللاتى تقابلن أقبر	وبالأقبر اللاتى تلين شريف
فمن لبغاة الخير بعد ابن معرض	وقد مل عيسى سيرهن وجيف

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٥٢ .

(٢) المصدر السابق ورقة ٦٥ .

(٣) المصدر السابق ورقة ٦٧ .

ومن ليتامى من شتيت تجمعوا فأموا ذرى لين الـكلام عطوف [٤]

وقد طرق ميمون بن عامر كثيرا من الأغراض الشعرية مثل الهجاء ، والفخر والغزل ، والمدح .

٥ — الأقرع بن معاذ القشيرى :

اسمه الأشيم بن معاذ بن سنان بن عبد الله بن حزن بن سلمة بن قشير [١] ولقب بالأقرع لأنه قال فى هجاء بنى معاوية بن قشير :

معاوى من يرقيكم إن أصابـكم شباحية مما غـــذا القف أقرع [٢]

وقد اشتهر الأقرع بن معاذ القشيرى فى زمن هشام بن عبد الملك لأنه كان يناقض جعفر بن علبة الحارثى اللص الذى استعدت عليه بنو عقيل فدم لهم عنده، وقتل صبرا فى زمن هشام بن عبد الملك . أما شاعرنا فلا نعرف السنة التى توفى فيها ، ولـكننا نعرف أنه عاش فى هذا الزمن .

وشعر الأقرع بن معاذ من جيد شعر بنى قشير ، ومن أجمل غزله قوله :

سلام على من لا يمـــل كلامه وإن عاشرته النفس عصرا إلى عصر

فما الشمس وافت يوم دجن فأشرقت

ولا البدر وافى أسعدا ليلة البدر [٣]

بأحسن منها أو تزيد مـــلاحة على ذاك أو راءى المحب فـــا أدرى

---

(١) التمليقات والنوادر .

(٢) معجم الشعراء ٢٩١ .

(٣) مجالس ثعلب ٢٥٤ ، وألقاب الشعراء ٣١٢ .

(٤) لباب الآداب ٤١٠ .

ومن أجمل ما قال فى الفخر :

خلقت من الأشراف من آل عامر   كوقع أم الرأس فيه المسامع
فما طمع الأعداء منى بعثرة   ولا دنستنى عند ذاك المطامع
وإنى على جودى أعين سماحتى   بمنع إذا ماقيل هل أنت مانع[(١)]

وللأقرع أشعار فى الرثاء ، والمدح ، والتهديد . كما أن له نظرات فى الحياة قد نعتبرها حكما .

٦ — حبيب بن يزيد :

هو حبيب بن يزيد أحد بنى قشير [(٢)] ، شاعر إسلامى مقل ، وأكثر شعره فى محبوبته جمل التى ردد اسمها كثيرا فى شعره ، من ذلك قوله :

أرانى من جمل كراجى مخيلة   حياها لقوم نازحين حروب[(٣)]

ثم يقول :

فوجدى بجمل وجد ذاك ببارق   مخيل تلقته صبا وجنوب[(٤)]

ويقول فيها :

إنى بليت بجمل وهى ناشئة   ثم ابتليت بجمل أم صبيان[(٥)]

---

(١) مجموعة المعانى ٨٧ .
(٢) التعليقات والنوادر ورقة ٣١ .
(٣) المصدر السابق ورقة ٢٦ .
(٤) المصدر السابق .
(٥) المصدر السابق ورقة ٣١ .

ويقول :

قطعت القوى من حبل جمـــل فأصبحت
كأن لم يكن منها عليك ذمام[١]

ويقول :

كتمت هوى جمل ليخفى فبينت به للعدا عين طويل سجومها[٢]

وهكذا لا نجد لهذا الشاعر قصيدة أو مقطوعة إلا وفيها ذكر لجمـــل إلا ماقل من شعره . وقد أوردنا هذه النماذج لنقف على تمـكن تلك المرأة من قلب شاعرنا .

٧ ـ نوال بن الشغاء :

هو نوال بن الشغاء اللبيني ثم أحد بنى حبيب[٣] ، شاعر إسلامى مقل ، وأكثر شعر هذا الشاعر فى الهجاء ، وقد يمدح ممـــدوحه ثم يهجوه بعد ذلك مثل قوله فى بنى ظالم من بنى نمير سكان قرقرى ، وهم زهير بن الأعنق ومفرج ابن دويل :

وجدت زهيرا شر حى مدحته وفى ابن دويل ضربة برواء[٤]

ويقول فى جحفل الذى قد مدحه :

وضعت مديحى فى قفــا العير جحفل وكل مديح فى قفـا العير ضائع
إذا رابنى منهم لئيم مدحته رددت مديحى مثل رد الودائع[٥]

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٣٩ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) المصدر السابق ورقة ٨٢ .

(٤) المصدر السابق ورقة ٧٠ .

(٥) المصدر السابق ورقة ٤٥ .

٨ — بحير بن عبد الله القشيرى :

هو بحير بن عبد الله بن عامر بن سلمة الخير بن قشير بن كعب بن ربيعة ابن عامر بن صعصعة[1] ، كان من رؤساء بنى قشير فى الجاهلية ، وكان شاعرا مجيدا إلا أن شعره قليل ، تزعم بنى قشير فى الحروب التى خاضوها فى الجاهلية فقد اشترك بقبيلته فى يوم شراحيل عندما أغار شراحيل بن الأصهب الجعفى على قبائل كعب، وقد قتل شراحيل فى هذا اليوم ، قتله الورد بن عمرو الجعدى ، وعندما انهزم قوم شراحيل ظفروا بمالك بن المنتفق من عقيل، فقال مالك :أنا آتيكم بورد قاتل شراحيل،فجاء مالك إلى بنى جعدة و بنى قشير ، فامتنعوا من تسليم ورد ولحقوا بمن تبقى من قوم شراحيل وقاتلوهم ، وعندما انتصروا فى ذلك اليوم قال بحير بن عبد الله مخاطبا مالك بن المنتفق العقيلى :

لعلك قاتل وردا ولمـــــا ... تساق الخيل بالأسل النهال

ألا يا مال ويح سواك أقصر ... أما ينهاك حلمك عن ضلال[2]

ومن الأيام التى تزعّم قبيلته فيها يوم المروت ، وكان سبب ذلك اليوم أن بحيراً التقى بقعنب بن الحارث بن عمرو بن همام بن يربوع ، فقال بحير لقعنب : مافعلت البيضاء فرسك ؟ قال: هى عندى وأى شىء تريده منها ؟ قال: كيف شكرك لها ؟ قال قعنب : وعلى أى شىء أشكرها ؟ قال بحير : أليست هى التى نجتك منى ؟ فقال قعنب : ومتى ذاك ؟ قال بحير :كان ذلك عندما قلت :

لو أمكنتنى من بشامة مهرتى ... للاقى كما لاقت فوارس قعنب

تمطت به البيضاء بعد اختلاسة ... على دهش وخلتنى لم أكذب

(١) المؤتلف والمختلف ٧٦ والنقائض ١/٧٠ وأنساب الخيل ٧٢ .

(٢) الأغانى ٥/٢٠ .

فأنكر قعنب ذلك وأقسم أن لا يلتقى ببحير إلا قتله أو مات دونه ، وتفرق الناس من سوق عكاظ ، ومرت سنوات على هذه الحادثة ، ثم إن بحيرا أغار على بنى العنبر من تميم ، فأصاب منهم سبيا ورجع إلى بلاده ، فعلمت تميم بذلك ولحقوا بحيرا فأدركوه فى المروت ، ودار القتال بين الطرفين ، وقتل بحير فى هذا اليوم ، قتله قعنب بن الحارث اليربوعى[١] ، وبذلك انتهت حياة هذا الشاعر الزعيم .

أما شعره فينحصر فى غرضين هما الحماسة والرثاء .

٩ — خليفة بن عاصم :

هو خليفة بن عاصم أحد بنى معاوية بن مالك بن سلمة الخير بن قشير ، شاعر جاهلى مقل ، وهو من فرسان بنى قشير المعدودين ، وكل شعره فى الحماسة واستنهاض الهمم ، من ذلك قوله فى قتل سعيد بن قطن النميرى :

وزرنا سعيدا لم نزر بهـــدية   سوى مخلصات ثلمتها الوقائع
تركنا سعيدا لا يرى ضوء بارق   ويا بعد من لا تزدهيه اللوامع
بمعترك والطير يعكفن حـــوله   عوائده دعم السباع الجوائع
فلم تنجه منا نمير بن عامر   ولا شرب يذهبن والنقع ساطع[٢]

١٠ — مسلم بن عسكر اللبينى :

هو مسلم بن عسكر اللبينى ثم أحد بنى حبيب ، شاعر جاهلى مقل ، قال شعره فى الغزل ولم نعثر له على شعر فى غير هذا الغرض[٣] .

---

(١) النقائض ١/٧٠ وأنساب الخيل ٧٢ .

(٢) التعليقات والنوادر ورقة ٧٢ ، ٢٩ .

(٣) المصدر السابق ورقة ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ .

١١ — ابن الوهل المريحى :

ينتسب إلى مريح ، ومريح فرع من فروع معاوية بن قشير ، شاعر جاهلى مقل ، وهو من رجاز بنى قشير المعدودين (١) .

١٢ — مريزيق الغوانى :

هو مريزيق بن صالح اللبينى أحد بنى أوس ، وأوس فرع من فروع سلمة الشر بن قشير ، شاعر إسلامى مقل،ردد اسم محبوبته سعدى فى أكثر شعره ، من ذلك قوله :

تبينت من سعدى الحريمة بعدما ... ثبت زمانا طامعا أن أثوبا

وقوله :

وعاذلة فى حب سعدى تبرعت ... بلوم كما يبرى عن العظم عارقه

وقوله :

وقائلة لى ما لعينيك هكذا ... جفونهما مكحولة بالقذى تندا
فقلت لها ما راب عينى من قذى ... ولا رمد إلا البكاء على سعدى

وقد وصفت مكرمة بنت الكحيل هذا الشاعر بأنه قصير ودميم (٢) .

١٣ — مزيد بن حارث :

هو مزيد بن حارث من بنى مالك بن سلمة بن قشير (٣) ، شاعر إسلامى مقل وشعره مقتصر على الغزل ، فتارة يذكر ريا فى شعره وتارة يذكر حما فى هذا الشعر .

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٣١ ، ٦٥ ، ٨٠ .

(٢) المصدر السابق ورقة ٢٩ ، ٣١ ، ٢١٨ .

(٣) المصدر السابق ورقة ٣٦ .

١٤ — الحسين بن جابر المريحى :

هو الحسين بن جابر المريحى ، ومريح فرع من معاوية بن قشير ، شاعر إسلامى مقل ، قال شعره فى المدح والرثاء والغزل ، وهو الوحيد من شعراء بنى قشير الذى تغزل فى امرأته حيث يقول :

يا صاحب النبل تبدو لى ترائبه نفسى بكفيك فانظر كيف توليها
عيناك قبل احتمال الحى لم تدعا شيئا فحتام ياذا القوس ترميها
أشركت بالله ياذا النبل ما اهتبشت نفسى من الناس شيئا عنك يسليها[١]

١٥ — مصعب بن الطفيل القشيرى :

هو مصعب بن الطفيل القشيرى ، من أهل الأفلاج جنوب اليمامة ، شاعر إسلامى مقل ، تزوج امرأة اسمها عالية من أهل أكمة ، وأكمة قرية فى الأفلاج لبنى جعدة ، وقد طلق هذه المرأة ثم ندم أشد الندم فأخذ يقول الشعر فى تلك المرأة مثل قوله :

أما تنسيك عالية الليالى وإن بعدت ولا ما تستفيد
إذا ما أهل أكمة ذدت عنهم قلوصى ذادهم ما لا أذود
قواف كالجهام مشردات تطالع أهل أكمة من بعيد[٢]

١٦ — قشير بن عطى العبيدى :

هو قشير بن عطى العبيدى ، أحد بنى ديسق من معاوية بن قشير ، شاعر جاهلى مقل ، وقد امتد به العمر حتى عمى ومل الحياة ، وله أشعار فى رثاء حالته بعد كبره[٣] .

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ١٣٣ .

(٢) معجم البلدان ١/٢٤١ .

(٣) التعليقات والنوادر ورقة ٧٢ ، ٧٤.

١٧ — المجنون القشيري :

هو كهيل بن مالك بن معاوية بن سلمة الخير بن قشير بن كعب ، وهو يعرف بابن المحدقة وهي أم أبيه[١] وقيل إن اسمه نهيك بن محذفة[٢]، وقد تكون إحدى الكلمتين محرفة عن الأخرى ، ومحذفة مصحفة عن (محدقة) وهو شاعر جاهلي مقل ، وقد اشتهر بالكرم حتى إنه أنهب الناس ماله في موسم الحج فغضبت عليه قريش وقالت : إنه قد جن ولذلك سمى بالمجنون ، أما هو فيقول :

لست بمجنون ولكني سمح

وقد افتخر به سوار بن أوفى فقال :

ومنا نهيك أنهب الناس ماله ... مئين ألوفا لاجواد يرومها
فطارت على أيدى الحجيج وأحفظت ... قريشا وظنت أن ذاك يليمها[٣]

١٨ - موسى بن عيسى اللبيني :

هو موسى بن عيسى اللبيني أحد بني أوس، وأوس من سلمة الشر بن قشير، شاعر جاهلي مقل[٤] .

١٩ - بهيج بن سرور العبيدي :

هو بهيج بن سرور بن عطى العبيدي ، وعبيدة من معاوية بن قشير ، شاعر جاهلي مقل[٥] .

---

(١) المؤتلف والمختلف ٢٩٠

(٢) الوحشيات ١٠٤ .

(٣) المؤتلف والمختلف ٢٩٠ .

(٤) التعليقات والنوادر ورقة ٨٢ ، ٨٣ .

(٥) المصدر السابق ٢٠٩ .

٢٠ ـ عيسى بن عمير اللبيني :

هو عيسى بن عمير اللبيني أحد بني أوس ، وأوس من سلالة الشر بن قشير ، شاعر إسلامي مقل[١] .

٢١ ـ الأعنق بن الباهلية :

هو الأعنق بن الباهلية الحبيبي أحد بني لبيني ، شاعر جاهلي مقل ، وقد اشتهر هذا الشاعر بحماية الجار[٢] .

٢٢ ـ عائذ بن نمي :

هو عائذ بن نمي من معاوية قشير ، شاعر جاهلي مقـــــل ، وكان كريما جوادا[٣] .

٢٣ ـ قدامة بن الأحرز القشيري :

هو قدامة بن الأحرز القشيري ، شاعر أمـــوي مقل ، وفد على عبد الله ابن الحشرج الجعدي وهو أمير على قهستان فمدحه ، فأعطاه أربعة آلاف درهم واعتذر إليه . وممدوح شاعرنا هو الذي يقول فيه زياد الأعجم :

إن السماحة والمروءة والندى   في قبة ضربت على ابن الحشرج[٤]

٢٤ ـ القرطي من بني مالك بن قشير :

هو القرطي من بني مالك بن قشير ، شاعر جاهلي مقل ، وهو من بني قشير سكان الريب ، وقد اشتهر بمعرفته لمسالك الصحراء[٥] .

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٦٧ .

(٢) المصدر السابق ورقة ٧٤ .

(٣) المصدر السابق ٣٥ و ٥٧ .

(٤) الأغاني ١٢/٢٤ .

(٥) التعليقات والنوادر ورقة ١٠٦

٢٥ ـ جعفر بن الربيع :

هو جعفر بن الربيع من عبيدة ، وعبيدة فرع من معاوية بن قشير ، شاعر جاهلي مقل ، وقد اشتهر بهجائه[١] .

٢٦ ـ الأخزر القشيري :

هو الأخزر بن زيد بن صقر بن مالك ذي الرقيبة بن سلمة بن قشير ، شاعر أموي مقل[٢] .

٢٧ ـ كلثوم بن عياض القشيري :

هو كلثوم بن عياض بن وحوح بن قشير بن الأعور بن قشير ، ولي الشرطة للوليد بن مروان ، ويقال : إنه هو الذي تولى ضرب علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنه[٣] . وفي أيام هشام بن عبد الملك ثار الخوارج في المغرب وكان الوالي عليها ابن الحبحاب ، فأرسل إليه هشام أن يحضر إلى دمشق وولى هشام كلثوم بن عياض على بلاد المغرب ، فسار كلثوم إلى تلك البلاد بجيش قوامه اثنا عشر ألفا ، وقد انضم إليه في الطريق جموع كثيرة حتى بلغ الجيش سبعين ألف مقاتل . وعندما وصل الجيش إلى القيروان في رمضان سنة ١٢٣[٤] أساء كلثوم معاملة أهل القيروان ، وقد سار بجيشه حتى التقى بالخوارج وعلى رأسهم أبو يوسف الأزدي رأس الصفرية[٥] ؛ وقيل : إن رأس الصفرية أبو يوسف

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٧٢ .

(٢) المؤتلف والمختلف ٦٦ .

(٣) وفيات الأعيان ٣/٢٧٦ .

(٤) البيان المغرب ١/٥٤ .

(٥) العبر في خبر من غبر للذهبي ١/١٥٦ .

الأزدى [١] ، وذكر الناصرى فى كتاب الاستقصاء أن كلثوم بن عياض التقى بخالد بن حميد الزناتى فى وادى سبو قرب طنجة ، وهزم كلثوم وجيشه وقتل شاعرنا سنة ١٢٣ [٢] ، وفى الكامل فى التاريخ لابن الأثير نجد تناقضا واضحا فى السنة التى قتل فيها كلثوم ، فمرة يذكر أنه قتل سنة ١٢٢هـ ، ومرة يذكر أنه ولى دمشق سنة ١٢٦ هـ ، وفى موضع آخر يذكر أنه قتـــل سنة ١٢٣ [٣] ، ولكن الذى أجمعت عليه المصادر أن كلثوم بن عياض قتل فى ذى الحجـــة سنة ١٢٣ هـ .

٢٨ ـ سوادة بن كلاب القشيرى :

هو سوادة بن كلاب القشيرى ، شاعر إسلامى مقل ، قصر شعره على التغزل فى محبوبته ظمياء [٤] .

٢٩ ـ اللبينى المنيخس :

هو اللبينى المنيخس أحد بنى المشنج ، والمشنج فرع من فروع الأعور بن قشير ، شاعر إسلامى مقل [٥] .

٣٠ ـ منقذ بن عطاء :

هو منقذ بن عطاء من بنى فراس بن عبد الله بن سلمة الخير بن قشير ، شاعر إسلامى مقل [٦] .

---

(١) النجوم الزاهرة ١/٢٨٩ .

(٢) الاستقصاء ١/٩٩ وتاريخ ابن خلدون ٣/١٤١ .

(٣) تاريخ ابن الأثير ٥/١٩٢ ، ٢٤٩ ، ٢٧٦ .

(٤) الحماسة البصرية ٢/١٠٤ .

(٥) التعليقات والنوادر ورقة ٧٨ .

(٦) المصدر السابق ورقة ٢٢٠ .

٣١ ـ ذو الرحل القشيرى :

هو لقمان بن توبة القشيرى شاعر جاهلى مقل ، أكثر من ذكر محبوبته أم عاصم [١] .

٣٢ ـ المستنير بن طلبة بن قشير :

هو المستنير بن طلبة القشيرى ، شاعر جاهلى مقل ، قال شعره فى محبوبته ليلى [٢] .

٣٣ ـ منقذ بن عليج اللبينى :

هو منقذ بن عليج اللبينى من بنى أوس ، وأوس من سلمة الشر بن قشير ، شاعر إسلامى مقل [٣] .

٣٤ ـ ابن العفى اللبينى :

هو ابن العفى اللبينى ، شاعر إسلامى مقل ، اشتهر بهجاء النساء [٤] .

٣٥ ـ قعنب بن حبيب :

هو قعنب بن حبيب من بنى لبينى ، وهو الذى قتل ربيعة أخا عبيد الله الطريد ، فلم يزل عبيد الله الطريد يلاحقه حتى قتله . وقعنب شاعر إسلامى مقل [٥] .

---

(١) الزهرة ٣١٣ .
(٢) أمالى الزجاجى ٣١ والمجتبى ٦١ .
(٣) التعليقات والنوادر ورقة ٣٢ .
(٤) المصدر السابق ورقة ٦١ .
(٥) المصدر السابق ورقة ٥٩ .

٣٦ ـ مصقع بن حسين المريحى :

هو مصقع بن حسين المريحى من معاوية بن قشير ، شاعر جاهلى مقل[١] .

٣٧ ـ القعقاع بن ربعية القشيرى :

هو القعقاع بن ربعية القشيرى ، وربعية أم الشاعر ، وهو شاعر جاهلى مقل[٢] .

٣٨ ـ بشر بن سليمان القشيرى :

هو بشر بن سليمان بن عامر بن جون بن قشير ، شاعر إسلامى مقل ، وهو فى شعره يحث على الخير[٣] .

٣٩ — محمد بن حكيم :

هو محمد بن حكيم القشيرى ، شاعر إسلامى مقل ، وجيد شعره فى رثاء ميمون بن عامر[٤] .

٤٠ — رزام بن قشير :

هو رزام بن قشير من عبيدة بن معاوية بن قشير ، شاعر جاهلى مقل[٥] .

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٥١ .

(٢) الوحشيات ٢٠٦ ومعجم الشعراء ٢٠٨ .

(٣) مجموعة المعانى ٣ .

(٤) التعليقات والنوادر ورقة ٦٧ .

(٥) المصدر السابق ورقة ٦٠ .

٤١ — معروف بن قدامة :

هو معروف بن قدامة القرى القشيرى ، أحب منيمة الجمدية ، وقال فيها شعره ، وهو شاعر جاهلى مقل [١] .

٤٢ — مالك بن معاوية بن سلمة القشيرى ، شاعر جاهلى مقل . وقد قال شعره فى محبوبته سلمى [٢] .

٤٣ — سام بن رماح :

هو سام بن رماح الأسدى من بنى لبينى من قشير ، شاعر إسلامى مقل وكان صديقا لنوال من الثغاء [٣] .

٤٤ — فائد بن منذر القشيرى :

هو فائد بن منذر القشيرى ، شاعر إسلامى مقل ، وشعره غزل رقيق وجذاب [٤] .

٤٥ — أبو الزهراء القشيرى :

هو أبو الزهراء القشيرى ، شاعر إسلامى مقل ، وكان ضمن أولئك الذين تأولوا حل الخمر فقالوا خيرنا : (فهل أنتم منتهون) فاخترنا ، وقد احار أبو عبيدة فى أمر هؤلاء ، فكتب إلى عمر بن الخطاب وقال له : إن نفرا من المسلمين أصابوا الخمر، منهم ضرار وأبو جندل فسألناهم فتأولوا ، فرد عمر على أبى عبيدة وقال : ادع هؤلاء فإن زعموا أن الخمر حلال فاقتلهم ، وإن زعموا

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٣٤ .

(٢) المنازل والديار ١٨٤ .

(٣) التعليقات والنوادر ورقة ٥٥ .

(٤) شرح الشواهد للعينى ٨١/٣ .

أنها حرام فاجلدهم ثمانين جلدة ، وعندما وصل خطاب عمر إلى أبى عبيدة دعا أولئك واستجوبهم أمام الناس ، فقالوا بحرمة الخمر فجلدهم ثمانين جلدة ، وفى تلك الحادثة يقول شاعرنا وهو واحد من أولئك الذين منعوا من الخمر :

ألم تر أن الدهر يعثر بالفتى ... وليس على صرف المنون بقادر
صبرت ولم أجزع وقد مات إخوتى ... ولست عن الصهباء يوما بصابر
رماها أمير المؤمنين بحتفها ... فخلانها يبكون حول المعاصر[1]

٤٦ — أبو جليحة بن أحمد المزاوى :

هو أبو جليحة بن أحمد بن عمارة المزاوى ، من مالك بن سلمة بن قشير ، شاعر جاهلى مقل ، وهو من زعماء بنى قشير[2] .

٤٧ — معاوية بن قشير :

هو معاوية بن قشير ، من رجاز بنى قشير ، شاعر جاهلى مقل[3] .

٤٨ — زياد بن الأشهب القشيرى :

هو زياد بن الأشهب القشيرى ، شاعر جاهلى مقل ، وهو من فرسان بنى قشير المعدودين ، وقد اشتهرت فرسه قصاف لشجاعته[4] .

٤٩ — رياح بن الأعلم :

هو رياح بن الأعلم بن الخليع بن ربيعة بن قشير ، شاعر جاهلى مقل ، وكانت له مكانة مرموقة فى قومه[5] .

---

(١) تاريخ الطبرى ٤/٩٦ .
(٢) التعليقات والنوادر ورقة ٨٤ .
(٣) سمط اللآلىء ١/٥٦٧ .
(٤) أنساب الخيل لابن الكلبى ٧٣
(٥) الوحشيات ٦٦ .

٥٠ — بطال بن معاوية :

هو بطال بن معاوية من مالك بن سلمة بن قشير ، شاعر إسلامى مقل ، قال أشعاره عندما كان مقيما فى مصر مع الجيوش الإسلامية[١] .

٥١ — عبيد الله الطريد :

هو عبيد الله الطريد من بنى المشنج ، والمشنج من لبينى من قشير ، شاعر إسلامى مقل ، وكان قعنب أحد بنى حبيب قد قتل أخا عبيد الله فلم يزل عبيد الله يلاحق قعنبا حتى قتله[٢] .

٥٢ — عياض بن كلثوم القشيرى :

هو عياض بن كلثوم القشيرى ، شاعر جاهلى مقل ، وقد اشتهر بكرمه وشجاعته ، وشعره كله فى الحماسة والحرب[٣] .

٥٣ — عقبة بن كلاب القشيرى :

هو عقبة بن كلاب القشيرى ، شاعر جاهلى مقل[٤] .

٥٤ — الأبرق الحرى :

هو الأبرق الحرى من بنى مالك بن سلمة بن قشير ، شاعر جاهلى مقل[٥] .

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٧٢ .

(٢) المصدر السابق ورقة ٥٩ .

(٣) النقائض ١/٤٠٦ ومعجم الشعراء ١١١ .

(٤) حماسة البحترى ٦٨ .

(٥) التعليقات والنوادر ورقة ٦٨ .

٥٥ — ميمون بن عائذ :

هو ميمون بن عائذ القشيرى ، شاعر جاهلى مقل[١] .

٥٦ — قرة بن هبيرة :

هو قرة بن هبيرة بن عامر بن سلمة بن قشير ، شاعر جاهلى مقل ، وكان من فرسان بنى قشير المعدودين ووجهائهم المشهورين ، أغار فى الجاهلية على النعمان بن المنذر ملك الحيرة، وسبا امرأته المتجردة ، وأخذ كثيرا من أمواله[٢] . وقيل إن هبيرة بن عامر والد قرة هو الذى قاد الغارة على النعمان بن المنذر عندما كان نازلا على سفوان جنوب البصرة[٣] ، وقد افتخر شعراء بنى عامر بهذا اليوم ؛ فقال النابغة الجعدى :

وظل لنسوة النعمان منا　　على سفوان يوم أرونانى
فأردفنا حليلته وجئنا　　بما قد كان جمع من هجان
فظلت كأنى نادمت كسرى　　له قاقزة ولى اثنتان

ومما يدل على شجاعة شاعرنا أن عمران بن مرة بن ذهل بن شيبان أغار على قوم من بنى نمير ، فسبا النساء ، وأخذ الأموال ، وعندما كان سائرا فى طريق عودته مر على قوم من بنى قشير فيهم قرة بن هبيرة ، فعرف قرة أن بنى شيبان قد أغاروا على بنى نمير ، ونمير وقشير فرعان من عامر ، فلم يكن من قرة ابن هبيرة إلا أن استنفر قومه ولحق بعمران بن مرة ولم يمكث طويلا حتى لحق به ، وصرعه ، وشتت شمله ، وأعاد لبنى نمير نساءهم وأموالهم ، وقد ارتاح شعراء بنى عامر لهذا النصر ، فقال النابغة الجعدى :

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٧٨ .

(٢) الحيوان ٤/٣٧٥ .

(٣) النقائض ١/٤٠٤ .

جزى الله عنا رهط قرة نصرة ... وقرة إذ بعض الفعال مزلج
جلا الخزى عن جل الوجوه فأسفرت ... وكانت عليها هبوة ماتبلج
هم اليوم إن باد الملوك ملوكنا ... فعالا ومجداً غير أن لم يتوجوا
تدارك عمران بن مرة ركضهم ... بقارة أهوى والخوالج تخلج

وقال النابغة أيضا :

كل قوم كان سهمهم ... دون مايسمى بنو سلمه [1]

وقد وفد قرة بن هبيرة على الرسول صلى الله عليه وسلم فكساه برداوولاه على صدقات قومه [2] . وبعد وفاة الرسول ﷺ ارتد قرة بن هبيرة وانضم إلى بنى أسد فى حربهم ضد أبى بكر ، وعندما توجه خالد بن الوليد إلى بنى أسد وغطفان كان قرة بن هبيرة ضمن المقاتلين مع بنى أسد ، وبعد انتصار خالد ابن الوليد أسر قرة بن هبيرة ، وحمل إلى أبى بكر فى المدينة فاستبقاه عنده [3]، وبعد حروب الردة هذه لاتسعفنا المصادر بشىء عن قرة بن هبيرة .

٥٧ — طفيل بن قرة :

هو طفيل بن قرة بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخير بن قشير ، شاعر إسلامى مقل [4] ، وقد عرفنا أمجاد هذه الأسره فى الجاهلية والإسلام عند دراستنا لقرة بن هبيرة والد هذا الشاعر .

---

(١) النقائض ١/٤٠٦.
(٢) نهاية الأرب ١٨/٤٧ .
(٣) أسماء المغتالين ٢٤٤ .
(٤) المؤتلف والمختلف ٢١٨ .

٥٨ — محرز بن قرة :

هو محرز بن قرة بن معاوية بن قشير ، وهو من سكان الريب ، شاعر إسلامى مقل (١) .

٥٩ — حباب بن بكير القرى :

هو حباب بن بكير القرى من سلمة بن قشير ، شاعر جاهلى مقل (٢) .

٦٠ — هودان بن الوازع :

هو هودان بن الوازع من عبيدة بن معاوية بن قشير، شاعر جاهلى مقل (٣) .

٦١ — عوسجة بن نصر المريحى :

هو عوسجة بن نصر المريحى من معاوية بن قشير ، شاعر جاهلى مقل ، وقد اشتهر بكرمه (٤) .

٦٢ — ابن جحفل اللبينى :

هو ابن جحفل اللبينى من بنى بيهس ، وبيهس من الأعور بن قشير، شاعر إسلامى مقل ، وقد عاش حياته فقيرا (٥) .

٦٣ — الورد بن على المريحى :

هو الورد بن على المريحى من معاوية بن قشير ، شاعر إسلامى مقل (٦) .

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٤٧

(٢) المصدر السابق ورقة ٦٧ .

(٣) المصدر السابق ورقة ٦٠ .

(٤) المصدر السابق ٤١ .

(٥) المصدر السابق ورقة ٤٧ .

(٦) المصدر السابق ورقة ٥٨ .

٦٤ — أبو الأعوج بن الصقيل :

هو أبو الأعوج بن الصقيل بن الأحنف من بنى نبيط ، وبنو نبيط من مالك بن سلمة الخير بن قشير ، شاعر إسلامى مقل (١) .

٦٥ — سوار بن أوفى القشيرى :

هو سوار بن أوفى بن سبرة القشيرى (٢) ، زوج ليلى الأخيلية (٣) ، شاعر أموى مقل ، وقد ضاع أكثر شعره ، وكان له مع النابغة الجعدى جولات فى الهجاء ، وكان يعرف بابن الحيا والحيا أمه ، ومما يدل على قوة هذا الشاعر وكثرة شعره أنه استثار النابغة الجعدى بما قال فيه ، وفى بنى جعدة قوم النابغة ، وفى أخوال النابغة من الأزد ، استثاره بتلك الأشعار حتى قال النابغة قصيدته فى بنى قشير قوم سوار والمعروفة بالفاضحة ، يقول النابغة مخاطبا شاعرنا :

جهلت على ابن الحيا وظلمتنى وجمعت بيتا جاء قولا مضللا

وقال النابغة أيضا مخاطبا شاعرنا :

هلا سألت بيومى رحرحان وقد ظنت هوازن أن العز قد زالا
تلك المكارم لاقعبان من لبن شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وقد غضبت ليلى الأخيلية لزوجها وردت على النابغة بقولها :

وما كنت لو قاذفت جل عشيرتى لأذكر قعبى حازر قد تثملا (٤)

---

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٦٠ .
(٢) الأغانى ٥/١٣ والمؤتلف والمختلف ٢٩٠ .
(٣) الشعر والشعراء ١/٤٤٩ .
(٤) الأغانى ٥/١٦ .

٦٦ — المنتجع اللبيني

هو المنتجع اللبيني من بنى الأعور بن قشير ، شاعر جاهلى مقل [١] .

٦٧ — جفنة بن قرة القشيرى :

هو جفنة بن قرة القشيرى ، شاعر إسلامى مقل [٢] .

٦٨ — رحمة بن مفرج :

هو رحمة بن مفرج القشيرى ، شاعر إسلامى مقل [٣] .

٦٩ — عبد الرحمن بن قشير :

هو عبد الرحمن بن قشير ، شاعر إسلامى مقل [٤] .

٧٠ — عبيد القشيرى :

هو عبيد القشيرى ، شاعر جاهلى مقل [٥] .

٧١ — أوس بن بجير :

هو أوس بن بجير بن عبد الله القشيرى ، شاعر جاهلى مقل [٦] .

٧٢ — زينب بنت الطثرية :

هى زينب بنت سلمة بن سمرة بن سلمة الخير بن قشير ، من شاعرات الدولة الأموية ، وقد عرفت بمرثيتها لأخيها يزيد التى مطلعها :

أرى الأثل من بطن العقيق مجاورى   مقيما وقـــد غالت يزيد غوائله [٧]

(١) التعليقات والنوادر ورقة ٧٩ .

(٢) النوادر فى اللغة ١٩١ .

(٣) التعليقات والنوادر ورقة ٢ .

(٤) بلاد العرب ٢٤٩ .

(٥) كنز الحفاظ ٢٩٥ .

(٦) النقائض ١/٧٢ .

(٧) الأغانى ٨/١٨٢ .

٧٣ — ضباعة بنت عامر بن قرط :

هى ضباعة بنت عامر بن قرط بن سلمة بن قشير ، شاعرة جاهلية ، وقد تزوجت هذه الشاعرة هوذة بن على بن ثمامة الحنفى ، وكان صاحب مال كثير ، وقد توفى عنها ورجعت إلى بلاد قومها ، وبعد رجوعها إلى بلاد قومها خطبها عبد الله بن جدعان التيمى ، فوافق أبوها على زواجها من ابن جدعان ، وعندما علم بذلك ابن عمها حزن بن عبد الله بن سلمة غضب وحلف أن يقتلها قبل أن تحمل إلى ابن جدعان ، وكان ابن عمها قد خطبها ، فكتب أبوها إلى ابن جدعان يخبره بالأمر ، فرد عليه ابن جدعان: لئن نكثت فى وعدك لأرفعن لك راية غدر فى سوق عكاظ، فلم ير والدها بدا من تزويجها ابن جدعان، وعندما وصلت إلى ابن جدعان وأقامت معه ، رآها هشام بن المغيرة فأعجبته ، فقال : مالك ولهذا الشيخ اطلبى منه الطلاق وأنا أتزوجك ، فجاءت إلى ابن جدعان وطلبت منه الطلاق ، فقال لها: لقد علمت بما حصل بينك وبين هشام بن المغيرة ، ولكن اقسمى إن تزوجته بعد أن أطلقك أن تنحرى مائة من الإبل وأن تمدى خيطا من غزلك بين الأخشبين ، وأن تطوفى بالبيت عريانة ، فجاءت إلى هشام ابن المغيرة وأخبرته بما قاله ابن جدعان، فقال: أما الإبل فأنا أنحرها عنك، وأما الخيط فأنا آمر نساء بنى المغيرة أن يغزلنه ، وأما الطواف بالبيت فأنا أطاب من قريش أن يخلوا لك البيت حتى تطوفى به ، فتزوجت هشام بن المغيرة ، ونحر عنها الإبل ، ومد الخيط بين الأخشبين، وطافت بالبيت عريانة ، يقول المطلب بن أبى وداعة : كنت غلاما من غلمان قريش لا تستتر عنى النساء فرأيت ضباعة حين أقبلت من باب المسجد فوضعت ثيابها الواحد تلو الآخر وهى تقول :

اليوم يبدو نصفه أو كله وما بدا منه فلا أحله

وبعد أن وضعت ثيابها نثرت شعرها حتى غطى جسدها ووصل إلى خلخالها وقد أنجبت من هشام بن المغيرة ابنها سلمة ثم توفى عنها هشام . وقد أدركت الرسول ﷺ ودخلت فى الإسلام ، ثم إن الرسول ﷺ خطبها من ابنها سلمة ، فقال: يا رسول الله دعنى أسألها،فجاء ابنها إليها فسألها فقالت:أفى رسول الله تسألني ؟ اذهب إليه سريعا لئلا يبدو له رأى،فرجع سلمة إلى الرسول ﷺ وأخبره بموافقتها فسكت الرسول ﷺ . ومعظم شعر ضباعة فى رثاء زوجها هشام بن المغيرة[1] .

٧٤ — الفارعة بنت معاوية بن قشير :

هى الفارعة بنت معاوية بن قشير ، من شاعرات بنى قشير فى الجاهلية[2] .

٧٥ — مكرمة بنت الكحيل :

هى مكرمة بنت الكحيل الفراسية ، من بنى عبد الله بن سلمة بن قشير وكنيتها أم سليمان ، وقد اشتهرت بأشعارها ونوادرها ، وروايتها لكثير من الأشعار ، وهى من شاعرات بنى قشير فى الإسلام[3] .

٧٦ — بنت بحير بن عبد الله :

هى بنت بحير بن عبد الله بن سلمة بن قشير ، من شاعرات بنى قشير فى الجاهلية[4] .

* * *

(١) المنمق فى أخبار قريش ٢٧٠ وبلاغات النساء ١٧٨ والإصابة ٤/٣٥٣ ، والاستيعاب ٤/٣٥٣ .

(٢) بلاغات النساء ١٧٤ وأشعار النساء ٩٤ والنقائض ١/٢٤٢ .

(٣) التعليقات والنوادر ورقة ٢١٨ .

(٤) معجم ما استعجم ٤/١١١٨ .

رقم الإيداع بدار الكتب ١٩٧٨/٤٢٢٢
الترقيم الدولى ٦ - ٣٨ - ٧٢٣٩







